دكتور
رفيق زاهر
أستاذ الفلسفة المساعد
بجامعة الأزهر

قصة الأديان

دراسة تاريخية مقارنة

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد ، فلا يزال الجدل حول الأديان السماوية يتجدد ، ولا يزال الصراع بين أتباع هذه الأديان يحتل مركز الصدارة على المستوى الفكرى والنفسى كلما تهيأت دوافعه وأسبابه ، وكثيراً ما تتهيأ هذه الدوافع والأسباب .

وقد يستتبع الصراع الفكرى والنفسى أنواعا أخرى من الصراع تهدد أمن العالم وسلامته .

ونحسب أن أتباع الأديان السماوية على وجه الخصوص لو تجردوا من نزعة التعصب المذهبى فنظروا فى أديانهم نظرة موضوعية محايدة لالتقى الجميع على كلمة سواء .

ولا شك أن فى اقدام مصر على السلام مع إسرائيل ، وتفكيرها فى إنشاء مجمع يمثل الأديان الكبرى الثلاثة ، لاشك أن فى ذلك كله ما يقتضى تعرف أبناء كل دين على الدينين الآخرين عن طريق القراءة الواعية ، والمناقشة الهادفة ، والمقارنة الدقيقة .

ومن يدرى ربما أنتهى الصراع الدينى إلى لقاء على الحق - كما أنتهى الصراع العسكرى إلى صلح على الأرض .

ومن يدرى ربما كان السلام القائم على العدل فى دنيا السياسة سبيلا إلى الإسلام القائم على العقل فى مجال التدين .

أمل تهفو إليه المشاعر ، وتناجى بروعته الخواطر ، وينبغى أن تلتق عليه الضمائر . فإن تحقق الأمل البعيد ذات يوم فلا حرج على فضل الله .

وإن اعتصم بحصن التعصب على مناعته ،أو ارتطم بصخر التقليد على رسوخه أو تبدد فى غياهب الجهل على امتداده ، فما على المحسنين من سبيل ، ولا على الحالمين من جناح .

وهذه الدراسة السريعة تهدف إلى تقديم العقائد اليهودية ، والنصرانية من خلال الكتب المقدسة لهاتين الديانتين ، مع بيان موقف الإسلام من هذه العقائد.

كما ستلم إلماماً يسيراً بطرف من الأديان الوضعية كى تكتمل ملامح الصورة .

وعسى أن تسهم هذه الدراسة المتواضعة فى مساعدة الباحث المنصف على عقد المقارنة الموضوعية بين الأديان للوصول إلى الحق، أو على الأقل عسى أن تغرى هذه الدراسه بالرجوع إلى الكتب المقدسه لتكون أساس المقارنة العادله .

والله ولى التوفيق ؟

١٨ من المحرم ١٤٠٠ هجرية ٨ من ديسمبر ١٩٧٩

الدكتور رؤف زاهر

الفصل الأول

الإنسان والدين

١ - هل الإنسان فى حاجة إلى الدين ؟

سؤال يتردد فى الآونة الاخيرة على ألسنة الملاحدة والمتشككين فى ضرورة الأديان - وإذن فالذى يدرس القضية بما ينبغى لها من التجرد والحياد لا يسعه إلا أن يقرر حاجة الإنسان الملحة إلى الدين على المستوى الفردى والجماعى على السواء .

(أولا)

على المستوى الفردى

أيا كان وضع الإنسان فى مستواه العقلى والثقافى وفى مركزه المادى والاجتماعى، فلابد أن تلمح فى أعماقه ومضة التدين وتنعكس على سلوكه إشراقة الإيمان .

قد يستغنى فى حياته عن مظاهر الحضارة والعمران ، ويتجرد فى علاقاته عن أصول اللياقة والذوق ، ويتحلل فى تفكيره من مبادىء الفلسفة وقوانين المنطق ولكنه سيظل دائماً يسمع صوت الدين يهتف به ، ويحس قبسه يشع فى روحه .

قد يكون الصوت خفيضا هامساً ، وقد يكون القبس ضئيلا خافتاً ، ولكنه جزء من النفس لا ينفصل وأثر على السلوك لا يغيب .

وقد ذكر بعض العلماء أن الدين غريزة فطرية ، أو دافع أولى كدوافع الأكل والشرب والجنس .. فلا محيد للانسان عنه مادام فيه قلب ينبض ، ونفس يتردد .

وبقطع النظر عن فوارق الثقافة والحضارة والطبقة الاجتماعية .

ونحسب أن القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك بعرض المطالب الأساسية للإنسان فى قوله سبحانه « وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين[1] » .

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٥ .

فالآية تشير إلى السكن والأكل والجنس ، وتقيم ذلك بالتكليف الشرعى الذى لا يقل عن قرائنه أهمية فى تحقيق نعيم الحياة .

يقع الإنسان فريسة للمرض فيتجه إلى التشخيص ، ويلتمس العلاج . فإذا ما فشلت جهود الأطباء وعجزت حيل الأحياء ، ولم يفد الطب والدواء - ضرع إلى معبوده فى محنته ، ينشد لديه الرحمة واللطف فيتفجر فى أعماقه ينبوع الأمل الذى تسكن إليه نفسه ويستريح خاطره .

وهكذا فى سائر ما يواجه المرء من شدائد العيش وخطوب الحياة - لاسيما حين يعجز التدبير البشرى عن مقتضيات المواجهة .

إنه يستعين بقوة أكبر من قوته . وبتدبير أعظم من تدبيره ، فيبسط أكف الضراعة بمحنه القاسية ، وآماله الغالية إلى من يملك وحده صنع المعجزات ، وفعل الأعاجيب .

وإلى هذه الحقيقة يشير قوله سبحانه « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونا من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون »(١) .

وقوله « هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هـــذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق »(٢) .

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٦٣ ، ٦٤
(٢) سورة يونس الآيتان ٢٢ ، ٢٣

حتى ذلك الذى احتكر لنفسه منصب الألوهية اغتراراً بملكه وجاهه لم يملك فى لحظة الضعف الإنسانى إلا أن يلقى بنفسه الهالكة فى أحضان الإيمان .

ونقصد بذلك (فرعون) الذى لم يفتأ يردد « يا أيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى » حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) .

وكما يهرع المرء إلى معبوده استدفاعا للنقمة ، فكذلك يهرع إليه استجلابا لنعمة مرجوة ، أو استبقاء لنعمة قائمة .

بل لقد عبد الإنسان كل ماظنه مصدر نعمة أو نقمة ، تحدوه فى ذلك الرغبة فى العطاء أو الرهبة من البلاء .

فعبد البحار ، والأنهار ، والكواكب ، والنجوم ، والشجر والحجر ،والنار لذلك حرص القرآن على أن يبين للناس أن هذه الأشياء ونحوها جارية فى أغراضها حسب التسخير الإلهى لخير الإنسان .

من ذلك قوله تعالى « وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها »[1] .

وقوله « وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[2] .

ويذكر علماء الاجتماع أن الإنسان البدائى حين واجه الظواهر الكونية

---

(١) سورة إبراهيم الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

(٢) سورة الجاثية الآية ١٣

الرهيبة كالزلازل والفيضانات ، والبراكين وحار إدراكه القاصر فى تفسيرها ربطها بالقوى الخفية التى كانت جديرة لديه بالعبادة والتقديس .

خلاصة القول أن القلق هو الذى يفجر فى النفس طاقة الإيمان انشدادا للسكينة والتماسا لراحة البال واستقرار الضمير - سواء كان مصدر القلق هو مواجهة النقمة أو الحرص على النعمة أو الرغبة فى المعرفة .

وهذا هو ما كان يقصده (كيركجورد) حين قرر أننا لو استطعنا أن ننتزع ما فى النفوس من قلق أمكننا أن نغلق الكنائس أو نحولها إلى مراقص وحانات .

ويتناسب الإيمان والسكينة تناسبا طرديا - فكلما زاد حظ المرء من الإيمان - زاد حظه من السكينة حتى ليصل إلى مستوى لا تهزه فيـــه رغبة أو رهبة - وهذا هو التثبيت المشار إليه فى قوله سبحانه « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »[١] .

ومن مظاهر هذا التثبيت مانقله إلينا رواة السيرة عن الرسول ﷺ وهو فى غار ثور وقد أحاط به المشركون وفى صدر كل منهم مرجل يغلى بالحقد وشيطان يتحفز إلى للانتقام - فقد قال أبو بكر لرسول الله (والله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا) .

فرد عليه الرسول الكريم (يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا) .

ويكشف هذا الموقف عن الفرق بين الإيمان البكرى والإيمان المحمدى .

فالأول يشوبه شىء من القلق والاشفاق على محمد ودينه كما عبر أبو بكر نفسه .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٧

والثانى تشيع فيه الثقة والسكينة التى أشرنا إليها وأشار إليها القرآن فى قوله « فأنزل الله سكينته عليه »(١) .

ومما يؤكد ماقلناه من تناسب حظ المرء من السكينة مع حظه من الإيمان مايرويه القرآن الكريم عن موسى عليه السلام قبل النبوة وبعدها .

فقد صوره قبل النبوة نهبا لمشاعر التهيب والخوف أحيانا كثيرة ، أو نهبا لمواقف الانفعال الحاد والاندفاع السريع فى بعض الأحيان .

يشير القرآن إلى هذا الاندفاع فى قوله تعالى « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه . قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين . قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم »(٢) .

ولكن سقطة موسى توشك أن تقع ثانية على رغم استغفاره من السقطة الأولى وخوفه من أن يتعرض للثأر .

وإلى ذلك الإشارة فى قوله سبحانه « فأصبح فى المدينة خائفاً يترقب فإذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه ، قال له موسى إنك لغوى مبين ، فلما أرادأن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين »(٣)

وهو حين قيل له « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » خرج من مصر خائفا يترقب . وهو حين رأى عصاه قد تحولت إلى ثعبان مبين امتلأ خوفا حتى سمع نداء الحق « ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » .

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٠ (٢) سورة القصص الآيتان ١٤ ، ١٥
(٣) سورة القصص الآيتان ١٧ ، ١٨ .

وحين كلفه ربه بدعوة فرعون وملئه إلى الإيمان - قال معبراً عن مخاوفه « رب إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردئاً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون »(١)

حتى حين أجيب مطلبه بإشراك هارون معه فى دعوة فرعون وملئه لم يزايله الخوف فقال مع أخيه « إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال « لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى »(٢).

كذلك حين ألتقى موسى بسحرة فرعون وألقوا حبالهم وعصيهم وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى تملكه الخوف على الرغم من تجربته السابقة مع عصاه .

وقد وصف القرآن حال موسى فى قوله سبحانه « فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى »(٣) .

هكذا كان شأن موسى قبل النبوة وإبانها - فانظر إليه وقد رسخت قدمه فى المعرفة وعظم حظه من الإيمان - كيف انقلب خوفه إلى سكينة لا تهزها العواصف واستحال تردده إلى عزم لا تزلزله المخاطر والأهوال .

ونذكر من ذلك موقفه حين خرج ببنى إسرائيل من مصر - فقد اتبعه فرعون وجنوده - ورأى أصحاب موسى أنفسهم محاصرين بين خطرين ليس إلى تفاديهما من سبيل - البحر أمامهم والعدو من خلفهم - ومع ذلك لم يفقد موسى ثقته وسكينته ، وواجه لحظة الخطر الداهم بقوة قلب استمدها من قوة الإيمان .

وندع القرآن الكريم يصور هذا الموقف إذ يقول « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين »(٤) .

---

(١) سورة القصص الآيتان ٣٣ ، ٣٤ (٢) سورة طه الآيتان ٤٤ ، ٤٥

(٣) سورة طه الآيات ٦٦، ٦٧، ٦٨ (٤) سورة الشعراء الآيتان ٦١، ٦٢

وكما يجلب الإيمان السكينة - فكذلك تجلب السكينة الإيمان - وهو ما يفهم من قوله عز وجل :

« هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم[1] »

وقوله عن أم موسى وقد ألقت برضيعها إلى اليم استجابة لأمر الله « فأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين »[2]

والربط هو السكينة فالإيمان والسكينة يتجاذبان فى تفاعل دائم ، ويرتبطان معا برباط وثيق . وبقدر حاجة المرء إلى السكينة فى مواجهة مصادر القلق والحيرة - كانت حاجته إلى الإيمان الذى يحققها - بل وهو أقوم سبيل إليها وإن كثرت السبل العوجاء .

يتبين من هذا إلى أى حد تشتد حاجة الفرد إلى الدين كضرورة نفسية ملحة لتبديد قلقه وشكوكه ، وحل عقده ومشكلاته .

أو بتعبير آخر تتبين حاجة الفرد إلى الدين لتحقيق سكينته النفسية .

---

(١) سورة الفتح آية ٤ (٢) سورة القصص آية ١٠

(ثانيـــا)

على المستوى الاجتماعى

فإذا ماتجاوزنا دائرة الفرد إلى دائرة الجماعة - وجدنا الإيمان فى نفس هذا المستوى من الأهمية .

ويرجع هذا إلى ثلاثة اعتبارات مختلفة نعرض لها فيما يأتى :

أولا : إن الجماعة فى الواقع ليست شيئا أكثر من الأفراد الذين ينتسبون إليها فهى بمثابة بنيان ينزل الأفراد منه منزلة اللبنات - أو بمثابة جسم حى ينزل الأفراد منه منزلة الخلايا والأعضاء .

ولا شك أن قوة البنيان تكون بقوة لبناته .

كما أن سلامة الجسم تكون بسلامة خلاياه وأعضاءه .

كذلك إذا كان كل فرد متمتعا بالسكينة - أدى ذلك إلى قوة الجماعة وتماسكها واستقرارها النفسى - فيقوم كل فرد فيها بوظيفته الاجتماعية على خير الوجوه .

بخلاف ما إذا كان الأفراد نهبا للخوف والقلق والأزمات النفسية - فإن الجماعة تفقد حيويتها وتماسكها وتتخلف عن مسايرة الركب القادر على المضى والانطلاق .

ثانيا : إن التدين فى حقيقته رابطة ذات وجهين .

فهو يربط المرء بالإله الذى يدين له بالتقديس .

وهو فى الوقت نفسه يربطه بالجماعة التى تشترك معه فى تقديس هذا الإله .

والوجه الثاني من وجهى الرابطة هو سر تماسك الجماعات المؤمنة وتفاعل أفرادها بما يحدث لكل منهم من مسرات العيش، وأزمات الحياة.

وإذا كان علماء الاجتماع يكثرون من الحديث عن هذا التفاعل العضوى فى جسم الجماعة، وتماسك البنية الاجتماعية فيها، فقد أشار النبى ﷺ فى أكثر من حديث إلى هذه الحقيقة التى أنتهى إليها الباحثون أخيراً.

وذلك كقوله «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

وقوله «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

بل هكذا كان المجتمع المحمدى المسلم.

وعنه يتحدث القرآن إذ يقول «والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم»[1].

ثالثاً: يستحضر المؤمن الرقابة الإلهية عليه - فيدفعه ذلك إلى إيجابية الفعل والقول بدافع من المحبة والخوف - هذه الرقابة تقوم فى توجيه السلوك بدور لا يتسنى لغيرها من الضوابط الإنسانية التى تضعها الجماعات بهـــدف تنظيم العلاقات الاجتماعية.

ومن أمثلة هذه الضوابط نظريات الأخلاق، ومبادىء العرف، واللوائح والقوانين.

---

(١) سورة الحشر الآيتان ٩، ١٠

بل إن العواطف الإنسانية نفسها لا تستطيع أن تحل محل هذه الرقابة .

فكثيراً ما يحتال المرء على العرف ، ويهرب من قبضة اللوائح تحقيقا لنفعه الشخصى .

وكثيراً ماتذوب القيم السامية ، والمبادىء الرفيعة فى تيار المصالح العاجلة أو تحترق فى أتون المنافع القريبة .

وأكاد ألمس الفرق الهائل بين الرقابة الإلهية ورقابة العرف والعاطفة من حيث الأثر المترتب على كل منهما ـ أكاد ألمس هذا الفرق فى صراع قابيل وهابيل فقد كان أحدهما محكوما برقابة العرف العائلى ، وسلطة العاطفة الأخوية .

بينما كان الآخر محكوما بالرقابة الإلهية التى لاتغيب عنه طرفة عين .

فلم يكن غريباً أن ينتهز قابيل فرصة غياب العائلة ، وخمود الاحساس بالاخوة ليقتل أخاه هابيلا الذى لم يفتر فى نفسه الشعور برقابة الله إلى أن لفظ نفسه الاخير .

ويعرض القرآن هذه القصة بأسلوب غاية فى الصفاء والشفافية فيقول « واتل عليهم نبأ إبنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين »[1] .

وبمناسبة المقارنة بين أثر الرقابة الدينية ، ورقابة العرف ، والقانون ـ نورد

---

(١) سورة المائدة الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠

ما نشرته جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٧٨/٩/١٥ تحت عنوان (سارق يقطع يده بنفسه تحت عجلات قطار) :

اتجه برازيلى إلى خط السكك الحديدية فى مدينة سان باولو وانتظر مجىء قطار ثم وضع يده اليمنى على الشريط فمر عليها القطار وقطعها ... وارتمى الرجل مغمى عليه .

جاءت الشرطة فقال الرجل بعد أن استرد وعيه أن اسمه : باتيستا مونيوزو وأنه أحد الذين اشتركوا فى السطو على بنك صغير ، وصدر عليه حكم بالسجن سبع سنوات ، وأنه هرب من تنفيذ الحكم لمدة شهور ومنذ أيام جلس يقرأ فى التوراة وعندما وصلت به القراءة إلى عبارة : قبل أن تلقى بك يدك فى النار اقطعها . أسرع إلى شريط السكك الحديدية حيث قطع يده .

وهكذا فشلت قوة القانون ، وأجهزة الحكومة فى ردع هـــذا السارق وتهذيبه - بل لقد عجزت أمام حيله وتدبيره - فقد خدع السلطة ، وهرب من السجن .

ولكنه حين قرأ نصا فى كتابه المقدس لم يستطع أن يفلت من صرخات ضميره فراح ينزل بنفسه العقوبة التى رسمتها التوراة دون أن يصدر بذلك حكم قاض ، أو ينهض به جهاز تنفيذ .

والذى نحب أن نقرره هنا هو أن الدين ضرورة لإشاعة السلام الاجتماعى . كما أنه ضرورة لتحقيق السكينة النفسية - أى أنه ضرورة للفرد ، والجماعة على السواء .

من أجل هذا لم تخل جماعة إنسانية من دين ما يربطها ربطا قويا بما وراء الطبيعة حتى . قال الفيلسوف الفرنسى المعاصر (هنرى برجسون) : (قد نجد

مجتمعا ما ليس له علم أو فن أو فلسفة ، ولكن من غير الممكن أن نجد مجتمعاً ليس له دين) .

ومن ثم فقد كثرت الأديان كثرة هائلة تتناسب مع مامضى من عمر الإنسانية المديد .

٢ ـ بين الأديان السماوية والأديان الوضعية

وتنقسم الأديان بشكل عام إلى قسمين متمايزين :

أديان سماوية أو إلهية أوحى بها الله إلى رسله لهداية الناس إلى الحق .

وأديان إنسانية أو وضعية استوحاها عقل الإنسان وخياله على مقتضى مصالحه الخاصة وضروراته الراهنة .

نذكر من الثانية الأديان الهندية والفارسية والصينية وأديان المصريين القدماء إلى آخر الأديان والعقائد ذات المصدر الإنسانى أو الوضعى .

ونذكر من الأولى اليهودية والمسيحية والإسلام وهى الأديان السماوية الكبرى التى تحتل مكاناً بارزاً فى تاريخ الإنسانية .

والسمة التى تتسم بهـــا الأديان السماوية والوضعية هى ارتباطها جميعاً بعنصر الغيب .

ويعد هذا الارتباط فارقا جوهريا بين الأديان من جهة ـ وبين الفلسفات والمذاهب العقلية من جهة أخرى .

فأى اتجاه عقلى أو نظام اجتماعى لا يستطيع أن يحمل المرء على ملاحظة مبادئه وأصوله فى غيبة الرقابة الإنسانية لاسيما إذا تعارض الاتجاه الفلسفى أو النظام الاجتماعى مع مصالح المرء ومنافعه الشخصية .

وهذا على العكس من الدين الذى يغرس فى نفوس أتباعه الاحساس الدائم برقابة المعبود وعدالته ـ تلك العدالة التى تقضى أن يجزى كلا من الخير والشر بمثله .

وعن هذا الإحساس ينشأ الضمير الأخلاقى الذى يحمل صاحبه على ممارسة الخير ومجانبة الشر احتسابا لرضا المعبود وثوابه أو خوفا من أخذه وعقابه .

والواقع أنه لا يوجد ضمان لأمن المجتمع وسلامه أقوى من هذا الضمان .

ضمان الضمير الناشىء عن استحضار رقابة المعبود .

هذا ما يمكن أن يقال فى المفاضلة بين الأديان عامة وبين مجموعة الضوابط الإنسانية الأخرى من مذاهب الفلسفة ومبادىء الأخلاق وتقاليد البيئة وأصول الشرائع والقوانين .

أما ما يقال بصدد المفاضلة بين الأديان السماوية والأديان غير السماوية فهو :

أولا : عصمة الأولى دون الثانية .

ذلك لأن الأديان السماوية صادرة عن الله عز وجل وهو الحق والحق لا يصدر وعنه إلا الحق .

بخلاف الأديان الانسانية — إذ هى صادرة عن الانسان وهو ملازم للنقص والقصور .

ثانيا قدرة الأديان السماوية دون غيرها على هداية أتباعها — ذلك لأن مخترع أى جهاز هو أعلم الناس جميعا بما يصلحه وما يفسده .

وبما أن الله تعالى هو خالق الإنسان بل وخالق الكون ـ فلا شك أنه وحده العالم بدقائقه وخفاياه . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (١) .

فإذا أنزل دينا ما لهـــداية الإنسان فهيهات هيهات أن يدانيه نظام آخر إلى تشخيص دائه ووصف دوائه .

من هنا كانت أهمية الأديان السماوية وضرورة التمسك بها والحرص عليها .

---

(١) سورة الملك الآية رقم ١٤

٣ - نظرة فى الأديان السماوية

ثم إن هذه الأديان السماوية التى سبق حديثنا عنها تشترك كلها فيما يتصل بجانب العقيدة (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك « إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم »)[١].

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »[٢] ،

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده »[٣] .

ولقد كان حجر الزاوية فى دعوات جميع الأنبياء هو إفراد الله تعالى بالعبادة والتقديس .

ويشهد القرآن الكريم إلى ذلك بصدد الحديث عن هذه الدعوات بنحو قوله سبحانه « وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »[٤].

« وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »[٥] .

« وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »[٦] .

ثم تلى عقيدة التوحيد بما تستلزمه من وصف الله تعالى بسائر صفات الكمال عقائد النبوة والبعث والجزاء .

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٣
(٢) سورة الشورى الآية ١٣
(٣) سورة النساء الآية ١٦٣
(٤) سورة هود الآية ٥٠
(٥) نفس السورة الآية ٦١
(٦) نفس السورة الآية ٨٤

وهذه العقائد كلها قاسم مشترك بين جميع الأديان كما أشرنا .

وإلى جانب العقيدة فى كل دين توجد الشريعة وهى مجموعة التكاليف التى تنظم صلة الخلق بالخالق من جهة وتنظم صـــلة الخلق بعضهم مع بعض من جهة أخرى .

وقد أشار القرآن إلى فطرية العقيدة بقوله « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » (١) .

ومن هنا كانت الرسالات السماوية المتعاقبة فى مجال العقيدة تكرارا يستهدف تذكير الإنسانية بميثاقها الأول مع الله كلما انحرفت بها جوانح الهوى عن سلامة الفطرة أو جمد بها طول العهد عن إدراك الحق .

أما فيما يتعلق بالشرائع فهى مختلفة باختلاف الرسالات - ولكنها مع ذلك متكاملة يكمل اللاحق منها السابق - كما أن السابق يمهد للاحق .

ذلك لأن كل شريعة تأتى متناسبة مع المستوى العقلى للجيل الذى نزلت له وملبية للمطالب الحقيقية لهذا الجيل .

وعلى هذا فإن كل شريعة تعد أكمل نظام بالنسبة إلى الفترة الزمنية والبيئة اللتين ارتبطت بهما فهو توقيت إلهى حكيم اقتضى أن تنزل كل شريعة فى حينها الخاص وفق الظروف العقلية والنفسية والاجتماعية التى تكون مناسبة تماما .

ويبدو أن الشريعة كانت دائما صنو العقيدة فى كل دين سماوى إذ لا نعرف دينا سماويا خلا من الأوامر والنواهى - أو من المطلوبات والمحاذير .

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣

وقد أشرنا من قبل إلى نهى آدم عن الأكل من الشجرة - كما سقنا الآيات التى تضمنت جانبا من التكاليف فى شريعة آدم عليه السلام - وهى الآيات التى تتحدث عن صراع ولديه (قابيل) و (هابيل) .

والآيات المذكورة تدل على أن الديانة الأولى قد حرمت القتل واستحبت القربان وهما من الأمور الشرعية التى تقابل العقيدة .

بل إن تفسيرها ليشير إلى أول نظام شرعى للزواج يعد الالتزام به طاعة والخروج عليه معصية الأمر الذى يؤكد اشتمال الدين الأول على تكاليف شرعية إلى جانب العقيدة .

كذلك نجد فى رسالة لوط النهى عن إتيان الذكران .

ونجد فى رسالة شعيب النهى عن نقصان المكيال والميزان .

وفى القرآن كذلك إشارات كثيرة إلى وجود أصول العبادات الإسلامية فى الأديان .

ونكتفى بإيراد الآيات المتضمنة لذلك دون تعليق .

ورد على لسان إبراهيم « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء » [1] .

وعلى لسان عيسى « وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » [2] .

وقال سبحانه يخاطب موسى « وأقم الصلاة لذكرى » [3] .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٠

(٢) سورة مريم الآية ٣١

(٣) سورة طه الآية ١٤

وقال يخاطب إبراهيم « وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود .
وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »[١].

وورد فى الصيام قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »[٢] .

وإذا كانت الإنسانية قد مرت فى تاريخها الطويل بثلاث مراحل متدرجة وهى : مرحلة الطفولة ، ومرحلة الصبا ، ومرحلة الرشد .

فإن شرائع السماء قد نزلت متدرجة بما يتناسب مع مقتضيات كل مرحلة .

ففى مرحلة الطفولة كانت الشريعة تشتمل على طائفة قليلة من التكاليف اليسيرة المجملة .

وفى صبا الإنسانية نزلت شرائع بنى إسرائيل حافلة بالتفاصيل والجزئيات - ولكنها مرتبطة بإقليم محدود وفترة معينة ، وجيل خاص - فلا تصلح لما عدا ذلك من أقاليم الأرض ، وأجيال الإنسانيه وفترات الزمان .

حتى إذا كانت المرحلة الثالثة ، وبلغت الإنسانية رشدها العقلى ، والإجتماعى أنزل الله خاتمة الشرائع متضمنة عناصر الصلاحية ، والبقاء لتكون شريعة الأجناس البشرية المختلفة الى يوم الدين .

ويقتضى ذلك أمرين اثنين : -

أحدهما أن تشتمل هذه الشريعة على ما فى الشرائع السابقة من مقومات الكمال .

والثانى أن تتضمن كمالات أخرى تتناسب مع ما تقرر من صلاحيتها لكل زمان ، ومكان .

---

(١) سورة الحج الآيتان ٢٦ ، ٢٧

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣

وهذا هو ما أشار إليه قوله تعالى « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه »(١) .

فالشرائع السماوية إذن لا تتناقض ولا تتعارض فى جوهرها العام - وإن وقع بينها الاختلاف تبعا لاختلاف الظروف .

وإنما يقع التناقض ، والتعارض نتيجة التحريف ، والتزييف ، أو نتيجة سوء الفهم على أقل تقدير .

واسم الإسلام وإن أطلق على الدين الأخير من باب إطلاق الشيء على أكمل صوره - إلا أنه جوهر الأديان السماوية كلها - حتى ليمكن أن تسمى كلها إسلاما .

ومن هنا نعلم جريان هذه الكلمة ، ومشتقاتها كثيرا على ألسنة الأنبياء السابقين ، وكبار أتباعهم .

وهذا هو ما تشهد إليه الآيات التالية :

فمن دعاء إبراهيم وإسماعيل « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا »(٢) .

ومن وصية إبراهيم وإسحاق « يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون »(٣).

وقد أتبع القرآن الكريم هذه الوصية بوصية يعقوب - وذلك فى قوله سبحانه « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٨
(٢) سورة البقرة الآية ١٢٨
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٢

بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون » (١) .

ومن دعاء يوسف عليه السلام « فاطر السماوات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » (٢) .

ومن دعاء السحرة وقد دخلوا فى دين موسى « ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » (٣) .

وفى الحديث عن عيسى والحواريين ورد قوله سبحانه « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » (٤)

وينقل القرآن عن ملكة سبأ قولها وقد آمنت بسليمان « رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (٥) .

فالإسلام إذن هو العنوان العام للأديان السماوية « إن الدين عند الله الإسلام » ولا اعتراف بيهودية أو مسيحية مثلا كدين قائم برأسه منقطع الصلة بما قبله وما بعده ، بل كل دين يكمل السابق ، ويمهد للاحق — مع التسليم المطلق بكماله فى ظروفه الخاصة ومناسبته لهذه الظروف .

وآخر هذه الأديان هو أكملها على الإطلاق — وذلك لسببين واضحين :

---

(١) سورة البقرة ١٣٣

(٢) سورة يوسف ١٠١

(٣) سورة الأعراف الآية رقم ١٢٦

(٤) سورة آل عمران الآية رقم ٥٢

(٥) سورة النمل الآية رقم ٤٤

السبب الأول – أن الأديان السابقة عليه إنما نزلت لتبشر به، وتمهد له، وتدرج بالإنسانية إليه – فهو منها بمنزلة القمة من الهرم، أو بمنزلة الغاية من الوسيلة .

السبب الثانى – أن كلا منها نزل ليغطى مساحة مكانية، وزمانية معينة. أما الدين الأخير – فلا بد أن يحمل عوامل صلاحيته، وتطبيقه مادامت فى الأرض حياة إنسانية – إذ لا أمل فى دين آخر بعده .

وإذا كان من المسلم به أن الإنسانية فى تطور دائم، وترق موصول – فإن من المسلم به كذلك أن الدين الذى يغطى مرحلة الرشد العقلى، والنفسى الإنسانية أكمل من الأديان التى تغطى مرحلة طفولتها، أو مرحلة صباها .

ولعل ما ذكرناه من فضل الدين الأخير على الأديان السابقة هو بعض أسرار الميثاق الذى أشارت إليه الآية الكريمة التالية « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من من الشاهدين » [1] .

فإخاء الأنبياء، بل وإخاء الأديان أيضا قضية دينية، وعقلية لا جدال فيها – لأن منزل الأديان كلها واحد – وهو نفسه مرسل جميع الأنبياء .

ولا يقع التناقض، والتعارض إلا إذا أسىء التفسير عن قصد، أو عن غير قصد كما أشرنا من قبل .

ولابد أن يتضح ذلك من خلال المقارنة .

---

(١) سورة آل عمران رقم ٨١

بيد أن المقارنة بين جميع الأديان السماوية ليست أمرا ممكنا - إذ إن هذه الأديان ، أو أكثرها ليس معلوما لأحد من الناس حتى يعقد بينها المقارنة .

ولقد قال الله لرسوله « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك »(١) .

وقال أيضا «ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك»(٢).

وسنكتفى فى هذه الدراسة بتقديم الملامح العامة لكل من اليهودية ، والنصرانية ثم نتبع ذلك ببيان موقف الإسلام من الديانتين .

كما سنورد طرفا من الأديان الوضعية التى تدعو إليها المقارنة .

ويهمنا قبل أن ننتهى من هذا الفصل التمهيدى أن نشير إلى النتائج التى انتهينا إليها من خلاله - وهى على وجه التحديد :

(١) الإنسان محتاج إلى الدين - وذلك على مستوى الفرد ، والجماعة - لأن الدين يحقق السكينة النفسية للفرد ، والسلام الإجتماعى للجماعة - ولا يمكن أن تحل محله فى هذه الوظيفة المذاهب والقوانين الوضعية .

(٢) الأديان الوضعية التى اخترعها عقل الإنسان ، وخياله لا تستطيع أن تقوم بدور الأديان السماوية فى تحقيق ما تفتقد إليه حاجة الإنسان من السكينة والسلام - وذلك لما تفتقده الأديان الوضعية من خصوصية العلم بما يصلح الإنسان، وما يفسده - وهو ما يتحقق فى الأديان السماوية عامة ضرورة صدورها عن الخالق الحكيم .

---

(١) سورة غافر الآية رقم ٧٨

(٢) سورة النساء الآية رقم ١٦٤

(٣) بصدد المفاضلة السريعة بين الأديان السماوية يتبين أنها كانت أديانا مرحلية تواكب التطور العقلى ، والنفسى للإنسانية - وذلك فيما عدا الدين الأخير الذى يتضمن مقومات الصلاحية للإنسانية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا فيما يتعلق بالشرائع .

أما العقائد - فهى موضع اتفاق الأديان السماوية جميعا مالم تجر فيها يد الهوى بالطمس ، أو التحريف .

وسيتبين ذلك بالتفصيل فى الفصول التالية إن شاء الله .

الفصل الثانى

اليهـــودية

المبحث الأول

التعريف باليهود

(١) اليهود فى التاريخ القديم

تقدمت السن بإبراهيم عليه السلام دون أن يرزق بولد يحمل إسمه ، ويشد أزره ، ويرثه فى دينه .

ولم يزل إبراهيم يدعو ربه « رب هب لى من الصالحين »

حتى أجاب الله دعاءه ، ووهبه على الكبر غلامين صالحين كان كل منهما فيما بعد نبيا .

أما أحدهما فهو إسماعيل بن هاجر المصرية جارية زوجته سارة .

فقد وهبته إياها لما رأته من شدة شوقه إلى الولد ـ على حين كانت سارة نفسها عقيما لا تلد .

أما الآخر فهو إسحاق الذى رزقه الله به من زوجته الأولى سارة على الرغم من عقمها ، وكبر زوجها كآية من آياته الباهرة .

وقد ولد لإسحاق ولدان هما (عيسو) و (يعقوب أو إسرائيل) الذى تزوج أربعة من النسوة ، ورزق منهما باثنى عشر ولدا هم أصول الأسباط .

وقـــد حكى القرآن الكريم قصة يعقوب ، وبنيه فى سورة يوسف مبينا الظروف الصعبة التى دفعت بهم دفعا إلى دخول مصر .

فذكر أن يعقوب عليه السلام كان يميل إلى يوسف وأخيه بنيامين أكثر من ميله إلى بقية أبنائه حتى قالوا « ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة أن أبانا لفى ضلال مبين »(١) .

وقد اجتمعت كلمتهم على التخلص من أخيهم يوسف بإلقائه فى غيابة الجب ، وبذلك يخلو لهم وجه أبيهم .

وقد أذن يعقوب لبنيه أن يصطحبوا يوسف معهم فى رحلة الرعى بعد إلحاح ومراجعة .

ونفذ الأخوة خطتهم الشيطانية ، ثم عادوا إلى أبيهم بقصة (الذئب والقميص)

أما يوسف فقد ألتقطه بعض السيارة ، وباعوه لعزيز مصر بثمن بخس دراهم معدودة .

وفى قصر العزيز تقلبت به الأيام حتى صار وزيرا للتموين ، فوضع خطة حكيمة حققت الرخاء لمصر ، على حين كانت جاراتها تشكو من القحط والجوع

وفى هذه الأثناء ، حضر أبناء يعقوب إلى مصر ليحصلوا على ما يلزمهم من الغذاء . وقد عرفهم يوسف ، وأكرم ضيافتهم دون أن يعرفوه .

ثم كشف لهم عن شخصيته ، وأرسل فى طلب أبويه ، حيث دخل الجميع مصر آمنين وقد طاب لهم المقام بمصر ، فأقاموا بها ، وعرفوا بين أهلها ببنى إسرائيل ، وهو الاسم الذى اختاروه لأنفسهم .

---

(١) سورة يوسف آية ٨ .

وأقام بنو إسرائيل بـ (جاسان) و (صفعو الحنة) بالشرقية .

وقد كانوا أول الأمر حوالى سبعين نسمة - ولكن عددهم كان يتزايد بمعدلات هائلة .

وعلى الرغم من أن المصريين كانوا يغدقون عليهم مظاهر الحفاوة ، والبر - إلا أنهم لم يكونوا يشعرون بالولاء للوطن المصرى .

فلما كان عهد (رمسيس الثانى) سنة ١٣٠١ ق.م الى سنة ١٢٣٤ ق.م عاملهم بقسوة وعنف لما علمه من تواطئهم مع أعداء البلاد من الهكسوس .

وقد أرسل الله إليه موسى ، وهارون يدعوانه إلى إطلاق سراح بنى إسرائيل

وإلى ذلك الإشارة فى قوله سبحانه « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك أن أرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم »[١] .

وخرج موسى ببنى إسرائيل فى عهد (منفتاح) الذى ورث عرش أبيه (رمسيس الثانى) .

وكان خروجهم من مصر حوالى سنة ١٢١٣ ق.م .

وقد أمرهم موسى بدخول فلسطين بقوله فيما يحكيه عنه القرآن « أدخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين »[٢] .

ولكنهم لم يستجيبوا لهذا الأمر قائلين فيما يحكيه القرآن أيضا « إن فيها قوما جبارين . وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون »[٣] .

---

(١) سورة طه الآية رقم ٤٧
(٢) سورة المائدة الآية رقم ٢١
(٣) سورة المائدة الآية ٢٢

لذلك كتب الله عليهم التيه جزاء جبنهم ، وتخاذلهم ، وعصيانهم الأمر « قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض »[1] .

فلم يدخلوها إلا بعد موت موسى ، وذلك بقيادة (يوشع بن نون) أحد أصفياء موسى .

وقيل أن شعب يوشع هم أبناء الذين كتب عليهم التيه كما أشارت إلى ذلك التوراة .

وقد تم دخولهم فلسطين بكثير من القسوة ، والوحشية .

يقول (ول ديورانت) فى وصف ذلك (كانت هزيمة العبرانيين الكنعانيين مثلا واضحاً لإنقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين ، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم ، وسبوا من بقى من نسائهم ، وجرت دماء القتلى أنهاراً ، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى وزكاة للرب) .

ولما استولوا على احدى المدن قتلوا من أهلها اثنى عشر ألفاً ، وأحرقوا ، وصلبوا حاكمها .

ولسنا نعرف فى تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف فى القتل والاستمتاع به

وقد كان موسى من رجال السياسة المتصفين بالصبر والإناة .

أما يوشع فلم يكن إلا جنديا فظا .

وقد حكم موسى حكما سلبيا لم تسفك فيه الدماء .

(١) سورة المائدة الآية ٢٠ .

أما يوشع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الذى يقول إن أكثر الناس قتلا هو الذى يبقى .

وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة[1] .

وبقيت فلسطين تحت النفوذ اليهودى . وبقى اليهود آمنين طوال عهدى القضاة ، والملوك .

ثم آلت وحدتهم إلى التفرق ، والإنقسام ، الأمر الذى أطمع فيهم الفاتحين

وكانت للضربة القاصمة على يدى (بختنصر) ملك بابل الذى انتزع فلسطين من أيدى اليهود ، وصب عليهم سوط عذابه .

فشرد فريقاً منهم ، وقضى على فريق آخر ، ولكنه لم يتعرض للمشتغلين بالصناعة والزراعة من صغار اليهود[2] .

وفى سنة ٥٣٨ ق . م احتل (قورش) ملك الفرس بلاد بابل ، فسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين ، ولكنهم كانوا قد طاب لهم المقام بالمدن التى هاجروا إليها ، فلم يعد إلا قليل منهم .

وكانت عودتهم إليها عودة الجوع ، لا عودة الدولة ، ولم يحسوا قط بالولاء للدولة الفارسية ، ولذلك رحبوا بالإسكندر الأكبر فاتحا لفلسطين سنة ٣١٠ ق.م

وقد آل حكم فلسطين إلى البطالمة بعد الإسكندر .

وقد أرسل الله إلى بنى إسرائيل عـــدداً كبيراً من الأنبياء ، كان آخرهم عيسى عليه السلام .

ولعل كثرة أنبيائهم دليل على تأصل الرذائل فيهم وسرعة انحرافهم عن الحق

---

(١) كتاب اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٥٥

(٢) الصهيونية العالمية واسرائيل ، الدكتور حسن ظاظا وآخرين ص ٤٧

تماما كما يتردد المريض على عدد كبير من الأطباء حين تستفحل العلة ويتفاقم الداء . وقد أطلق إسم النصارى على الذين آمنوا بعيسى من بنى إسرائيل كما بقى اسم اليهود للذين لم يؤمنوا به وهى تسمية اختلفت فى تعليلها آراء المفسرين ، ولعل أقرب تعليل هو أنها مأخوذة من الهود بمعنى العود إلى الله وهو ماتشير إليه عبارة موسى عليه السلام إذ قال فى استغفاره لقومه بعد فتنة عبادة العجل « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك »[1] .

أما تسميتهم بالعبرانيين فرتبطة بعبورهم البحر الأحمر يوم خروجهم من مصر . وقيل نسبة إلى (ابرا) وهو ابراهيم عليه السلام مع قلب الألف عينا فى المنسوب .

وعلى أى حال ـ فالتسميات لا تهم كثيراً فيما نحن بصدده ـ الأمر الذى يكفينا مشقة البحث تلمسا للتعليل الصحيح .

فلنتابع الرحلة إذن لعرض ملامح أخرى فى هذا التعريف القصير .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٦

(٢)

الفـــرق اليهودية

بين أتباع كل ديانة من الديانات المعروفة يوجد مجال لإختلاف الرأى ، وتعدد الإتجاهات .

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« افترقت المجوس إلى سبعين فرقة - وافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة - وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة : قالوا ومن هى يارسول الله ؟

قال هم أهل السنة والجماعة - قالوا : ومن أهل السنة والجماعة ؟

قال الذين يكونون على ما أنا عليه ، وأصحابى إلى يوم القيامة » .

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح - فإن من الثابت تاريخياً وقوع الاختلاف فى الرأى بين أتباع كل ديانة من الديانات المذكورة فى الحـــديث الشريف .

وإذا كان الذى يعنينا هنا هو الفرق اليهودية - فليس من المعقول أن نعرض بالتفصيل لكل فرقة من هذه الفرق ، فذلك ينبغى أن يتناوله كتاب آخر يكون موضوعه الفرق اليهودية - وإنما نكتفى هنا بالتناول السريع لأهم هذه الفرق على سبيل المثال .

ونعول فى هذا الموضوع على كل من الدكتور أحمد شلبى فى كتابه (اليهودية) والشهرستانى فى كتابه (الملل والنحل) .

أما الدكتور شلبى فقد اختار من كبار الفرق اليهودية خمس الفرق هى :

١ - (الفريسيون)   ٢ - (الصدوقيون)   ٣ - (الكتبة)

٤ - (القرائيون)   ٥ - (المتعصبون) .

وفيما يلى إلمامة سريعة بكل من هذه الفرق .

١ - الفريسيون) تعنى هذه الكلمة المنعزلين ، أو المنشقين وهو إسم أطلقه عليهم أعداؤهم - وهم لا يوافقون على هذه التسمية - ويطلقون على أنفسهم إسم (الأحبار) أو (الربانيين) أو (الإخوة فى الله) .

وهم يعتقدون أن التوراة مخلوقة من الأزل ، مدونة على ألواح مقدسة ، ثم أوحى بها إلى موسى عليه السلام فى الوقت الذى أراده الله .

ويعتقدون كذلك فى وجود الملائكة ، والشياطين ، وفى وقوع البعث ، والجزاء بعد الموت .

وهم يسلكون فى حياتهم سلوك التقشف والزهد .

وأكثرهم لايتزوجون ، ويلجأون الى التبنى كوسيلة للمحافظة على امتدادهم التاريخى .

ويكرهون تقديم القرابين فى المعابد على اعتبار أن ذلك تصور مادى ساذج لمعنى العبادة .

ويعتقد الفريسيون أن التوراة ليست هى الكتاب المقدس الوحيد - وإنما هناك أيضا الروايات الشفوية المسماة بالتلمود .

كذلك لايخصون الأنبياء بوصف العصمة أو القداسة - وإنما يشركون معهم فى ذلك الحاخامات - فهم يمنحونهم سلطة عليا - ويعتبرون مخافتهم من مخافة الله .

وقد بلغ تطرفهم فى تقديس الحاخامات إلى حد أن قالوا (ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لان أقوالهم هى قول الله الحى . فإذا قال أن يدك اليمنى هى اليسرى وبالعكس ـ فصدق قوله ولا تجادله) .

وعلى هذا ـ فليس هناك اجتهاد شخصى فى الدين ـ إذ عند الحاخام لكل مشكلة حل ، ولكل سؤال جواب .

ويرون أن الدولة اليهودية ستسترد يوما نفوذها الضائع ، ومجدها السليب على يد المسيح المنتظر الذى سيعيد ملكوت الله ـ وهم لذلك يعقدون آمالهم الغالية على ظهور ذلك المسيح .

وكان نشاط الفريسيين بشكل عام نشاطا فكريا لا ثوريا ـ يتمثل فى تفسير التوراة والتلمود ، والحث على التمسك بالشرائع والتقاليد .

وكانوا يتمتعون بنفوذ شعبى واسع أخاف منهم السلطات الحاكمة التى لم تكن تتمتع بمثل هذا النفوذ .

وفى عهد (أوركوانوس) ١٠٥ ق م إشتد سخطهم على نظام الحكم وأعلنوا عدم تأييدهم للحكومة ـ ومن ثم فقد تخلى عنهم (أوركانوس) وانحاز الى منافسيهم الصدوقيين الذين ظلوا على ولائهم للدولة ـ ومنذ هذه القطيعة زاد تمسكهم بفكرة المسيح المنتظر الذى يخلصهم من نير السلطات الحاكمة ويمنحهم مايحنون إليه من الأمن ، والكرامة ـ ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يحتفظوا طويلا بصلابتهم وصمودهم فى مواجهة الطغيان .

فقد اضطرب مركزهم ، وتدهورت أحوالهم ـ فاقبلوا على الملذات ، وانغمسوا فى الشهوات ، وصار ظهورهم بمظهر الزهد فخا ينصبونه لصيد الدرهم والدينار .

وقد صورهم كاتبو الأناجيل بصورة الكفرة الذين ناصبوا المسيح العداء ووقفوا منه موقف المعارضة ـ وبذلك أصبح الولاء لهم خيانة ، والانتساب إليهم عاراً .

وقد تعاطف بعض الكتاب المعاصرين مع الفريسيين ، فحاولوا أن يدفعوا عنهم ظلم كتاب الأناجيل ، ويردوا إليهم اعتبارهم القديم .

يقول (هوكسلى) من غرائب سخريات التاريخ إن لم تكن أغربها أن كلمة فريسى أصبحت تدل على العار) .

ويقول (هارفورد) (كانت الفريسية سيئة الحظ فى التاريخ إذ قلما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسية على حقيقتها ـ بل قلما حاولت أن تنتهز هذه الفرصة إذا سنحت .

فهل بلغ الدين المسيحى مبلغا من الضعف يلجئه الى الدفاع عن نفسه بتسويد صفحة أفضل منافسيه ؟) .

ويقول القس (بكس) (لقد أسس الفريسيون نظام الفردية فى الدين ووضعوا طقوسا روحية بحتة ، وتعمقوا فى الاعتقاد فى الآخرة ، ودافعوا عن قضية العلمانية أمام الكهنوت المتطرف ، وجعلوا الكتاب المقدس ملكا مشاعا للجميع .

وفى اجتماعات الكنيسة الأسبوعية كانوا يلقون على الشعب عظات بالغات عن حقائق الدين ، وآماله استنادا الى نصوص التوراة .

وكافح الفريسيون كفاحا مستبسلا فى سبيل وضع الحياة تدريجيا تحت سلطة العقائد الدينية . فتأثرت قلوب الشعب بتعاليم الدين ونواهيه بفضل ما بذله الفريسيون من العناية فى سبيل تقويم العادات ، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقا دقيقا .

- (الصدوقيون) :

اختلف الباحثون فى أصل نسبة هذه الفرقة .

فنهم من يرى أنها نسبة الى (صدوق) الكاهن الأعظم فى عهد سليمان .

ومنهم من يرى أن صدوقا الذى نسبت إليـــه الفرقة هو أحد كهنة القرن الثالث قبل الميلاد .

بينما يقرر المحققون بطلان هذين الرأيين - إذ الدال - مضعفة فى إسم كل من الكاهنين ، وغير مضعفة فى إسم الفرقة - فضلا عن أن الفرقة نفسها لم ترتبط بأحد الكاهنين ، ولم تعلن انتسابها إليه .

ويرجح هؤلاء المحققون أن أعداء الصدوقيين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الإسم من قبل تسمية الشىء بضده - وذلك لما عرف عن الصدوقيين من الإسراف فى تكذيب ما يسلم به غيرهم من اليهود .

فهم ينكرون البعث ، والجزاء بعد الموت - إذ ما يقدمه المرء من خير ، أو شر يجد جزاؤه فى هذه الدنيا لا محالة .

وينكرون مجموعة الروايات الشفويه المسماة بالتلمود - إذ التوراة هى الكتاب الوحيد المقدس قداسة مطلقة .

وينكرون الملائكه والشياطين ، والقضاء والقدر ، ويقولون بحرية الإختيار ولا يميلون الى الحركات الثورية - ويحترمون النظم والقوانين - وهو ما يتفق مع أصلهم الأرستقراطى - ولذلك يطلق عليهم بعض الكتاب إسم (حزب المحافظين) فى الشعب اليهودى .

ويقال إن عيسى كان على صلة طيبة بهم - لأنه ما جم خصومهم الفريسيين

من جهة ، ولأنه قبل سلطان قيصر روما على نحو ما فعله الصديقيون من جهة أخرى .

غير أن إنكارهم للبعث كان كفيلا أن يقيم بينهم وبينه سداً منيعا من النفرة والكراهية ـ فشنوا عليه حملاتهم العنيفة وقاوموا دعوته أكثر من غيرهم .

٣ — القراءون) :

القراءون هم قلة من اليهود ورثوا نفوذ الفريسيين .

وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم ـ فلا قداسة عندهم للتلمود ، أو لما يسمى بالعهد الجديد .

ويفتحون باب الاجتهاد فى الدين لكل قادر عليه .

فإذا تبين الخلف خطأ السلف فى شىء من أمر الدين ـ فإن للخلف أن يصححوا هذا الخطأ دون تهيب ولا حرج .

ومن هذه الأخطاء التى يلاحظها القراء خطأ السلف فى تحليل بنت زوجة الأب مع وضوح تحريمها فى الآية الخامسة من آيات المحارم .

٤ — (الكتبة) :

يطلق هذا الإسم على طائفة من اليهود إحترفت كتابة الشريعة لمن يطلبها وقد اكتسب الكتبة من عملهم الى جانب المال قسطا موفورا من العلم بالشريعة اليهودية مكنتهم من أن يتخذوا الوعظ وظيفة ـ بالإضافة الى حرفة النسخ أو الكتابة .

وبالوظيفتين استطاع الكتبة أن يتصيدوا أموال الناس ، ويستأثروا بتقديرهم وخاصة حين عم الفساد ، وانحراف الفريسيين ـ فكانوا يسمون أحيانا بالحكماء وأحيانا بالسادة ، أو الآباء .

وقد برزوا فى المجتمع اليهودى على أنهم حملة لواء الشريعة ، وذلك عندما فتن بريق النفوذ السياسى جماعة القسس فساروا فى ركب الحكام ، والأجانب من فرس ، وإغريق ، ورومان ـ وأخلو المجال الدينى للكتبة ـ فاحتلوه ، وأثبتوا وجودهم فيه .

وعلى الرغم من نشاطهم الرائع فى خدمة الشريعة ، إلا أنهم لا تنسب إليهم آراء مميزة ، الأمر الذى يجعلنا نعتقد أن دور الكتبة كان دورا تعليميا لافكريا وأنهم كانوا إلى التلقين أقرب منهم إلى الريادة والتوجيه .

و (المتعصبون) :

تعكس هذه التسمية الطابع النفسى لهذه الفرقة ، وتكشف عن موقفها من الفرق الأخرى التى لا ترى رأيها .

على أن المتعصبين يتفقون مع الفريسيين فى كثير من العقائد ، وذلك كعقيدة المسيح المنتظر .

كما أنهم يميلون كالفريسيين إلى الزهد ، وكثرة العبادة ، ولكنهم لايتسامحون مطلقا مع الملاحدة .

ومن سياستهم أنهم لا ينتظرون العون من الله ، بل يعملون بأنفسهم على مساعدة الله لتحقيق ما يريده لشعبه ، وكانوا بذلك يكونون الجناح اليسارى فى فرقة الفريسيين .

وكانوا فى غاية الحماسة للحرية ، إلى حد أنهم يرفضون أى سلطان عليهم سوى سلطان الله .

وكان الموت عندهم أسهل من طاعة غير اليهود ، ومن ثم أنكروا على الفريسيين قبولهم للأمر الواقع ، وإشفاقهم على أنفسهم من مسئولية التغيير

والمقاومة ، فقد خضعوا لسلطان الرومان ، واستمرأوا الهوان ، والسلبية ، وتجنبوا مشقات الجهاد .

وقام المتعصبون بثورتهم على الرومان فى مطالع القرن الأول الميلادى فكانت هذه الثورة سبباً فى تفجير غضب الرومان على عامة اليهود ، فضربوا الثائرين ضربات قاسيه ، وذبحوا قادتهم ، فهبوا من جديد يدبرون ثورة أخرى ، فلم يجد الرومان مناصاً من القضاء على السلطة المحلية ، وحكموا اليهود حكماً مباشراً .

وفى هذا الجو بدأ المتعصبون سلسلة من حركات الاغتيال ضد الرومان بل وضد اليهود المتعاونين مع الحكم الرومانى .

وقد بلغوا من القسوة ، والتهور ، إلى حد أنهم كانوا يرتكبون جرائمهم علناً فى الطرقات ، فأطلق عليهم اسم السفاك .

كذلك كانوا يلجأون إلى النهب ، واللصوصية ، والفتك حتى اعتبرهم بعض الباحثين ضمن الفرق السياسية أو فرق العصابات مع أنهم بدأوا حركتهم فى إطار دينى ولكن جرائمهم الكبرى نقلتهم من ميدان إلى ميدان(١) .

أما الشهرستانى فيذكر من كبار الفرق اليهودية أربع فرق هى :

١ — (العنانية) ٢ (العيسوية) ٣ — (اليوزعانية) ٤ — (السامرة)

وننقل ببعض التصرف ما ذكره الشهرستانى فى عرضه لهذه الفرق الأربع .

١ — (العنانية) :

تنسب هذه الفرقة إلى (عنان بن داود)

وأفرادها يخالفون سائر اليهود فى السبت والأعياد .

---

(١) الدكتور أحمد شلبى (اليهودية) ص ٢٢١ ومابعدها .

وينهون عن أكل الطير ، والظباء ، والسمك ، والجراد .

ويصدقون عيسى عليه السلام فى مواعظه ، وإشاراته ، ويقولون إنه لم يخالف التوراة بل قررها ، ودعا اليها ، ولكنهم لا يقولون بنبوته ، بل منهم من يقرر أن عيسى نفسه لم يزعم قط أنه نبى ، وإنما هو أحد القديسين الكبار الذين يتبعون موسى ، ويقدسون التوراة .

أما الإنجيل فليس إلا جمعاً لأحواله من مبدئه إلى كماله قام به أربعة من الحواريين .

٢ — (العيسوية) :

تنسب العيسوية إلى (أبى عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهانى) .

ابتدأت نبوته فى عهد (مروان بن محمد) آخر خلفاء بنى أميه ، وازدهرت فى زمن أبى جعفر المنصور .

وقد كثر أتباعه من اليهود الذين نسبوا إليه كثيراً من الخوارق والمعجزات .

وزعموا أن الله كلمه ، وكلفه أن يخلص بنى إسرائيل من الملوك الظالمين .

وقد حرم أبو عيسى كل الذبائح ، ونهى عن كل ذى روح على الإطلاق طيراً كان أو بهيمة .

وأوجب على أتباعه عشر صلوات .

وخالف كثيراً من أحكام التوراة .

٣ — (اليوزعانية)

ينسبون إلى (يوزعان) رجل من همدان ، وقيل اسمه (يهوذا) .

كان يحث على الزهد، وينهى عن أكل اللحوم، والأنبذة.

ويزعم أن التوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلا، وتأويلا.

وخالف بتأويلاته عامة اليهود، وخالفهم في التشبيه، ومال إلى القول بالقدر وقرر أن العبد يخلق أفعاله على الحقيقة على نحو ماقررته المعتزلة.

٤ - (السامرة):

يسكنون بيت المقدس وبعض ری المصرية.

يثبتون نبوة موسى، وهارون، يوشع بن نون، ولا يعترفون بنبوة أحد من بعدهم فيما عدا نبياً واحدا هو (ألفان)، زعموا أنه هو الذى بشر به موسى وأنه الكوكب الذى ورد في راة أنه يضىء «ضوء القمر».

وكان ظهور ألفان قبل المسيح بمائة سنه تقريباً.

والسامرة يخالفون اليهود في بعض أمور أساسية، فقبلتهم في الصلاة إلى (غرايزم) بين بيت المقدس، ونابلس.

ويزعمون أن الله أمر داود ببناء بيت المقدس بجبل نابلس، أو بالطور الذى كلم الله به موسى، ولكن داود خالف الأمر، وآثر بذلك إلياء.

ولغة السامرة غير لغة اليهود - وهى قريبة من العبرانية، وقد زعموا أن التوراة نزلت بلسانهم، ثم نقلت إلى السريانية (١).

ويلاحظ أن الفرق التى ذكرها الشهرستانى قد ظهر بعضها قبل الإسلام وهذا البعض ولا شك يندرج تحت مفهوم الحديث الشريف الذى استهللنا به هذا الموضوع.

---

(١) الملل والنحل - القسم الأول صـ ١٩١

بينما البعض الآخر ظهر فى وقت لاحق كفرقة (الميسوية) التى ظهرت فى القرن الثانى الهجرى على نحو ما مر بيانه .

على أن بعض الفرق قد تضم داخلها عدد من الطوائف تتفق فيما بينها على المبادىء الأساسية للفرقة الأم ، ثم تختلف بعد ذلك فى بعض الفروع .

ومهما يكن من شىء ، فإن الفرق بشكل عام تمثل أقليات فكرية داخل اليهودية أما جمهور اليهود فيمكن التعرف على عقائدهم وشرائعهم من خلال مصادر معينة تشكل طريقة حكمهم على الأمور، وتحدد أنماط سلوكهم فى الحياة وهذه المصادر هى التى نعرض لها الآن بالبيان .

(٣)

مصادر الفكر اليهودى

يرجع الباحثون بالفكر اليهودى إلى ثلاثة مصادر أساسية - بعضها إلهى مقدس، والبعض الآخر إنسانى وضعى - ولكنه يوشك أن يصل عندهم إلى درجة التقديس.

وهذه المصادر هى :

١ - أسفار العهد القديم .

٢ - التلمـــود .

٣ - بروتوكولات حكماء صهيون .

ونخص الآن كلا من المصادر الثلاثة بشىء من البيان .

أولا : أسفار العهد القديم :

يطلق العهد القديم على مجموعة الأسفار المقدسة عند اليهود فى مقابلة ما يسمى عند المسيحيين بالعهد الجديد .

٢٩

ويتضمن العهد القديم تسعة وثلاثين سفرا يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام

القسم الأول التوراة ، وهى مكونة من خمسة أسفار :

١ - سفر التكوين :

ويقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض إلى استقرار بنى إسرائيل فى أرض مصر مع تفصيل فى قصة آدم وحواء ، ونوح ، والطوفان ، ونسل (سام) ، وإجمال فيما عدا ذلك .

٢ ـــ سفر الخروج :

ويعرض تاريخ بنى إسرائيل فى مصر ، وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بنى إسرائيل ، وتاريخهم فى مرحلة التيه أربعين سنة .

ويشتمل الخروج أيضا على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية فى العبادات والمعاملات ، والعقوبات ، وما إلى ذلك .

٣ ـــ سفر اللاويين :

وقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ماتعلق منها بالأضحية ،والقرابين والمحرم من الحيوانات والطيور .

واللاويون هم نسل (لاوى ، أو ليفى) أحد أبناء يعقوب ـ ومنهم موسى ، وهارون ـ وكانوا سدنة الهيكل ، والمشرفين على المذبح والأضاحى والقرابين والقوامين على الشريعة اليهودية .

٤ ـــ سفر العدد : وقد خصص معظمه للحديث عن إحصائيات تتعلق بقبائل بنى إسرائيل وجيوشهم ، وأموالهم ، وكثيرمايمكن إحصاؤه من شئونهم ـ كما عرض لطائفة من أحكام العبادات والمعاملات .

٥ ـــ سفر التثنية : وقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة ، وشئون الاقتصاد والمعاملات ، والعبادات .

وسمى بالتثنية لأنه يعيد ذكر التعاليم التى تلقاها موسى عن ربه ، وورد ذكرها فى الأسفار السابقة .

القسم الثانى :

أسفار تاريخية وهو إثنى عشر سفرا تعرض لقصة دخول بنى إسرائيل

بلاد الكنعانيين ، واخبارهم بعد استقرارهم فى فلسطين ، وتفصل تاريخ قضاتهم ، وملوكهم ، وأيامهم ، والحوادث البارزة فى شئونهم وهى أسفار (يوشع) (القضاة) ، (صموائيل) ، (سفرا الملوك) ، (أسفارا أخبار الايام) ، (سفرا عزرا) ، (نحميا) ، (أستير) .

القسم الثالث :

أسفار الأناشيد ، أو الأسفار الشعرية ـ وهى الأناشيد والمواعظ معروضة بأسلوب شعرى بليغ ـ وهى خمسة أسفار (أيوب) ، (مزامير داود) .

(أمثال سليمان) ، (الجامعة من كلام سليمان) ، (نشيد الأناشيد لسليمان) .

القسم الرابع :

أسفار الحكمة أو أسفار الأنبياء ـ وهى سبعة عشر سفرا (أشعيا) ، (أرميا) (مراثى أرميا) ، (حذقيال) ، دنيال) ، (هوشع) ، (يوئيل) ، (راعوس) (عوبديا) ، (يونس أو يونان) ، (ميخا) ، (ناحوم) ، (خبقوق) ، (صافنيا) ، (حجى) ، (زكريا) ، (ملاحيا) .

وجميع هؤلاء من أنبياء بنى إسرائيل إلا يونس فقد أرسل إلى (نينوا) .

ويستنتج كثير من الباحثين المحدثين كما يقول الدكتور على عبد الواحد وافى من ملاحظة الأساليب التى كتبت بها هذه الأسفار أن الجانب الأكبر منها إنما كتب فى عصور لاحقة للعصور التى يعتبرها اليهود عصور نزول الأسفار .

فلاحظة أسلوب التوراة بما اشتمل عليه من موضوعات وأحكام ، وتشريعات وملاحظة البيئات الاجتماعية ، والسياسية التى تنعكس فيها .

كل هذا يؤكد أن التوراة قد ألفت فى عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام بأمد غير قصير .

فقد عرفنا أن موسى ظهر فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

والذى تشير إليه الدراسات الحديثة أن معظم سفرى التكوين ، والخروج ألف فى حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألف فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد .

وأن سفرى العدد، واللاويين قد ألفا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد .

وعلى أساس هذه الدراسات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسما آخر من أسفار العهد القديم قد ألف فى الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع ، وأوائل القرن السادس قبل الميلاد .

ويشمل هذا القسم أسفار يوشع ، والقضاة ، وصموائيل ، والملوك ، والأمثال ، ونشيد الأناشيد ، ومعظم أسفار الأنبياء .

يتبين من هذا أن أسفار اليهود تعكس الأفكار ، والنظم التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم القديم .

وقد ألفت أسفار العهد القديم باللغة العبرية فيما عدا أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية .

وأقدم ترجمة للعهد القديم هى الترجمة السبعينية وهى التى تمت فى سنتى ٢٠٣ و ٢٨٢ قبل الميلاد وكانت هذه الترجمة إلى اليونانية وقام بها إثنان وسبعون حبرا من يهود مصر بأمر بطليموس فيلاديلف .

وعن هذه الترجمة نقل العهد القديم الى عدد من اللغات القديمة ، والحديثة .

ومما هو جدير بالذكر أن بعض أحبار اليهود يضيفون الى الأسفار المذكورة أسفارا أخرى لا يقبلها أحبار آخرون .

كذلك يختلف المسيحيون فى عدد أسفار العهد القديم - فبينما نجد النسخة البروتستانتية تذكر تسعة وثلاثين سفرا - نجد النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أخرى - فتصبح ستة وأربعين .

ثانياً: التلمـــود .

يقصد بالتلمود التعاليم والروايات الشفوية .

ويتألف من الأبحاث التى قام بها أحبار اليهود ، وفقهاؤهم المنتمون إلى فريق الفريسيين فى شئون العقيدة ، والشريعة ، والتاريخ المقدس .

ويشتمل على ثلاثة وستين سفرا .

ويتكون التلمود من متن ، وشرح .

أما المتن فقد ألف فى القرنين الأول ، والثانى بعد الميلاد ، وأطلق عليه اسم (المشناة) بمعنى المثنى ، أو المكرر ، أى أنه تسجيل الشريعة .

ثم وضعت شروح المشناة إبتداء من القرن الثانى إلى أواخر القرن السادس وأطلق على هذه الشروح اسم (الجمارا) ، أى الشرح ، والتعليق .

ويطلق التلمود على مجموع المشناة ، والجمارا معاً .

وتجدر الإشارة إلى أن المشناة كتبت - باللغة العبرية - وكتبت الجمارا بالآرامية - غير أن عبرية المشناة تختلف اختلافا كبيرا عن عبرية العهد القديم ذلك لأن أسفار المشناة قد كتبت بعد أن انقرضت العبرية كلغة تخاطب بين اليهود ، وحلت محلها الآرامية ، وأصبحت العبرية مقصورة على ميـــدان الكتابة وخصوصا فى المسائل الدينية - وذلك يعطى للمشناة نوعا من الارتفاع النسبى فى اللغة يحوج إلى كثرة الشروح .

وقد قامت بالجارا مدرستان .

إحداهما مدرسة يهود فلسطين - وقد ألفوا شروحهم باللهجة الآرامية الفلسطينية - وهي نفس اللهجة التي استخدموها في ترجمة العهد القديم .

ويتألف من شروحهم مع المتن مايعرف بتلمود بيت المقدس

أما المدرسة الثانية - فهي مدرسة يهود بابل .

وقد ألفوا شروحهم باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية .

ويتألف من شروحهم مع المتن مايعرف بتلمود بابل .

وعن اللغتين العبرية ، والآرامية ترجم التلمود إلى كثير من لغات العالم[1] .

وقد أشرنا في حديثنا عن الفرق اليهودية إلى أن من اليهود من لا يعترفون بالتلمود ككتاب مقدس ، ويقصرون القداسة على أسفار العهد القديم ، أو على أسفار التوراة .

ثالثاً : بروتوكولات حكماء صهيون :

نصل الآن إلى المصدر الثالث والأخير من مصادر الفكر اليهودي - وهو بروتوكولات حكماء صهيون .

وندع الدكتور أحمد شلبي يحدثنا عن هذه البروتوكولات فيقول :

لايزال واضعو هذه البروتوكولات ، ووقت وضعها من الأسرار التي لم تكشف حتى الآن بوجه الدقة .

---

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة ص ٥ والدكتور أحمد شلبي ، اليهودية ص ٢٣٠

وتدل الظواهر على وجود علاقة زمنية بين هذه البروتوكولات ، وبين نهاية القرن التاسع عشر ، وعلى وجود ارتباط بين هذه البروتوكولات ، وبين مؤتمر « بال » الذى عقد سنة ١٨٩٧ .

ويرجع هذا الفهم أن هذه البروتوكولات عبارة عن مؤامرة شريرة ضد البشرية كما كانت رد فعل لمعاناة اليهود من خلال القرن التاسع عشر من اضطهاد أوروبا وما نزل بهم من جور ، وتعسف .

فقد درسوا فى هذا المؤتمر ضمن ماتدارسوه وسائل الإنتقام من البشرية جميعا التى اعتقد اليهود إنها اشتركت كلها بطريق أو بآخر فى إذلالهم والنيل منهم.

وبروتوكولات معناها « محاضر جلسات » ويسميها بعض الباحثين قرارات.

وتلتقى التسميتان إذا لاحظنا نصوص البروتوكولات ، وأنها عبارة عن تقرير وضعه بعض الباحثين ، وأن هـــذا التقرير عرض على المؤتمرين فى بال بسويسرا وأن المؤتمرين أقروه .

فالبروتوكولات تقرير بالنسبة لواضعيها ، ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين فى جلساتهم ، وقرارات بالنسبة لقبولها ، وتأييدها[1] .

وكانت هذه البروتوكولات موضوعة فى مخابىء سرية ، ولايعرف محتوياتها إلا الخاصة من اليهود الذين يعملون على تنفيذ ما جاء بها بهدوء ، وحسب تخطيط منظم .

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم فى وكر من أوكارهم الماسونية السرية فى فرنسا أن تختلس بعض هذه البروتوكولات ، ثم تفر بها .

(١) اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٢٧٢

ووصلت هذه الوثائق إلى (إليكس نيقولا نيفلتش) كبير أعيان روسيا القيصرية الذى دفع بها إلى صديقه العالم الأستاذ (سرجى نيلوس) فدرسها دراسة دقيقة وأدرك خطورتها الحقيقية ، وأستطاع من خـــلال مقارنتها بالأحداث الجارية أن يتنبأ بكثير من الأحداث التى وقعت بعد ذلك بسنوات كما قدرها .

من ذلك نبوءته بتحطيم القيصرية فى روسيا ، ونشر الشيوعية فيها .

ومنها أيضاً نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية .

ومنها نبوءته بعودة اليهود إلى فلسطين ، وقيام دولة إسرائيل فيها .

ومنها نبوءته بسقوط الملـكيات فى أوربا ، وقد زالت الملـكيات فعلا فى ألمانيا ، والنمسا ، ورومانيا ، وأسبانيا وإيطاليا .

ومنها إثارة حروب عالمية لأول مرة فى التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب ولا يظفر بغنائمها إلا اليهود .

وقد طبع الأستاذ نيلوس البروتوكولات لأول مرة سنة ١٩٠٢ فافتضحت نوايا اليهود ، وتنبه العالم إلى خططهم الشريرة ضد راحته وسعادته ، فعمت المذابح ضدهم فى روسيا حتى لقد قتل منهم فى احداها نحو عشرة آلاف ، وقد قام أكبر زعمائهم (تيودور هرتزل) باصدار منشور يعلن فيه أنه قد سرقت من قدس الأقداس بعض الوثائق السرية التى قصد اخفاؤها على غير أصحابها ، وأن ذيوعها قبل الأوان يعرض اليهود فى العالم لشر النكبات ، وهب اليهود فى كل مكان يعلنون أن البروتوكولات ليست من عملهم ، وأنها مختلقة عليهم .

ولـكن العالم لم يصدق مزاعمهم للاتفاق الواضح بين خطة البروتوكولات والأحداث الجارية فى العالم يومئذ .

وجد اليهود في اخفاء فضيحتهم فأقبلوا يشترون نسخ الكتاب من الأسواق بأي ثمن ، واستعانوا بذهبهم ، ونسائهم ، وتهديداتهم ، ونفوذ هيئاتهم وزعمائهم في سائر الأقطار الأوروبية لا سيما بريطانيا لكي تضغط على روسيا لإيقاف المذابح . ومصادرة نسخ الكتاب ، فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة .

ولكن (نيلوس) أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥ . ونفدت هذه الطبعة في سرعة غريبة وبوسائل خفية . لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها .

وفي انجلترا عكف الأستاذ (فكتور مارسدين) مراسل جريدة مورننج بوست على ترجمة البروتوكولات إلى الإنجليزية .

ثم توالت بعد ذلك ترجمتها إلى اللغات المختلفة مع حرص اليهود دائماً على جمع نسخها من الأسواق[1] .

وعدد البروتوكولات أربعة وعشرون تتسم بعدم تسلسل الأفكار .

وربما كان مرجع ذلك أن السيدة الفرنسية لم تستطع أن تختلس من البروتوكولات غير جزء ينقصه الترتيب .

والهدف العام للبروتوكولات إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود ، وتديرها حكومة يهودية .

ومن أجل ذلك يمكن أن تنقسم البروتوكولات إلى قسمين :

يبحث القسم الأول في موقف اليهود من العالم قبل تحقيق هدفهم .

ويبحث القسم الثاني في موقف اليهود من العالم بعد أن يصبحوا أصحاب السلطان عليه .

---

(١) راجع مقدمة البروتوكولات . لمحمد خليفة التونسي . ص ٢٣ وما بعدها

والبروتوكولات العشرة الأولى تتبع القسم الأول .

وبقية البروتوكولات تتبع القسم الثانى .

ويحسن بنا قبل أن نفرغ من الحديث عن البروتوكولات أن نعرض بعض نماذج منها على سبيل المثال ليتسنى للقارىء أن يكون فكرة عن الأسلوب الذى كتبت به .

ورد فى البروتوكول الأول والثانى : « يلزم لغرضنا أن لاتحدث أى تغييرات إقليمية عقب الحروب ـ فبدون التغييرات الإقليمية ـ ستتحول الحروب إلى سباق اقتصادى ، وعندئذ تتبين الأمم نفوذنا فى المساعدة التى سنقدمها وإن اضطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوى ملايين العيون الذين يملكون وسائل غير محدودة على الإطلاق ، وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم ، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذى تحكم به الحكومات الفردية رعاياها .

وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين من لهم ميول العبيد ، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم ـ ولذلك يكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا فى أيدى مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصا على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة ـ وهؤلاء الرجال ـ كما علمتهم من قبل ـ قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية ، ومن تجربة التاريخ ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية والأميون (غير اليهود) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة . بل يتبعون نسقا نظريا من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه .

ومن أجل ذلك لسنا فى حاجة إلى أن نقيم للأميين وزنا .

فدعوهم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم . دعوهم

يعيشوا فى أحلامهم بملذات وملاه جديدة ، أو يعيشوا فى ذكرياتهم للأحلام الماضية .

دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم ، وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا تزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة إن الطبقة المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافا فى مزاولة المعرفة التى حصلتها من العلم الذى قدمه إليها وكلاؤنا رغبة فى تربية عقولها حسب الاتجاه الذى توخيناه .

لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشة قد رتبناه من قبل . والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأمى (غير اليهودى) سيكون واضحا لنا على التأكيد[1] .

ويشير البروتوكول الثالث إلى محاولة الصهاينة القضاء على السنن، والضوابط التى تحكم النظام الاجتماعى . وقد ورد فيه بهذا الخصوص :

« إن كل الموازين البنائية القائمة ستنهار سريعا ، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كى نبليها بسرعة أكثر ، ونمحق كفايتها[2] .

ويكشف البروتوكول الحادى عشر عن نظرة الصهاينة إلى العالم غير اليهودى وذلك على النحو التالى « إن الأميين كقطيع من الغنم وإننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة ؟

---

(١) البروتوكولات ص ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٥ .

أنها لتغمض عيونها من كل شيء . وإلى هذا المصير سيدفعون)[1] .

هذه هي المصادر الثلاثة اللاتي يتحتم على الباحث التركيز عليها للتعرف على عقائد اليهود ، وشرائعهم ، وأخلاقهم ، وآمالهم — ولا سيما أسفار التوراة — وهي التي أجمع على تقديسها باعتبارها كتابهم السماوي الذي يعد الصدور عنه في الفكر ، والعمل كمال الإيمان .

(١) البروتوكولات صـ ١٥٨ .

المبحث الثانى

فى العقيدة

تدور أبحاث العقيدة فى الأديان حول موضوعات أساسية ثلاثة هى حسب ترتيبها فى الأهمية :

١ ـ الله وما يجب له ، وما يجوز فى حقه ـ وما يستحيل عليه .

٢ ـ النبوات ، وما يجب للنبى ، وما يجوز فى حقه ، وما يستحيل عليه .

٣ ـ الحياة الأخرى ، وما يقع فيها من بعث ، وجزاء ، وما يتعلق بذلك من سائر السمعيات .

وقد تكون هناك محاور أخرى للبحث ، وميادين مختلفة للحديث ـ ولكنها مع التحقيق تتصل بهذه الموضوعات الثلاثة ، أو تترتب عليها ـ فهى منها بمثابة الفروع والتفاصيل .

والذين يدرسون أسفار العهد القديم يجدون هذه الأسفار توشك أن تهمل الجانب الثالث من جوانب العقيدة ـ فهى لا تتحدث عن الآخرة ، وما يقع فيها من مشاهد البعث ، ومواقف الجزاء ـ وإنما تتعجل بمثوبة الخير ، وعقوبة الشر فى هذه الحياة الدنيا بحيث لا يبقى من ذلك ما يحتاج استكماله إلى حياة أخرى بعد الموت .

وتشيع هذه الروح فى سائر أسفار العهد القديم فيما عدا بعض الأسفار المتأخرة التى تشهد إشارات سريعة إلى الحياة الأخروية .

وربما كان توقيت هذه النزعة الجديدة مرتبطا بالشعور النفسى لليهود وقد

تعرضوا لمظاهر القمع ، والقهر ، والاضطهاد ، وعرفوا حياة التمزق ، والخوف والعبودية - وكأنهم وقد خابت آمالهم فى تحقيق السعادة على الأرض بدأوا يتطلعون إلى سعادة أخرى فى السماء .

أو كأنهم حين عجزوا عن القصاص لأنفسهم فى الدنيا شرعوا يحلمون بقصاص عادل فى يوم عصيب .

يقول (فرويد) : (أما الديانة اليهودية المبكرة فقد تخلت كلية عن فكرة الخلود ولا يرد فى أى مكان فيها احتمال الحياة بعد الموت)[1]

ويقول الدكتور محمد جابر عبد العال الحينى « ولعل أشمل ما ورد ما جاء بتاريخ أبى الفداء وهو قول يشاركه فيه غيره من كتاب الفرق القدماء قال : وليس فى التوراة ذكر للقيامة ، ولا الدار الآخرة ، ولا فيها ذكر للبعث ، ولا الجنة ، ولا النار وكل جزاء فيها فإنما هو معجل فى الدنيا - فيجزون على الطاعة بالنصر على الأعداء وطول العمر ، وسعة الرزق . ويجزون على الكفر ، والمعصية بالموت ، ومنع القطر والحيات ، وأن ينزل عليهم بدل المطر الغبار ، والظلمة - وليس فيها ذم الدنيا ، ولا الزهد فيها ، ولا صـــلاة معلومة بل الأمر بالبطالة ، والقصف واللهو .

وهذا التصور ليس بعيدا عن اليهودية - لأنهم قليلا ما أشاروا إلى حياة أخرى بعد الموت - كما أنهم لم يوردوا شيئا فى أسفارهم عن الخلود فى الحياة الأخرى لأن الثواب ، والجزاء يصيبان المرء فى حياته .

ولم تذهب اليهودية إلى فكرة البعث إلا بعد أن فقدوا الأمل فى استعادة

---

(١) موسى مصريا ، ونظرية فرويد فى التاريخ اليهودى ، لمحمد الدرب موسى ، ص ٧

سلطانهم على الأرض ، ومن ثم فهى فكرة متأخرة فى التاريخ اليهودى» (١)

ويقول الأستاذ العقاد «وقد خلت الكتب الإسرائيلية من ذكر البعث واليوم الآخر . . .

فالأرض السفلى ، أو الجب ، أو الشيول هى الهاوية التى تهوى إليها الأجسام بعد الموت ، ولا نجاة منها لميت وأن الذى ينزل الى الهاوية لا يصعد .

وأول إشارة ليوم البعث وردت فى الإصحاح الرابع والعشرين من كتاب أشعيا الذى عاش حوالى القرن الثالث قبل الميلاد - وفيه نبوءة عن يوم يطالب الرب جند العلاء فى العلاء ، ويجمعون جميع الأسارى فى السجن ، ويخجل القمر ، وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك فى جبل صهيون ، وفى أورشليم .

وفى الإصحاح السابع والعشرين بعده أن الرب يعاقب بسيفه القاسى الشديد فى ذلك اليوم لياسان الحية العارية ، ويقتل التنين الذى فى البحر .

ومن أعمال ذلك اليوم كما جاء فى الإصحاح الخامس والعشرين أن رب الجنود يصنع لجميع الشعوب وليمة السمان وليمة الخمر على دردى سمان ممخة دردى مصفى .

وجاءت إشارة أخرى إلى يوم البعث ، والدينونة فى الإصحاح الثانى من كتاب دنيال وهى أصرح من الإشارات السابقة حيث يقول فيها النبى : أن كثيرا من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية .

وهؤلاء إلى عار الازدراء الأبدى .

---

(١) فى العقائد والأديان ص ٢١٦

ويلاحظ أن كتاب دنيال لا يحسب من كتب العهد القديم فى جميع النسخ .

ويرجع تاريخ هذه النبوءة إلى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد حوالى سنة مائة وخمس وستين .

وإذا كان الثواب والعقاب قبل ذلك نصرا يؤتاه الإسرائيليون على الأعداء أو بلاء يصابون به على أيدى الأقوياء جزاء لهم على خيانتهم ياهو ، وعبادتهم غيره من أرباب الشعوب (١) .

ونكتفى بهذه النصوص فى تأكيد ماقررناه من أن أسفار العهد القديم قد أغفلت الحديث عن الآخرة ، واعتبرت الموت هو المشهد الختامى فى حياة الانسان الحافلة بمواقف العمل ، والجزاء فيما عدا بعض الأسفار المتأخرة التى تضمنت إشارات سريعة إلى الحياة الأخروية كتعويض عما لقيه اليهود من مرارة ومعاناة .

وعلى هـــذا نقصر حديثنا بعد هذا التمهيد على قضيتين اثنتين ـ الألوهية ، والنبوءات .

أولا ـ الألوهية :

يعرف اليهود إلهم باسم (يهوا) أو (ياهو) وهو إسم أطلقه الإله على نفسه كما تذكر التوراة .

وقد ورد فى سفر الخروج « وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل ياهو إله آبائكم إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا إسمى إلى الأبد ، وهذا ذكرى إلى دور فدور (٢) .

---

(١) عباس محمود العقاد فى كتابه الله ص ١٠٩

(٢) الخروج ، الإصحاح الثالث

فياهو إذن هو الإسم الأعظم الذى يضم كل وجوه السمو والكمال .

وفى بيان معنى هذا الإسم ، أو تفسير هذه التسمية يقول الأستاذ العقاد « وهو إسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق ـ فيصح أنه من مادة الحياة ـ ويصح أنه نداء لضمير الغائب لأن بنى إسرائيل كانوا يتقون ذكره توقيرا له، ويكتفون بالاشارة إليه ، ويصح غير ذلك من الفروض »[1] .

وقد نسبت الكتب اليهودية المقدسة إلى (ياهو) عددا من الصفات التى تصور اليهود أنها مظاهر قداسة، وجوانب كمال ، أو أنها لا تتنافى مع مقتضيات الألوهية على أقل تقدير .

ولعل أكثر هذه الصفات وضوحا فى كتبهم ، وورودا على ألسنتهم ثلاث صفات هى :

(أ) التفرد بالخلق .

(ب) التجسد .

(ج) القوة ، والحدة ، وسرعة اتخاذ القرار .

ونلقى الضوء على كل من هذه الصفات الثلاث حسب ماجاء فى كتبهم المقدسة.

(١) التفرد بالخلق .

يقرر اليهود أن (ياهو) كان ولم يكن شىء معه ، وأنه حين اتجهت إرادته إلى ظهور العالم خلق الكائنات المختلفة وحده دون أن يكون له معين ، أو شريك.

ويعرض سفر التكوين قصة خلق العالم فيقول :

---

(١) الله ، ص ١٠٨

« فى البدء خلق الله السموات والأرض ، وكانت الأرض خربة ، وخالية على وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفه ، وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ـ ودعا الله النور نهارا ، والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا .

وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه ، ليكون فاصلا بين مياه ، ومياه ، فعمل الله الجلد وفصل التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء وكان صباح وكان مساء يوما ثانيا ، وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك ودعا الله اليابسة أرضا ، ومجتمع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا وشجرا مثمرا يعمل ثمرا كجنسه بذره فيه على الأرض ، وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبذر بذرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بذره فيه جنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا ، وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنوارا فى جلد السماء لتنير على الأرض ، وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين ـ النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم وجعلها الله فى جلد السماء لتنير .

ورأى الله ذلك أنه حسن و ، كان مساء وكان صباح يوما رابعا ، وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ، وليطير طير فوق الأرض على وجه جلد السماء ، وخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذى جناح كجنسه . ورأى الله ذلك أنه حسن .

وباركها الله قائلا أثمرى وأكثرى واملئى المياه فى البحار وليكثر الطير على الأرض ، وكان مساء وكان صباح يوما خامسا .

وقال الله لتخرج الأرض أنفسا حية كجنسها . بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان كذلك فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميـــع الدبابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على الأرض .

وقال الله لأنى قد أعطيتكم كل بقل يبذر بذرا على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر يبذر بذرا . لكم يكون طعاما . ولكل حيوان الأرض ، وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما كان كذلك

ورأى الله كل عمله - فإذا هو حسن جدا ، وكان مساء ، وكان صباح يوما سادسا » (١) .

وهكذا يعرض سفر التكوين قصة خلق السموات ، والأرض ، وما فيهن فى ستة أيام وينسب ذلك كله الى الله تعالى دون أن يكون له ند أو شريك على نحو ما نجده فى الأديان الوضعية كالبرهمية ، والزرادشتية .

وبذلك تكون اليهودية ديانة توحيد خالص فيما يتعلق بمسألة الخلق .

ولكن الأمر لا يستمر على هذا النمط من القوة ، والاستقامة كما سنرى بعد قليل .

---

(١) الإصحاح الأول .

التجسد :

الطبيعة اليهودية بشكل عام أقرب الى المادية منها إلى الروحية ، وأميل إلى التجسيد منها إلى التجريد .

وقد انعكس ذلك على فكرتهم عن الله ، فلم يستطيعوا أن يتصوروه كائنا ساميا منزها عن المادة ، ولوازمها — وإنما تشير كتبهم المقدسة فى كثير من المواضع إلى ماديته وتجسده وتمثله فى أشياء قرروا أنها من خلقه .

فقد كانوا يتمثلونه فى رحلاتهم وأسفارهم أمامهم يهديهم شعاب الطريق متمثلا فى عمود سحاب أو عمود نار .

وعن ذلك تقول التوراة بصدد الحديث عن خروج بنى إسرائيل من مصر « وكان الرب يسير أمامهم فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضىء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا لم يبرح عمود السحاب نهارا ، وعمود النار ليلا من أمام الشعب » (١) .

وإذا كانت أفضل تجسدات الرب تتم حين يتقمص جسد إنسان ـ فقد نسبوا إليه كثيرا من اللوازم الإنسانية حتى ما اتصل منها بالضعف ، والعجز ، والقصور — فهو يتعب ويستريح ، ويندفع ، ويندم ، ويتنازل ، وينهزم ، ويسلم لخصمه ، ويخضع للأمر الواقع .

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

ونسوق الآن من نصوص الكتب المقدسة ما يتضمن الإشارة الى هذه العقائد الباطلة .

---

(١) سفر الخروج ، الإصحاح الثالث عشر .

وقد ورد في سفر التكوين بعد قصة الخلق « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح في اليوم السابع من عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل إلها خالقا »[1] .

وفي سفر صموائيل الأول بعد أن خالف شاول ملك بنى إسرائيل أمر ربه في القتال .

وكان كلام الرب إلى صموائيل قائلا « ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ، ولم يقم كلامى »[2] .

وتتحدث التوراة عن موقف من مواقف يعقوب حصل فيه على بركة الرب فسماه بإسرائيل إشارة إلى قوته ، وصموده ـ تقول التوراة :

« ثم قام في تلك الليلة ، وأخذ إمرأتيه ، وجاريتيه ، وأولاده الأحد عشر ، وعبر مخاضة يبوق ـ أخذهم ، وأجازهم الوادى ، وأجاز ماكان له ، فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر .

ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه .

وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ـ فقال له لا أطلقك إن لم تباركنى .

فقال له ما إسمك ـ فقال له يعقوب ـ فقال لا يدعى إسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ـ لأنك جاهدت مع الله ، والناس ، وقدرت .

---

(١) التكوين ، الإصحاح الثانى .

(٢) صموائيل الأول الإصحاح الخامس عشر .

وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك ، فقال لماذا تسأل عن إسمي وباركه هناك ، فدعا يعقوب إسم المكان فنيائيل . قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ، ونجيت نفسي(١) .

(ج) القوة ، والحدة ، وسرعة اتخاذ القرار .

وعلى الرغم مما يعترى يهوا أحيانا من الضعف ، والخنوع - إلا أنه في أكثر الأحيان قوى عنيف يمطر اللعنات على رؤوس مخالفيه بغير حساب - وتتسع نقمته لتشمل النساء والأطفال ، والشيوخ المسالمين . بل وتتسع أكثر لتشمل مع هؤلاء البهائم ، والطيور التي يملكها الأعداء .

ولا يكتفي يهوا الدموى بتدمير جيل المخالفين - بل قد يصل إنتقامه إلى الجيل الثالث ، والرابع من أحفادهم . وهكذا يعذب الأبناء بذنب الآباء ، والأحفاد بجريمة الأجداد .

ويتحدث التلمود عن الرب فيقول : صوت الرب قوى ، صوت الرب ملىء بالجلال ، صوت الرب مكسر الأرز ، بل الرب يفتت أرز لبنان ، صوت الرب يقدح لهب النار ، صوت الرب يزلزل البرية ، يزلزل برية قادش ، صوت الرب يولد الإبل ، ويجعل الغابات جرداء ، وفي هيكله الكل قائل المجد لله »(٢) .

ومما يعكس الروح التدميرية ليهوا ماورد في تتويج شاول ملكا على بني إسرائيل .

« وقال صموائيل لشاول أياى أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه إسرائيل،

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح الثاني والثلاثون .

(١) الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ، في العقائد والأديان ص ٢٢٣

والآن فاسمع صوت كلام الرب هكذا يقول رب الجنود إنى قد أفتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر .

فالآن اذهب ، واضرب عماليق ، وأحرمه كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلا ، وإمرأة ، وطفلا ، ورضيعا ، وبقرا وغنما ، وجملا وحمارا »[1]

وقد يغضب يهوا على أصفيائه لسبب ما - فلا يمنحهم نعمة العفو أو فرصة الاعتذار وإنما يصيبهم بنقمته . ويصيب نسلهم كذلك .

ومن أوضح الشواهد على ذلك ما تقصه التوراة من وعيده لآدم ، وحواء على أثر مخالفتهما بالأكل من الشجرة .

والنص الذى سنسوقه ينسب إلى يهوا بعض اللوازم البشرية الأخرى كالتنزه والتجسد وقصور العلم - إلى حد أنه كان خالى الذهن تماما من معصية آدم ، وزوجته حتى اعترفا له بذلك .

تقول التوراة :

« سمع صوت الرب الإله ماشيا فى الجنه عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم ، وقال له أين أنت ، قال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت ، فقال من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت ، فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذى فعلت، فقالت المرأة : الحية أغرتنى فأكلت، فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ،

---

(١) صموائيل الأول ، الإصحاح الخامس عشر .

على بطنك تسعين ، وترابا تأكلين ، كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه ، وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعابك حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً ، إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك ، وقال لآدم لأنك سمعت قول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل أعشاب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخرجتك منها لأنك تراب وإلى تراب تعود »(1) .

وقد يتنبه ياهو فى ثورته الجامحة إلى خطئه فى رأى ، أو تطرفه فى قرارا فيرجع إلى حلمه ، ويعدل عن قراره ، بل قد يتبع ذلك بالندم على سرعة اندفاعه وحدة انفعاله .

يتمثل هذا واضحا فى عفوه عن عبدة العجل بعد مراجعة موسى له وتذكيره بمواثيقه السابقة .

وتعرض التوراة القصة كاملة فتقول :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل - اجتمع الشعب على هارون وقال قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل، وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض

(1) سفر التكوين ، الإصحاح الثالث .

مصر فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامهم ، ونادى هارون وقال هذا عيد الرب فبكروا فى العيد واصنعوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة .

وجلس الشعب الأكل والشرب ، ثم قاموا للعب ، فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر ، زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له ، وقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر ، وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم فأصيرك شعبا عظيما .

فتضرع موسى أمام الرب الإله وقال لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ، ويد شديدة ، لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ، ارجع عن حمو غضبك وأندم على الشر بشعبك أذكر ابراهيم واسحاق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد فندم الرب على الشر الذى قاله أنه يفعله بشعبه »[1] .

وإلى جانب مايفيده النص السابق من عدول ياهو عن قراراته عند مراجعته وتنبيهه إلى الصواب - فإنه يشير أيضا إلى مرحلة من مراحل تصـــور اليهود للألوهية وهى المرحلة التى ضاقت فيها مداركهم عن تصور إله لا يسمعون صوته ، ولايرون صورته - فاتخذوا من حليهم عجلا جسدا له خوار .

---

(١) الخروج ، الاصحاح الثانى والثلاثون .

وهناك مرحلة ثالثة وأخيرة وفيها تخلصوا من تصور يهوا مشدودا بقيود الجسمية والمكان فتصوروه إلها مجردا يعلم أحوالهم، ويرحم ضعفهم طوال ساعات الليل والنهار وأيا كان المكان الذى يمرون به، أو يقيمون فيه.

وقد كانت هذه المرحلة الراقية فى التصور والتى انتهى إليها اليهود فى القرن السادس قبل الميلاد تتفق تماما مع أوضاعهم السياسية والاجتماعية حين تعرضوا للأسر البابلى بكل ما صحبه من تمزق وتشتت وهوان.

فهى إذن ثلاث مراحل مر بها التصور اليهودى الألوهية.

إحداها كان الإله فيها متصفا بالخلق والقوة مع اتصافه بالجسمية وبعض لوازمها.

والثانية تصور فيها عجلا مسبوكا من الذهب.

والمرحلة الثالثة ارتقى فيها التصور الى النحو من التجريد يليق بذات الإله.

ويلخص الأستاذ العقاد التصور اليهودى للإله فى بعض مراحله فيقول:

(وعبدوا الإله باسم «ايل» لأنه القوى فى اللغة الآرامية).

ولكن الأسماء العبرية تدل على أنهم قد لبثوا زمانا يصفون الإيل بالصفات البشرية — ويقبلون نسبة القرابة الإنسانية كما فى إسم «عمائيل» من العمومة أو «أيل أب» من الأبوة وغير ذلك من أواصر الأسرة البشرية.

وظلوا إلى ما بعد أيام موسى عليه السلام ينسبون إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته فيذكرون أنه كان يتمشى فى الجنة، وأنه كان يصارع، ويأكل ويشرب ويغشى مركبات الجبال، وأنه دفن موسى حين مات فى مآب[1].

---

(١) الله، ص ١٠٨

(ثانيـــا)

النبـــوات

آمن اليهود بضرورة الرسل والأنبياء مبلغين عن يهوا ما يريد أن يشرعه للناس من طقوس العبادة وأنماط السلوك .

وقد أشرنا فيما قبل إلى أن الله قد أرسل إليهم عددا كبيرا من الرسل الذين كانوا يجددون فيهم الشعور الدينى كلما انحرف بهم الهوى عن جادة الطريق وقد عللنا كثرة الرسل للذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل بسرعة زيغهم عن الحق وشدة قابليتهم للانحراف .

ولهذا السبب نفسه لا نعجب حين نراهم متقلبين على أنبيائهم متمردين عليهم ولعل فى نص عبادة العجل الذى أوردناه منذ قليل ما يشير إلى هذه الحقيقة أما اعتقادهم النظرى فى الأنبياء فيتسم بكثير من السفاهة والانتقاص ولا يستثنى من ذلك الأنبياء الذين ينتسبون إليهم ويتعصبون لهم الأمر الذى يدل على أنهم قد يصدرون فى عقائدهم عن تصورهم المادى للأمور وحكمهم المختل على الأشياء .

والصورة العامة التى ترسمها أسفارهم المقدسة للأنبياء إنما هى صورة قاتمة تبعث على التقذذ والغثيان .

فهم بشر كسائر البشر تصدر عنهم الرذائل النفسية المخزية ويقبلون على دنايا الأمور فى غير وعى أو فى غير اكتراث .

ونؤيد الآن ما قلناه بالشواهد من أسفار اليهود المقدسة فنعرض لتصوير

هذه الأسفار انصرفت طائفة من الأنبياء الذين يعتز بهم بنو إسرائيل وسنعرف إلى أي حد كانت هذه الأسفار تصور طبيعة الشعب اليهودي لا طبيعة هؤلاء الأنبياء الأجلاء .

فنوح عليه السلام يشرب الخمر ويسرف في سكره حتى يتعرى ويكون أضحوكة لبعض بنيه .

تقول التوراة وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر (حام) أو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا فأخذ (سام) و (يافث) الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم (١) .

ويغلب على الظن أن وراء النص سرا سياسيا خطيرا هو محاولة تفضيل الساميين ومنهم اليهود على الكنعانيين الذين كان اليهود أنفسهم يناصبونهم العداء وينازعونهم على أرض فلسطين .

فإذا انتقلنا إلى إبراهيم عليه السلام فإن التوراة تصف رحلته إلى مصر فتنسب إليه واقعة يظهر فيها التهاون بالشرف والتماس الرزق والأمن على حساب العرض والفضيلة فقد ورد في سفر التكوين (وحدث جوع في الأرض فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا

---

(١) سفر التكوين الإصحاح التاسع .

رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك قولى أنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارى امرأة ابرام فدعا فرعون إبرام وقال له ما هذا الذى صنعت بى لماذا لم تخبرنى أنها امرأتك لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى والآن هى امرأتك خـــذها واذهب فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان [١] .

والغريب أن التوراة عادت فنسبت مثل هذه الواقعة إلى ابراهيم مع ملك جرار كما نسبت مثل ذلك إلى كل من إسحاق ولوط عليهما السلام[٢] .

أما داود فيصوره العهد القديم ملكا عربيدا مشغولا بإشباع شهواته النهمة وإرضاء رغباته الجامحة وهو لا يبالى فى سبيل تحقيق ذلك بأن يكذب ويحتال بل أنه استبيح فى سبيل شهواته هدم أسرة مستقرة وقتل زوج برىء .

ولنستمع إلى هذه القصة التى تتنافى مع أبسط أصول الأخلاق والتى تشين نسبتها أى رجل عادى فضلا عن أن يكون بطلها واحدا من أنبياء الله الأطهار .

(وكان عند تمام السنة فى وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده معه وجميـــع إسرائيل فأخرجوا بنى عمون وحاصروا ربه وأما داود فأقام فى أرشليم وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك

---

(١) التكوين الثانى عشر .
(٢) التكوين الاصحاح السادس والعشرون .

فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول أرسل إلى أوريا الحثى فأرسل يوآب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك فقال أوريا لداود إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل .

وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا وكتب فى المكتوب يقول اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضا[1] .

---

(١) سفر صموئيل الثانى ، الاصحاح الحادى عشر .

ثم جاءت الرسل إلى داود بأخبار القتال وعلمت زوجة أوريا بقتل زوجها فلما انتهت المناحة ضمها داود إلى نسائه.

هذه هي الصورة المؤسفة التي ترد عليها قصة داود في العهد القديم . ولم يكن ولده سليمان بأسعد حالا منه عند اليهود فقد زعموا أنه في أواخر أيامه كان يتكاسل عن الذهاب إلى الهيكل وأنه اتخذ تماثيل يتقرب إليها بالعبادة(١) وليس ببعيد نص التوراة الذي ينسب إلى هارون أنه اتخذ العجل ليكون إلهاً لبني إسرائيل .

ولم ينج موسى نفسه من مفتريات اليهود فزعموا أنه قتل أخاه هارون تبرما به وحقداً عليه لما رأى تعلق قلوب بني إسرائيل به والتفافهم حوله .

ولم يقف سفه اليهود عند حد التطاول على مقام الأنبياء وهو وحده إثم لا يرجحه في الشناعة إلا إثم التطاول على الله وإنما امتد تطاولهم إلى بيوت هؤلاء الأنبياء كذلك فهي عندهم مسارح هزيلة تشهد من روايات الفسق والغواية ومؤامرات الدس والخيانة ما يندى له الجبين ، ونكتفي هنا بعرض مثلين مما تقوله التوراة عن هذه البيوت التي صانها الله عن مواطن الريبة ومظان السوء .

أما أحدهما فمن بيت لوط وقد اعتزل الناس بابنتيه في بيت بالجبل فاحتالتا عليه وأسكرتاه وعاشرتاه معاشرة جنسية وحملتا منه في ليلتين متتاليتين وعن ذلك يقول الكتاب المقدس « وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر الصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض

---

(١) راجع معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثاني صـ ٢٩٣ .

هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا ودخلت البكر واضجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة أيضاً فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة أيضاً واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو المآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت إبناً ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم[1] ».

وأما المثال الثانى من الاراجيف اليهودية حول بيوت الأنبياء فهو ما تحكيه التوراة من أمر رفقة زوجة إسحاق مع ولدها يعقوب ضد ولدها الآخر عيسو الذى كان أحب الولدين إلى نفس إسحاق . وهدف المؤامرة هو أن يغتصب يعقوب حق عيسو فى بركة أبيه تقول التوراة : « وحدث لما شاخ اسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو إبنه الأكبر وقال له يا بنى فقال له ها أنا ذا فقال إنى قد شخت واست أعرف يوم وفاتى فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك واخرج إلى البرية وتصيد لى صيداً واصنع لى أطعمة كما أحب واتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت .

وكانت رفقة سامعة إذ تكلم اسحاق مع عيسو ابنه فذهب عيسو إلى البرية كى يصطاد صيداً ليأتى به وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا ائتنى بصيد واصنع لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى فالآن يا بنى اسمع لقولى فى ما أنا آمرك به اذهب إلى الغنم وخذ لى من هناك جديين جيدين من المعز فأصنعهما أطعمة لأبيك كما تحضرها إلى أبيك ليأكل حتى

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاح التاسع عشر .

يباركك قبل وفاته فقال يعقوب لرفقة أمه هو ذا عيسوا أخى رجل أشعر وأنا رجل أملس ربما يجسنى أبى فأكون فى عينيه كمتهاون وأجلب على نفسى لعنة لا بركة فقالت له أمه لعنتك على يا ابنى اسمع لقولى فقط واذهب خذ لى فذهب وأخذه وأحضر لامه أطعمة كما كان أبوه يحب وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التى كانت عندها فى البيت وألبست يعقوب إبنها الاصغر وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديى المعز وأعطت الاطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها .

فدخل إلى أبيه وقال يا أبى فقال هأنذا من أنت يا بنى فقال يعقوب لابيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتنى قم أجلس وكل من صيدى لكى تباركنى نفسك فقال اسحاق لإبنه ما هذا الذى أسرعت لتجد يا بنى فقال إن الرب إلهك قد يسر لى فقال إسحاق ليعقوب تقدم لاجسك يا بنى أنت هو ابنى عيسو أم لا فتقدم يعقوب إلى اسحاق أبيه لجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيدى عيسو أخيه وباركه وقال هل أنت هو ابنى عيسو فقال أنا هو فقال قدم لى لآكل من صيد ابنى حتى تباركك نفسى فقدم له فأكل وأحضر له خمرا فشرب فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلنى يا ابنى فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه . وقال أنظر رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض وكثرة حنطة وخمر ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل كن سيداً لاخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين وحدث عندما فرغ اسحاق من بركة يعقوب وقد خرج من لدن اسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيد فصنع هو أيضا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لابيه ليقم أبى وليأكل من صيد ابنه حتى تباركنى نفسك فقال له اسحاق أبوه من أنت فقال أنا أبنك بكرك عيسوا فارتعد اسحاق ارتعاداً عظيما جداً وقال فمن هو الذى اصطاد صيداً وأتى به إلى فأكلت من الكل قبل

أن تجيء وباركته نعم ويكون مباركا فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً وقال لأبيه باركني أنا أيضا يا أبي فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك[1] » .

وتكمل التوراة القصة فتذكر أن عيسو حقد على أخيه يعقوب وفكر في قتله فنصح اسحاق ورفقة ولدهما يعقوب بالهرب إلى دار خاله لابان بفاد أن آرام فهرب إلى هناك حيث اتخذ له زوجة من بنات خاله وكان أبوه قد دعا له الرب أن يجعله مثمرا ويكثره فيكون جمهورا من الشعوب ويعطيه بركة إبراهيم له ولنسله معه حتى يرث أرض غربته التي أعطاها الله لإبراهيم .

ولا يفوتنا في ختام هذا البحث أن نشير إلى أن إيذاء اليهود لأنبيائهم لم ينحصر في تلفيق التهم وصنع الأكاذيب ولا في مجرد الانصراف عنهم ورفض دعواتهم وإنما وصلوا في الإيذاء إلى أقصى غاياته وأبعد حدوده فقد قتلوا عددا من أنبيائهم ليخرسوا بذلك صوت الحق ويطفئوا نور الله وما هم بقادرين .

وقد أشار القرآن الكريم إلى فظائعهم في قوله سبحانه (ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون)[2]

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاحان السابع والعشرون والثامن والعشرون .
(٢) سورة المائدة الآية رقم ٧٠ .

المبحث الثالث

فى الشريعــــة

تعد الشريعة اليهودية منهجا شاملا يغطى مختلف نواحى الحياة فهى تنظم علاقة المرء بربه وعلاقته بغيره من أبناء جنسه ومن أبناء الأجناس الأخرى، وتقدم تصورات واضحة، العبادات، والمعاملات، والحدود والأنكحة، والمواريث وهذا هو ما نقصده هنا بمعنى الشمول.

ونحاول الآن أن نلقى الضوء على أهم المجالات الشرعية عند اليهود.

(أولا)

فى الزواج ونظام الأسرة

١ الزواج وتعدد الزوجات :

تحث اليهودية على الزواج وترغب فيه، ويبدو هذا مرتبطا باتجاههم إلى كثرة النسل محافظة على بقاء النوع فى الشعب اليهودى، وامتداده عبر العصور، والسن المفروضة لصحة الزواج هى الثالثة عشرة للرجل والثانية عشرة للمرأة ولكن يجوز نكاح من بدت عليه علامات بلوغ الحلم قبل هذه السن ومن بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة إلا إذا حالت دون ذلك أسباب صحية أو مادية، وتمنع الشريعة اليهودية أن يتزوج الرجل من كانت زوجة لعمه ومن كانت زوجة لأخيه إذا أنجبت منه ولا تجعل الرضاع سببا للتحريم.

وفيما يتعلق بزوجة الأخ المتوفى قد نصت التوراة على أنه إذا لم يكن للمتوفى ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى بل يدخل عليها أخو زوجها ويتخذها امرأة لنفسه والبكر الذى تلده يقوم بإسم أخيه الميت لئلا يمحى إسمه من إسرائيل [١] .

فإن رفض أخو زوجها أن يبنى بها فإن التوراة تذكر ما ينبغى عمله حينئذ فقد ورد (وإن لم يرض الرجل أن يأخذ إمرأة أخيه تصعد إمرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول قد أبى أخو زوجى أن يقيم لأخيه إسما فى إسرائيل لم يشأ أن يقوم لى بواجب أخى الزوج فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق فى وجهه وتصرخ وتقول هكذا يفعل بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه فيدعى إسمه فى إسرائيل بيت مخلوع النعل [٢] .

والزواج فى اليهودية صفقة شراء تعد المرأة به مملوكة للرجل المشترى من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق .

ويتم الزواج إذا باركه أحد الكهنة وقدم الرجل للمرأة هدية لها قيمة فى حضور شاهدين على الأقل ويعتبر ذلك عقدا . وإذا حضر العقد عشرة رجال أو أكثر أتبع العقد بصلوات وأدعية يشترك فيها الجميع ومن تقاليد الفكر اليهودى أن الرجل إذا تزوج لا يلتحق بالجيش ولا يرتبط بأعمال تبعده عن زوجته مدة عام - فشهر العسل فى الفكر اليهودى عام كامل .

وعلى الزوجه مهما بلغت مكانتها أن تقوم بالأعمال اللازمة لبيتها .

---

(١) اليهودية للدكتور شلبى ص ٢٩٨/٢٩٩

(٢) سفر التثنية ، والاصحاح الخامس والعشرون .

ويحدد (أرثر هرتزبيرج) دور المرأة فى أعمال المنزل فيقول (إن على المرأة أن تطحن الحبوب . وتخبز وتغسل الملابس وتطبخ . وترضع ولدها . وتنظف البيت وتنظمه . وتغزل وتخيط الثياب ولكنها إذا أحضرت خادما تابعا لها من بيت أبيها فإنها تعفى من الطحن والخبز والغسيل وإن أحضرت خادمين معها أعفيت من الطبخ والرضاعة وإذا أحضرت ثلاثة فإنها تعفى من تنظيف البيت وتنظيمه ، وإذا أحضرت أربعة فإنها تعفى من كل الأعمال ولكن ربى ألور يقول إن الزوجة إذا أحضرت معها مائة خادم فأنها لا تعفى من الغزل ولزوجها أن يرغمها عليه لأن البطالة تقود إلى الفساد[1] .

أما تعدد الزوجات فهو جائز فى اليهودية دون قيد أو حد ، وقد نسبت الأسفار المقدسة التعدد إلى كثير من أنبياء بنى إسرائيل .

يقول (جوستاف لوبون) (وكان مبدأ تعدد الزوجات شائعا كثيرا لدى بنى إسرائيل على الدوام وما كان القانون المدنى أو الشرعى ليعارضه[2] .

وغير اليهود يعتبرون وثنيين فى نظر اليهود ومن أجل هذا لا يجيزون زواج اليهودى أو اليهودية من غير اليهود .

أما الطلاق فحق مباح للزوج الذى تكون العصمة بيده دائما ولا تترتب عليه أى حقوق مادية للزوجة سوى مؤخر الصداق .

ومع ذلك فهناك صورة واحدة يحرم فيها الزوج من ممارسة حقه فى الطلاق ويصبح ارتباطه بزوجته ارتباطا أبديا .

---

(١) كتاب اليهودية للدكتور شلبى ٢٠١

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٩

وقد تحدث سفر التثنية عن هذه الصورة على النحو التالى (إذا اتخذ رجل امرأة، وحين دخل عليها أبغضها ونسب إليها أسباب كلام وأشاع عنها إسما رديا وقال هذه المرأة اتخذتها ولما دنوت منها لم أجد لها عذرة يأخذ الفتاة أبوها وأمها ويخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمائة من الفضة ويعطونها لأبى الفتاة لأنه أشاع إسما رديا عن عذراء من إسرائيل فتكون له زوجة لا يقدر أن يطلقها كل أيامه)[1] .

وفى مقابلة الزواج الأبدى الذى لا انفصام له نتحدث عن الطلاق النهائى الذى لا رجعة فيه ذلك لأن من حق المطلق أن يراجع مطلقته ما لم تتزوج غيره فإن تزوجت غيره ثم طلقها الزوج الثانى أو مات عنها لم يجز للزوج الأول أن يعود إلى مطلقته لأنها قد تنجست بزواجها الثانى فأصبحت مراجعة الزوج الأول لها من الإثم والعار [2] .

الميراث :

تؤول تركة الميت إلى أولاده على أن يستأثر الولد الأكبر بسهمين ثم يقسم باقى التركة بين بقية الأولاد الذكر مثل حظ الانثيين .

على أن الأنثى لا ترث إلا إذا بلغت الثانية عشرة فإن كانت أصغر من ذلك حرمت من الميراث وعلى الورثة رعايتها والإنفاق عليها من تركة أبيها .

فإن لم يكن له أولاد آلت التركة إلى أصوله ، فإن لم يكن له أصول فإن حيازة التركة تكون حينئذ من حق الفروع .

---

(١) سفر التثنية ، الاصحاح الثانى والعشرون .

(٢) اليهودية للدكتور شلبي ص ٢٩٨

وفى حالة عدم وجود ورثة شرعيين تصير التركة إلى حيازة أول من يضع يده عليها من المعارف والجيران فإن ظهر للبيت وارث خلال ثلاث سنوات سلمت إليه وإلا أصبحت ملكا شرعيا لمن هى فى حيازته[1] .

(ثانيا)

فى الجنايات والحدود

تنص اليهودية على تجريم طائفة من الأفعـــال الشائنة وتتبع كلا منها بحده المقدر قصاصا من الجانى وردعا لغيره .

ونكتفى هنا بالحديث عن الزنى والقتل والسرقة بوصفها جنايات شرعية لها عقوباتها المقدرة فى الشريعة .

١ — الزنى :

تستقبح اليهودية الزنى وتنفر منه فى كثير من المواضع المتناثرة فى أسفار العهد القديم ولا سيما فى التوراة .

وعقوبة الزنى كما تنص التوراة هى القتل رجما إلا فى صورتين احداهما المخطوبة إذا دلت ملابسات الفعل على أنها مكرهة .

والصورة الثانية إذا كان أحد طرفى الجريمة فتاة غير مخطوبة ولا متزوجة فانه يكتفى بفرض الزواج على الطرفين زواجا مؤبدا لا طلاق فيه .

تقول التوراة (وإذا وجد رجل مضطجع مع امرأة زوجة بعل يقتل الإثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من إسرائيل .

---

(١) اليهودية للدكتور شلبى ص ٢٩٧

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها فأخرجوهما.

كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه فتنزع الشر من وسطك.

ولكن إذا وجد الرجل الفتاة المخطوبة فى الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئا ليس على الفتاة خطية للموت بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلا هكذا الأمر أنه فى الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجدا يعطى الرجل الذى اضطجع معها لأبى الفتاة خمسين من الفضة وتكون هى له زوجة من أجل أنه قد أذلها لا يقدر أن يطلقها كل أيامه[1].

ولم تذكر الصورة الأخيرة مرجع صورة الزواج المؤبد لأن الزواج هنا لم يقم ابتداء على أساس التراضى فهو أدخل فى باب العقاب.

٢ - القتل :

القتل جناية كبرى فى كل الشرائع لأنه عدوان وحشى على أثمن منحة منحها الخالق وهى منحة الحياة.

ويشير سفر الخروج إلى أن للقتل أنواعا مختلفة وفروعا متباينة، فمنه القتل العمد وغير العمد ومنه المباشر وغير المباشر أى مايكون بيد القاتل نفسه أو بفعل ثور يملكه.

ومن ثم تتعدد أحكام القتل وتختلف عقوباته.

---

(١) التثنية، ٥ الثانى والعشرون.

ويستتبع الحديث عن القتل الحديث عن بقية الجرائم الجسمانية الأخرى من أنواع الكسور والجراحات .

ويجمل سفر الخروج أحكام ذلك كله على النحو التـــالى (من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا ، ولكن الذى لم يتعمد بل أوقع الله فى يده فأنا أجعل لك مكانا يهرب إليه .

وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى خذه للموت . ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا . . . . وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط فى الفراش فإن قام وتمشى خارجا على عكازه يكون الضارب بريئا إلا أنه يعوض عن عطلته وينفق على شفائه وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه لكن إذا بقى يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله . وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يغرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاء ، وإن حصلت أذية تعطى نفسا بنفس وعينا بعين ، وسنا بسن . ويدا بيد ، ورجلا برجل ، وكيا بكى وجرحا بجرح ، وردا برد ، وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حرا عوضا عن عينه وإن أسقط سن عبده أو أمته يطلقه حرا عوضا عن سنه .

وإذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه وأما صاحب الثور فيكون بريئا ولكن إذا كان الثور نطاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضا يقتل ، إن وضعت عليه ، فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه .

إن نطح الثور عبدا أو أمة يعطى سيده ثلاثين شاقل فضة والثور يرجم[١].

(١) سفر الخروج والاصحاح الحادى والعشرون .

٣ — السرقة :

تتفاوت عقوبة السرقة تبعا لتفاوت قيمة الشيء المسروق فمن سرق إنسانا وباعه يقتل حدا ومن سرق ثورا يعوض عنه بخمسة ثيران ، ومن سرق شاة يعوض عنها بخمسة من الغنم ، وإذا وجدت السرقة في يده حية ثورا كانت أم حمارا أو شاة يعوض عنها باثنين وتجيز التوراة قتل السارق إن ضبط متلبسا بجنايته[1] .

وفيما عدا ذلك فعلى السارق أن يرد الشيء المسروق وخمس قيمته معه تعويضا للمالك عما ألحقته به الجناية من شر

هذه بعض الأمثلة للجنايات والحدود التي نصت عليها التوراة وهناك أمثلة أخرى لا يتسع لها هذا العرض السريع لجوانب الشريعة اليهودية .

(ثالثا)

العبادات والقرابين

١ — العبادات :

ترتبط معظم العبادات اليهودية بالأعياد والمواسم الدينية ، وتتخذ العبادة في اليهودية مظاهر مختلفة ، فهناك الصلاة وهي عبارة عن أدعية وتسابيح يرفعها المصلي إلى الرب .

وأما الزكاة فقربة إلى الله يأخذها المستحقون من الفقراء واللاويين المشرفين على شئون الهيكل ومما ورد في التوراة عن الزكاة (وكل عشر الأرض من حبوب

(١) الاصحاحان الحادي والعشرون والثاني والعشرون من سفر الخروج .

الأرض، وأثمار الشجر فهو قدس للرب ، وإن فك إنسان بعض عشرة يزيد خمسة عليه وأما عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون قدسا للرب لا يفحص أجيد هو أم ردىء ولا يبدله وإن أبدله يكون هو وبديله قدسا لا يفك[1].

والصيام عند اليهود أنماط مختلفة فمنه الامتناع عن الطعـــام والشراب ومنه الامتناع عن بعض المباحات كتناول الخبز المخمر أو تناول ما فيه روح وقد أشرنا إلى شيء من ذلك من قبل .

أما الحج فقد كان يتحتم على كل يهودى ذكر ، رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين فى العام وأن يبقى به أسبوعا كل مرة ، يبدأ الأسبوع يوم الجمعة ، وتقام خلاله احتفالات يحضرها الوافدون ويقودها الكهنة واللاويون ، وقد قصـــد بهذه الزيارة أن تتيح فرصة لليهود أيا كانت مناطقهم أن يتعارفوا ويتحدوا[2] .

٢ — القرابين :

تكثر الكفارات والقرابين فى الديانة اليهودية ، كثرة ظاهرة وتدفع كلها إلى اللاويين الذين تخصصوا لخدمة الهيكل ، كمصدر أساسى لسد نفقاتهم ، ونفقات الهيكل على السواء .

وأهم ما يذكر من ذلك .

(أ) ذبيحة الإثم وهى ثور يقدمه المذنب إلى الكاهن بعد أن يعترف بخطيئته وفى ذلك تقول التوراة (إذا أخطأت نفس سهوا فى شيء من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها وعملت واحدة منها وإن كان الكاهن الممسوح يخطىء لإثم

---

(١) سفر التثنية الأصحاح الثانى والعشرون .

(٢) اليهودية أحمد شلبى (٣٠٢ ، ٣٠٣)

الشعب يقرب عن خطيئته التى أخطأ ثور ابن بقر صحيحا للرب ذبيحة خطيئة)[١] .

(ب) ذبيحة السلامة :

وذبيحة السلامة هى ثور يقدمه المرء إلى الكاهن بمناسبة نعمة أنعم الله بها عليه ولا بد أن يكون الثور صحيحا ، خاليا من العيوب التى تنقص من قيمته[٢] .

(ج) قربان الولادة :

تعتبر اليهودية الولادة من النجاسات التى لا تطهر منها المرأة إلا بالتكفير فعليها أن تقدم إلى الكاهن زوجا من الحمام أو اليمام وبدون هذه الكفارة لا يتحقق لها التطهر من نجاستها .

وإن كانت موسرة فعليها أن تقدم خروفا قربانا للرب ويعطينا سفر اللاويين بعض التفصيل فى ذلك إذ يقول (إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة وفى اليوم الثامن يختن لحم غرلته ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها كل شىء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجىء حتى تكمل أيام تطهيرها .

وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما فى طمثها ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها ، ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بخروف حولى محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطيئة إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن فيقدمها أمام الرب ويكفر عنها فتطهر من ينبوع دمها ، هذه شريعة التى تلد ذكرا

---

(١) سفر اللاويين الاصحاح الثالث .
(٢) سفر اللاويين الاصحاح الرابع .

أو أنثى وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخى حمام — الواحد محرقة ، والآخر ذبيحة خطيئة فيكفر عنها الكاهن فتطهر(١) .

(د) النذور :

النذر هو ما يلتزم المرء بتقديمه إلى الرب من قرابين دون أن تفرضه عليه الشريعة فإن كان الناذر رجلا لزمه أداء نذره شرعا — وإلا كان آثما .

أما المرأة ففيها تفصيل تقرره التوراة على النحو التالى . وأما المرأة فإذا نذرت نذرا للرب والتزمت بلازم بيت أبيها فى صباها وسمع أبوها نذرها واللازم الذى ألزمت نفسها به فإن سكت أبوها لها ثبتت كل نذورها وكل لوازمها التى ألزمت نفسها بها تثبت .

وإن نهاها أبوها يوم سمعه — فكل نذرها ولوازمها التى ألزمت نفسها لا تثبت والرب يصفح عنها — لأن أباها قد نهاها .

وإن كانت لزوج ونذورها عليه أو نطق شفتيها الذى ألزمت نفسها به وسمع زوجها فإن سكت فى يوم سمعه ثبتت نذورها ولوازمها التى ألزمت نفسها بها تثبت .

وإن نهاها رجلها فى يوم سمعه فسخ نذرها الذى عليها ونطق شفتيها الذى ألزمت نفسها به ، والرب يصفح عنها .

وأما نذر أرملة أو مطلقة — فكل ما ألزمت نفسها به يثبت عليها(٢) .

(رابعا)
المواسم والأعياد

المواسم والأعياد فى الشريعة اليهودية مقترنة بذكريات بنى إسرائيل ، ومتصلة بعقائدهم الدينية أوثق اتصال .

---

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح الثانى عشر .

(٢) الاصحاح الثلاثون من سفر العدد .

ويسترجع اليهود فى أعيادهم ومواسمهم تلك العقائد والذكريات - فيبتهجون أو يتأسون ، ويتقربون إلى الله بالصلوات والأدعية ، ويقدمون الأضاحى والقرابين ، ويطهون بعض الأطعمة الخاصة .

ونقصر الحديث فى هـذه العجالة على أهم المواسم والأعياد إذ هى كثيرة بشكل لافت للنظر .

١ السبت :

عند حديثنا عن تصور اليهود لصفات يهوا أوردنا ماقررته التوراة بخصوص خلق الكون فى ستة أيام واستراحة الرب فى اليوم السابع بعد أن فرغ من عمله وتأسيسا على هذا تحتم للتوراة على بنى إسرائيل أن لا يمارسوا أى عمل من الأعمال فى يوم السبت .

يقول سفر التثنية (احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وإبنك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى يستريح عندك وأمتك مثلك واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت[1]) .

والسبت هو أساس اليهودية كما أن التثليث أساس المسيحية والتوحيد أساس الإسلام فمن لم يقل بالسبت فليس يهودياً وإن كانت بعض الفرق شذت عن هذا الإجماع كما أشرنا إلى ذلك فى موضعه .

---

(١) الاصحاح الخامس .

وعقوبة من يباشر عملا يوم السبت هى القتل كما نصت على ذلك التوراة .

فقد جاء فى سفر العدد (ولما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى السبت فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهارون وكل الجماعة فوضعوه فى الحرس لأنه لم يعلم ماذا يفعل به فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة فأخرجه كل الجماعة خارج المحلة ورجموه بحجارة فقتل كما أمر الرب موسى[1]) .

على أن السبت فى اليهودية ليس هو السابع من كل أسبوع لحسب بل هذا هـــو السبت الاسبوعى أو سبت الأيام وإلى جانب سبت الأيام هناك سبت الأسابيع وهو أسبوع كامل ويتحقق بعد دخولهم الأرض الموعودة بستة أسابيع ثم يتكـرر بعد ذلك كل ستة أسابيع .

ثم هناك سبت الشهور وهو الشهر السابع بعد دخولهم هذه الأرض وفى سبت الأسابيع وسبت الشهور يذبح اليهود الأضاحى ويقربون القرابين شكراً لله وعرفاناً بفضله[2] .

أما سبت السنين وسبت اليوبيل فيتحدث عنهما سفر اللاويين ويقرر ما ينبغى لهما من مظاهر الرعاية والتقديس ، فى الاصحاح الخامس والعشرين من هذا السفر :

(وكلم الرب موسى فى جبل سيناء قائلا : كلم بنى إسرائيل وقل لهم متى

---

(١) العدد الاصحاح الخامس عشر .

(٢) اللاويون الثالث والعشرون .

أتيتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم تسبت الأرض سبتاً للرب ست سنين تزرع حقلك وست سنين تقضب كرمك وتجمع غلتها وأما السنة السابعة ففيها يكون للارض سبت عطلة سبتاً للرب لا تزرع حقلك ولا تقضب كرمك زريع حصيدك لا تحصد وعنب كرمك المحصول لا تقطف سنة عطلة تكون الأرض ويكون سبت الأرض لكم طعاماً لك ولعبدك ولأمتك ولأجيرك ولمستوطنيك النازلين عندك ولبهائمك وللحيوان الذى فى أرضك تكون كل غلتها وتعد لك سبعة سبوت سنين سبع سنين سبع مرات فتكون لك أيام السبعة السبوت السنوية تسعاً وأربعين سنة ثم تعبر بوق الهتاف فى الشهر السابع فى عاشر الشهر فى يوم الكفارة تعبرون البوق فى جميع أرضكم وتقدسون السنة الخمسين وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها تكون لكم يوبيلا وترجعون كل إلى ملكه وتعودون كل إلى عشيرته يوبيلا تكون لكم السنة الخمسون لا تزرعوا ولا تحصدوا زريعها ولا تقطفوا كرمها المحول إنها يوبيل مقدسة) .

٢ عيد الفصح :

يرتبط عيد الفصح بذكرى خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام - ويقع فى اليـــوم الرابع عشر من شهر أبيب - ويستمر سبعة أيام يأكل فيه اليهود فطيرا غير مختمر تذكيراً بما كانوا يأكلونه أيام الخروج ، ولا يعملون فيه عملا ، ويقربون القرابين إلى الهيكل ، كما يرفعون فيه الصلوات إلى الرب[1] .

---

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح الثالث والعشرون .

٣ – يوم التكفير :

هو يوم فى العام يحاول فيه اليهودى أن يعبد الله لا كإنسان ، بل كملك ، والملك لا يأكل ولا يشرب ، ويمضى وقته كله فى العبادة وتعظيم الله .

فعلى اليهودى أن يعيش هذا اليوم كما تعيش الملائكة فى صـــوم جاد وعبادة دائمة .

وهذا اليوم يسبق بتسعة أيام تسمى أيام التوبة حيث يطهر اليهودى خلالها تطهيراً يكفل له النقاء طوال العام القادم .

وفى اليوم العاشر يوم الصوم والعبادة تكمل طهارة اليهود وتغفر لهم سيئاتهم عن الماضى ويعدون لاستقبال عام جديد .

وتقع هذه الأيام فى الشهر السابع من شهور السنة اليهودية[1] .

٤ – عيد التنظيف :

وهو ثمانية أيام أولها الخامس والعشرون من بسليو ، يسرجون فى الليلة الاولى سراجا ، وفى الثانية اثنين ، وهكذا فى الثامنه ثمانية سرج .

وذلك تذكار أصغر ثمانية أخوة قتل بعض ملوك اليونان .

فإنهم قد تغلب عليهم ملك من اليونان كان يفترع البنات قبل الدخول على أزواجهن ، وله سرداب قد أخرج منه حبلين .

فإن احتاج إلى أنثى حرك الأيمن فتدخل عليه فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلى سبيلها .

---

(١) اليهودية للدكتور أحمد شلبى ص ٣٠٥ .

وكان فى بنى اسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة .

فطلبها إسرائيلى للزواج، فقال أبوها إن زوجتها افترعها الملعون، فاتفق بنوه على خطة لحماية شرف أختهم من الملك العربيد ، فلبس أصغرهم ثياب النساء ، وخبأ خنجراً وأتى باب الملك على أنه أخته ، فحرك الملك الجرس ، فأدخل عليه ، فحين خلا به قتله وأخذ رأسه ، وحرك الحبل الأيسر وخرج ، فخلى سبيله ، فأسعد ذلك بنى إسرائيل واتخذوا هذا اليوم عيداً تذكراً للأخوة الثمانية(١)

---

(١) عبدالله حسين ، المسألة اليهودية صـ ٨٨ .

تعقيب

ها نحن أولاء قد فرغنا من استعراض الجوانب الهامة للديانة اليهودية ، وحرصنا على أن تكون أسفار العهد القديم هي المعين الأساسي الذى نستمد منه تصورنا لهذه الديانة ، إذ الكتب المقدسة هي أوثق مصدر يرجع إليه الباحث فى أى ديانة كى لا يتهم بشيء من التجنى ، أو التحامل .

ولكن عددا من النصوص التى أوردناها يثير كثيرا من الملاحظات الهامة ، والتساؤلات الحائرة .

بل أن كثيرا من هذه النصوص يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن أسفار اليهود ليست سماوية مقدسة ، وإنما هي مختلقة على السماء - ألفت فى أزمنة لاحقة للعصور التى ينسبها إليها اليهود على نحو ما أنتهى إليه الدكتور (على عبد الواحد وافى) .

ونريد الآن أن نضع أيدينا على عدد قليل من هذه الملاحظات التى تؤكد صحة ما نذهب إليه .

١ - ذكرنا فى مستهل حديثنا عن العقائد اليهودية أن الأسفار الأولى من العهد القديم بما فى ذلك أسفار التوراة تخلو من الإشارة إلى يوم البعث - ومن ثم كان اليهود لفترة طويلة من تاريخهم يربطون بين العمل ، ومايترتب عليه من الجزاء الدنيوى ، ولا يعتقدون بجزاء آخر وراء هذا الجزاء .

وخلو التوراة على الخصوص من أى اشارة إلى يوم البعث دليل على مالحقها من تحريف .

إذ لا يعقل أن تخلو ديانة كبرى كالديانة الموسوية من هذه العقيدة الأساسية التى تضمنتها سائر الأديان .

على أننا نجد فى القرآن الكريم ما يؤكد اشتمال الموسوية الخالصة على عقيدة البعث شأنها فى ذلك شأن الأديان السماوية الصحيحة .

فقد ورد على لسان السحرة بعد أن آمنوا بموسى وهددهم فرعون بعقابه (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار وذلك جزاء من تزكى)[1] .

بل أن القرآن الكريم حين يعرض بالحديث لأول مواقف المناجاة بين موسى وربه ليشير إلى تضمن رسالته لجوانب العقيدة الثلاثة - الألوهية والنبوات والبعث يقول سبحانه (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى . وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى)[2] .

من هذا يتبين أن قصر جزاء العمل على ما يصيب المرء من خير أو شر فى هذه الحياة يعكس تصرف اليهود فى كتبهم المقدسة بالحذف بما يتفق مع تصورهم القاصر لهذا الجزاء .

---

(١) سورة طه الآيات من ٧١ إلى ٧٦ .
(٢) سورة طه الآيات من ١١ إلى ١٦ .

٢ - أن الصورة التي رسمتها أسفار العهد القديم لله لا تتفق مطلقاً مع مقتضيات الألوهية .

وقد رأينا أكثر من شاهد لفكرتهم الساذجة عن إلههم يهوا من خلال ما تصوره به هذه الأسفار .

فهو يجهل خطايا خلقه حتى يعترفوا له بها .

وهو ينازل بعض أنبيائه فيفقد تماسكه ولا يسعه إلا أن يسلم بالهزيمة .

وهو يباشر العمل فيتعب منه .

ويتخذ القرار ويعدل عنه .

ويصدر الأمر ويندم عليه .

إلى آخر ما أوردناه في مبحث قضية الألوهية .

٣ - كذلك الصورة التي رسمتها أسفار العهد القديم للأنبياء عليهم السلام لا تليق على الإطلاق بذواتهم الشريفة .

فهم يشربون الخمر .

ويتهاونون بمعاني الشرف والمروءة حرصاً على السلامة أو رغبة في المزيد من متع الحياة .

ويستبيحون القتل ، والتآمر في سبيل إشباع شهواتهم النهمة ورغباتهم الجامحة

بل إن منهم من سفك دم أخيه حقداً عليه .

ومنهم من قرب القرابين إلى غير ياهو تكاسلاً عنه أو استهانة به .

وقد عرضنا شواهد ذلك كله من أسفارهم المقدسة فى ثنايا مبحث النبوات .

٤ ـ يظهر بوضوح أن بعض الأسفار تشتمل على إصحاحات تألفت بعد وفاة أصحاب هـــذه الأسفار ـ ومن ثم تكون نسبتها إليهم نوعا من التضليل الفاضح ، والزيف المكشوف .

ونورد هنا ما يثبت ذلك من سفر التثنية ، وسفر يوشع على سبيل المثال .

ففى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية « وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة الذى قبالة أريحا ، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان ، وجميع نفتالى ، وأرض أفرايم ، ومنسى ، وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربى والجنوب الدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر ، وقال له الرب هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك . . . ولكنك هناك لا تعبره ـ ، فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فاغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم .

وفى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر يوشع هذه الإشارة إلى موت هذا النبى « وكان بعد هذا الكلام أنه مات يوشع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين ، فدفنوه فى تخم ملكه فى تمنه سارح التى فى جبل أفرايم شمالى جبل جاعش وعبد إسرائيل الرب كل أيام يوشع ، وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يوشع والذين عرفوا كل عمل الرب الذى عمله لإسرائيل .

٥ ـ تشتمل الأسفار أحيانا على بعض الأساطير الشعبية التى لا يمكن أن تكون وحيا منزلا ، وإنما هى أقرب إلى الخيال الشعبى فى بنى إسرائيل ،

ونذكر من ذلك ما ينسبه سفر القضاة إلى شمشون من قوة أسطورية خارقة

علما بأنه لم يكن من الأنبياء ، ولا من الأولياء الذين تخرق لهم القوانين ، أو تظهر على أيديهم المعجزات .

ونلتقط هذه اللقطة من سفر القضاة وهي تصف لنا نهاية شمشون بين أعدائه الفلسطينيين :

« أما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليذبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ، ويفرحوا وقالوا قد دفع إلهنا ليدنا شمشون عدونا ولما رآه الشعب مجدوا إلههم لأنهم قالوا قد دفع إلهنا ليدنا عدونا الذي خرب أرضنا وكثر قتلانا ، وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا أدعوا شمشون ليلعب لنا ، فدعوا شمشون من بيت السجن ، فلعب أمامهم ، وأوقفوه بين الأعمدة ، فقال شمشون للغلام الماسك بيده دعني ألمس الأعمدة التي البيت قائم عليها - وكان البيت مملوءا رجالا ونساء ، وكان هناك جميع أقطاب الفلسطينيين ، وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون لعب شمشون - فدعا شمشون الرب وقال يا سيدي الرب اذكرني ، وشددني يا الله هذه المرة فقط فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين ، وقبض شمشون على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائما عليهما ، واستند عليهما الواحد بيمينه . والآخر بيساره ، وقال شمشون لتمت نفسي مع الفلسطينيين ، وانحنى بقوة فسقط البيت على الأقطاب ، وعلى كل الشعب الذي فيه ، فكان الموتى الذين أماتهم في موته أكثر من الذين أماتهم في حياته(١) .

٦ - تنطوي الأسفار المقدسة أحيانا على أقوال يبدو بينها التناقض والتعارض بشكل يكشف عن تعدد مصادرها ، ويبعد أن تكون وحيا من لدن الله الواحد .

ومن شواهد هذا التناقض أن الأسفار قد نسبت إليه سبحانه الندم على بعض قراراته .

---

(١) سفر القضاة ، الاصحاح الخامس عشر .

بينما نجد فى بعض الأسفار ما يفيد خلاف ذلك .

فقد ورد فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر العدد قول الرب « ليس الله إنسانا يكذب ، ولا ابن إنسان فيندم » .

ومن شواهد هذا التناقض أيضا أننا نجد فى الأسفار ما يفيد فردية المسئولية أى مسئولية كل إنسان عن عمله كما فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية .

ونجد فيها كذلك تسرب لعنة الرب إلى الجيل الثالث والرابع من أحفاد العصاة .

وهذا التناقض الذى نلاحظه بوضوح فى أسفار العهد القديم هو الاختلاف الذى تنزه عنه القرآن الكريم ، وإليه الإشارة فى قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

فدعوى التحريف إذن يمكن أن تستند إلى أسس موضوعية من العهد القديم نفسه بما فى ذلك أسفار التوراة وهى كتاب الشريعة اليهودية ،

ولعل هذا هو ما حمل الفيلسوف اليهودى (اسبينوزا) على الاعتراف بهذه الحقيقة .

فهو يقول « إن من يعتقدون أن التوراة على ما هى عليه الآن رسالة من الله بعث بها من السماء إلى البشر لن يفوتهم أن يصرخوا قائلين بأنى ارتكبت الخطيئة فى حق الروح القدس ، إذ لقد قلت فعلا كلام الله مزيف ، ومنقوص ، ومحرف وأننا لا نملك منه إلا شذرات ، وأن الميثاق الذى يشهد بعقد الله عهدا مع اليهود

قد فقد ، ومع ذلك فإنى لا أشك فى أنهم لو وقفوا على فحص المسألة لكفوا عن الاحتجاج »(١) .

هذه هى الملاحظات التى رأيت أن أعجل بها فى هذا التعقيب ـ على أن تكون لنا وقفة أخرى مع مزيد من الملاحظات المماثلة ـ وذلك أثناء تناولنا لموقف الإسلام من اليهودية وأتباعها إن شاء الله .

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفى ص ٣٣٧

الفصل الثالث

بين عهدين

نقصد بالعهدين العهد القديم بما تضمنه من الأسفار المقدسة لدى اليهود والعهد الجديد بما تضمنه من الاناجيل والأسفار التى يقدسها النصارى .

فقد توفى موسى عليه السلام ، وتوالى بعد ذلك ظهور الأسفار المقدسة .

كما توالى ظهور الأنبياء الذين يقررون شرائع التوراة دون أن يأتوا بشرائع جديدة .

وقد حدد الرسول ﷺ دور هؤلاء الأنبياء حين قال « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل فهمة هؤلاء الأنبياء إذن تنحصر فى مجرد تفسير نصوص التوراة وتطبيق شرائعها ودعوة الناس إليها دون أن تكون لهم شرائع جديدة تنسخ كتابهم الذى أجمعوا على تقديسه .

غير أن الفترة الزمنية التى فصلت بين وفاة موسى ، وظهور عيسى عليهما السلام - وهى فترة طويلة - تقارب ثلاثة عشر قرنا - لم تشهد أسفار العهد القديم فحسب وإنما شهدت مع ذلك طائفة من الديانات الوضعية التى ابتكرها الخيال الشرقى وفقا للمصالح البيئية الراهنة ، أو الآمال الإنسانية الملحة - وقبل كل ذلك وفقا للمستوى العقلى الذى يتمتع به أصحاب كل ديانة من هذه الديانات.

كذلك شهدت الفترة المذكورة ظهور الفلسفات الإغريقية بكل ما فيها من

وجوه القوة ، ونواحي القصور، وبكل ما استتبعته من اتجاهات متباينة في الفكر، ومبادىء متعارضة في الأخلاق ، وأنماط مختلفة في السلوك .

وقد تسللت بعض هذه الديانات الوضعية، والنزعات الفلسفية إلى بني إسرائيل واتسمت فيما أعتقد بثلاث ظواهر أساسية .

وهذه الظواهر هي :

١ - تأثرت بالتوراة ، أو بعض أسفار العهد القديم .

٢ - هيأت الأذهان لقبول المسيحية والإيمان بالمسيح .

٣ - أثرت تأثيراً قويا على واضعي الأناجيل وشراحها بعد عهد المسيح .

ومن هنا كانت أهمية الإلمام السريع ببعض هذه الديانات الوضعية، والنزعات الفلسفية على سبيل المثال باعتبار أنها كانت همزة وصل تاريخي بين اليهودية والمسيحية ، أو بين العهد القديم والعهد الجديد .

إذ الدخول إلى المسيحية دون هذا التمهيد الضروري يعد قفزة جزافية لا يقرها منطق الأحداث ، ولا منهج الدراسة العلمية .

وسوف يقتصر حديثنا على ما نراه وثيق الصلة بالحياة الدينية ، والاجتماعية لبني إسرائيل .

المبحث الأول

فى الديانات الوضعية

كثرت الأديان الوضعية فى الألف سنة الأخيرة قبل الميلاد كثرة ظاهرة .

ويكاد كل بلد شرقى فى هذه الفترة يكون له أديانه الوضعية التى تحمل لها مشاعر الولاء والتقديس .

فهناك الأديان الفارسية ، والصينية ، والبابلية، والهندية ، فضلا عن الأديان المصرية التى تمتد إلى ماقبل ذلك بألوف السنين .

وكان أصحاب هذه الأديان الوضعية ينتقلون بأديانهم من بلد إلى آخر ، فيحدث ما يمكن أن نطلق عليه اسم (التلاقح الدينى) بين أبناء الديانات المختلفة .

على أن الهند بنوع خاص كانت ذات إشعاع دينى قوى على سائر البيئات الشرقية ، وذلك لكثرة ما نشأ فيها من عقائد . وظهر فيها من أديان .

بالإضافة إلى ما عرفت به الهند على مر التاريخ من حضارة راسخة ومدنية باذخة .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة (الهند من الأمم ذات التاريخ الجيد ، لها مدنية قديمة وحضارة توغل فى القدم إلى أبعد أغوار التاريخ) .

غير أن تلك الحضارة قد انبتت الصلة بيننا وبين جزء كبير منها ـ ولذا صار كنزا مدفونا فى بطون القدم لم يكشف عنه التاريخ بعد . والآثار الباقية التى اتصل تاريخها هى الجزء من تاريخهم الذى ابتدأ بالعصر الآرى .

غير أن الكشف والبحث والنقوش وما تنطق به الأحجار التي لم يؤثر فيها كر الغداة ومر العشي ، كل ذلك يشير إلى أن في طيات ذلك الدفين الذي لم ينشر من قبره بعد حضارة زاهية ومدنية سامية)[١] .

أولا : البرهمية :

١ - الألوهية :

البرهمية هي أكبر الديانات الهندية على الإطلاق ، وتنسب إلى برهما ، وهو على أرجح الأقوال الإله الخالق الذي أنشأ الكائنات على اختلاف أنواعها ، وتباين مظاهرها .

ولكن مهمته تنتهي عند حدود الخلق والإيجاد .

وإلى جانب برهما يوجد إلهان آخران وهما (فشنو) وإليه ترجع مهمة الحفظ والتدبير ، فهو يحفظ النبات حتى ينمو ، ويحفظ الصغير حتى يكبر ولا بقاء لشيء من مخلوقات برهما إلا بعناية فشنو وتدبيره - وكل الحكماء والصالحين يقومون بالعدل والإصلاح والفضيلة ، وينصرون الأخيار على الأشرار بفضل من فشنو .

والإله الثالث والأخير هو (سيفا) ، وهو الإله المخرب المفني الذي تصفر به الأوراق الخضراء ، ويأتي الهرم بعد الشباب ، وتفنى مياه الأنهـــار في لجج البحار .

وينسبون إليه النار لأنها عنصر مخرب مدمر إن تأجج لا يبقي ولا يذر[٢] .

---

(١) الديانات القديمة ، لأبي زهرة صـ ٢١ .
(٢) محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة صـ ٢٧ ، ٢٨ .

فهو إذن ثالوث من الآلهة يقوم كل طرف فيه بمهمة محددة .

والبراهمة يشعرون تجاه براهما بالتقدير والتقديس - كما يحملون لفشنو مشاعر الحب والولاء .

بينما تنطوى أنفسهم تجاه سيفا على مشاعر الرهبة والخوف .

٢ - النبوات :

ينكر البراهمة النبوات بدليل مضمونه أن النبى إن كان سيقرر ما قرره العقل ففى العقل الإنسانى غناء عما يقوله النبى .

أما إن قرر النبى شيئاً لا يقبله العقل فليس من المنطق أن نترك حكم العقل لحكم بشر ما .

ويبدو دليل البراهمة على رفض النبوة براقا محيرا ، ولكن بقليل من التأمل تتبدد الحيرة ، ويظهر زيف البريق .

فإن العقل الإنسانى على فرض كمال استعداده لمباشرة وظيفة البحث والتفكير فهو محتاج مع ذلك إلى النبى الذى يساعده على سلوك الطريق السوى .

وشأن العقل فى ذلك شأن السيارة التى استكملت كل مقومات التحرك من أدوات ووقود ، ولكن ذلك كله لا يكفى ، وإنما تحتاج السيارة أيضاً إلى السائق الذى يوجه خطواتها ، مثله فى ذلك مثل النبى فى قيادة العقل الإنسانى .

٣ — تناسخ الارواح :

يمثل تناسخ الارواح أساساً من أسس العقيدة البرهمية .

فالموت لا يعنى فى الحقيقة إلا فناء البدن وفساده .

أما الروح فلها شأن آخر غير شأن البدن .

فإن زادت حسنات المرء على سيئاته صعدت روحه إلى السماء .

وإن رجحت كفة السيئات هبطت الروح إلى الهاوية .

ومهما يكن من شيء فما هي إلا فترة ثم تعود الروح إلى الأرض من جديد فإن كانت خيرة تقمصت جسد إنسان .

وإن غلب شرها على خيرها - تقمصت جسداً حيوانياً - ثم تنتقل من حيوان إلى حيوان ، وفي كل مرة تحتمل قسطا من الأذى والعذاب ، وهكذا حتى يتحقق الطهر الكامل للروح ، وتكون حينئذ أهلا لمجاورة براهما العظيم .

فالروح لا تفنى أبداً سواء كانت خيرة ، أو شريرة ، وإنما يختص الفناء بالأبدان .

وننقل هنا هذا الحوار بين باسديو) و (أرجن) وهو يشير إلى اعتقادهم في بقاء الأرواح ، وتناسخها بعد الموت .

(قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين الصفين إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً - فلتعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى ، ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه - فإن الأرواح غير مائتة ، ولا متغيرة - وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب ، والكهولة ، ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ، ثم العود ،

وقال له كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم ، بل هي ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح تيبسها ، لكنها تنتقل عن بدنها إذا عتق نحو آخر ، ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق .

فما غمك لنفس لا تبيد ، ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود .

فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده ـ فكل مولود ميت ، وكل ميت عائد ، وليس لك من كلا الأمرين شيء ، إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور وإليه تصير)(١) .

٤ ـ نظام الطبقات :

تقسم البرهمية الناس إلى طبقات أربع :

ا ـ طبقة الكهنة ، أو رجال الدين ، وقد خلقهم برهما من فمه ، وهم أعلى الطبقات وأفضلها .

(ب) طبقة رجال الجيش ، أو العسكريين ـ وقد خلقهم برهما من يديه رمز البأس والقوة .

(ح) طبقة الفلاحين والعمال وسائر الحرفيين ، وهم مخلوقون من فخذ برهما

(د) طبقة المنبوذين وهم الطبقة الرابعة والأخيرة ، وقد خلقوا من قدم برهما . وتقع عليهم خدمة بقية الطبقات .

ولا يجوز لأحد من الطبقات الثلاث الأولى أن يخالط المنبوذين ، أو يتزوج منهم ، وإلا يكون قد ارتكب جرماً صارخاً لا سبيل إلى غفرانه ، أو التجاوز عنه في الشريعة البرهمية .

والطبقية قدر إنسانى لا فكاك منه ـ إذ هى من الأشياء التى يرثها الأبناء من الآباء .

---

(١) الفلسفة الهندية للبهروني صـ ٥٣

فابن الكاهن كاهن ، وابن المنبوذ منبوذ ، وهكذا فى بقية الطبقات[١] .

ونكتفى بهذا العرض السريع للبرهمية لننتقل إلى ديانة وضعية أخرى تعد امتداداً لها ، أو تطويرا لها بتعبير أدق .

ثانيـــاً

البـــوذية

تختلف البوذية من وجوه كثيرة عن غيرها من الأديان .

فقد كانت قبل كل شىء ديانة خلق وسلوك ، لا ديانة طقوس وقرابين ، ولم تكن لها معابد ولا أديرة ، ولا هيئة مقدسة من الكهان .

وقد وقفت موقفاً محايداً من آلهة الهند التى كان يعبدها الناس فى ذلك الزمان فلا هى اعترفت بها ، ولا هى أنكرتها ، بل غضت الطرف عنها جميعاً[٢]

١ ــ مؤسس البوذية :

ولد (سذهاتا) بإحدى مقاطعات الهند سنة ٥٦٣ قبل الميلاد ، وكان سليل عائلة أرستقراطية ورثت الجاه والغنى والنعيم العريض .

وقد ماتت أمه فى الأسبوع الأول من ولادته ، فانتقل إلى حضانة خالته .

وشب الطفل فى النعمة والترف كما يشب أبناء السادة والملوك ، ووجد الدنيا كلها تحت إمرته ، والنعيم رهن إرادته ، وتهيأت له مفاتن الحياة ، وانبسط الأمل أمام عينيه ، وتدفقت المسرات تحفه من كل جانب .

---

(١) الفلسفة الهندية للبيرونى ، ص ٩٠ إلى ٩٤ .

(٢) معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الثانى ، ص ٤٨٦ .

وبلغ مطلع الشباب وهو يرفل فى هذه النعمة ، وسارع أبوه فزوجه من إبنة أحد الأمراء .

وكان من الممكن أن يعبر مفاتن الحياة التى يعيشها كما يعبرها غيره من أبناء الأمراء والمترفين .

وكان من الممكن أن تنسيه مفاتن الحياة تلك الآلام التى يعانيها البائسون والأشقياء .

كان من الممكن أن يلهيه شبابه عن هرم الشيوخ ، وصحته عن آلام المرضى ، وحياته المرحة عن شرور الموت والفناء كما يلهو غيره ، كأن الشباب لا يهرم ، والصحة لا تنحل ، والحياة لا تزول .

كان من الممكن أن يحدث هذا ، ولكن (سيدهاتا) لم يستسلم للملاذ والشهوات ولم يفرغ لنفسه ويستغرق فى مباهج الدنيا ومتع الحياة ، وإنما عاش فى مجتمعه يقاسى مشكلاته ويحيا قضاياه .

بل من الحق أن نقرر أنه قد جذبه جانب التعاسة والشقاء أكثر مما جذبه جانب النعيم والسرور - ولم يرضخ للحياة التى رسمت له - وإنما رسم هو لنفسه طريقا آخر وسن لها سبيلا مختلفة توافق استعداده النفسى الخاص .

وفى إحدى الليالى كان قصره يموج بالبشر والمسرات بسبب ولادة إبنة له فقال (سيدهاتا) وهذه رابطة أخرى علينا أن نفصمها ، وحزم أمره على أن يفارق هذه الملاذ ويبدأ حياة الزهد والتأمل .

وفى هجعة القصر بعد ماشهده من مرح وغناء ، ألقى نظرته الأخيرة على زوجته وطفله ، وتسلل من القصر ، وامتطى جواده ، وانطلق إلى شعاب الصحراء ليبدأ المرحلة الجديدة من حياته - وكانت سنه آنذاك تسعاً وعشرين سنة .

وحين أسفر الصبح توقف على ضفاف نهر رملية . وهناك ترجـــل وقطع بسيفه ذوائبه المتهدلة وأماط عنه كل حلية وأرسلها مع حصانه وسيفه إلى منزله

ثم واصل سيره حتى ألتق براهمين من البراهمة ، فبقى معهما ، وتتلمذ عليهما وأراد أن يصل إلى غايته عن طريقهما .

ولـكن مالبث أن كان له تلاميذ ومريدون يتلقون عنه ، ويقتـــدون به ، ويكنون له المحبة والتقدير .

وأسرف (سدهاتا) فى زهده وتقشفه فلبس الأسمال البالية . واكتفى بالقليل من الطعام والشراب - بل لقد قيل أن غذاءه لم يكن يزيد فى اليوم على حبة أرز واحدة .

ولـكنه فاجأ تلاميذه ذات يوم بتعديل جوهرى فى اتجاهه الفكرى والسلوكى على السواء فأصاب كفايته من الطعام والشراب ، واستبدل بأسماله ماكان حرمه على نفسه من الثياب وحين انصرف عنه تلاميذه ، واتهموه بالخروج على مبادئه ، استطاع أن يقنعهم بأن تعذيب البدن لاخير فيه ، وأن الزهد ينبغى أن يكون وسيلة لا غاية - إذ الغاية الحقيقية هى التأمل فى مظاهر الكون ومشاهد الوجود والوصول إلى ماوراء ذلك من إدراك الذوات الروحانية ، والاتحاد معها ، أو الفناء فيها - وهى درجة (النرفانا) التى هى أشرف مقامات المتأمل .

ويطلق على (سدهاتا) فى هذه المرحلة إسم (بوذا) - أى المقدس الذى كشف عنه الغطاء .

ويسجل (بوذا) هذه اللحظة التى هى لحظة سعادة وفوز فيقول « لما أدركت هـــذا تحررت من الهوى ، وتحررت من شرور الكون الأرضى -

تحررت من شرور الخطأ وتحررت من شرور الجهل، وتيقظ فى شعور التحرر، وشعور عدم تكرر المولد.

لقد انتهيت إلى الصراط المقدس، وقد تمت الفريضة — فلن أرجع إلى هذه الدنيا رجعة أخرى »[١].

أما الشجرة التى كان (بوذا) يجلس تحتها عندما تم له الكشف — فقد سميت شجرة العلم، أو الشجرة المقدسة — وقد احتلت عند البوذيين مكانة سامية مثل مكانة الصليب عند المسيحيين.

وإذا كان المسيحيون قد نشروا الصليب فى حياتهم، ورسموه على حليهم وأجسامهم فإن البوذيين يرون فى الشجرة المقدسة شيئا يجب أن يسعى إليه الناس لا أن يسعى هو إلى الناس — ولهذا زرعوا فى كل قطر شجرة واحدة من نوع الشجرة المقدسة — يحجون إليها فى المناسبات المختلفة.

ويعلق كتاب معالم تاريخ الإنسانية على عناية البوذيين بهذه الشجرة بقوله « ومن سوء الحظ أن تلاميذ جوتاما (بوذا) عنوا بحفظ شجرته أكثر من عنايتهم بالحفاظ على أفكاره التى أساءوا منذ البداية فهمها وشوهوها ومسخوها[٢].

ومن مظاهر هذا التشويه ما يتصل باعتقادهم حول شخصية (بوذا) نفسه — فقد استبعدوا أن يكون بشراً فانياً تحدر من صلب بشر فان — فزعموا أن أمه حملت فيه بمعجزة، وأنه واحد من سلسلة كائنات قدسية هى البوذاوات، وأن

---

(١) أديان الهند الكبرى، الدكتور أحمد شلبى، ص ١٤٣

(٢) المجلد الثانى، ص ٤٧٢

لكل البوذوات روحا خالدة لا تمتد إليها يد الموت - فهناك سلسلة من البوذوات مضت مع الغابرين ، وأخرى من البوذوات ستتلوها فى اللاحقين[1] .

ونعود من جديد إلى شخصية (بوذا) لنعرض طرفا من أخلاقه .

وعلماء الهند يرسمون له صورة رائعة - فيذكرون أنه كان شديد الضبط - قوى الروح - ماضى العزيمة - واسع الصدر - عزوفا عن الشهوة - بالغ التأثير - بريئاً من الحقد - بعيداً عن العدوان - جامدا لا ينبعث فيه حب ولا كراهية فلا تحركه العواطف ، ولا تهيجه النوازل - بليغ العبارة - فصيح اللسان مؤثرا بالعاطفة والمنطق - له منزلة كبيرة فى أعين الملوك - ومجالسه ملتقى العلماء والعظماء .

ومن القصص التى تروى فى تواضعه . أن أحد تلاميذه قال له مرة . إننى أيها السيد أؤمن بكل نفسى أنه لم يوجد قط ، ولا يوجد الآن ، ولن يوجد إلى آخر الدهر مرشد أعظم قدراً ، أو أكثر عقلا من مرشدنا المبارك .

فسأله (بوذا) هل أنت قد عرفت كل العارفين الذين سبقونى ، وهل عرفت كل العارفين الذين يأتون بعدى ؟

فأجاب التلميذ : لا يا سيدى فلم يتيسر لى ذلك .

قال بوذا هل عرفتنى كل المعرفه وتوغلت فى نفسى كل التوغل .

فقال التلميذ لا ياسيدى وكيف لى ذلك ؟

فقال (بوذا) فلم إذن أسرفت فى قولك وجعلتنى خير الناس وأنت لا تعرفنى ولا تعرف الناس ؟[2] .

---

(١) المجلد الثانى من معالم تاريخ الإنسانية ، ص ٤٨٧ ، ٤٨٩ .
(٢) أديان الهند الكبرى . للدكتور شلبى د ص ١٥٥

وكان تلاميذ (بوذا) على نحو هذه الأخلاق السامية ـ فقد ساروا على طريقته البطولية من ضبط النفس ، وحسن الاحتمال ، وقهر الشهوات ، والإخلاص لمثلهم العليا ، والتضحية فى سبيل انتشارها بأعز ما يملكون .

فلا عجب أن انتشرت التعاليم البوذية فى وقت قصير ، واحتلت مكانا بارزا بين المذاهب والديانات .

وننقل هنا هذا الحوار بين (بوذا) ، وأحد تلاميذه ـ وهو حوار يعكس فى وضوح مدى ما يتحلى به تلاميذه المباشرون من طاقات هائلة على الصبر والاحتمال ـ فقد قال (بوذا) لتلميذه ومريده (بورنا) وهو يوجهه إلى إحدى القبائل المعروفة بالقسوة والخشونة ليدعوهم إلى المذهب الجديد ـ (بوذا) « إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب ـ فإذا وجهوا إليك ألفاظاً بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت فاعلا ؟

فأجاب (بورنا) أقول لاشك أن هؤلاء قوم طيبون لينوا العريكة ـ لأنهم لم يضربونى بأيديهم ، ولم يرجمونى بالحجارة .

(بوذا) فإن ضربوك بأيديهم ، ورجموك بالأحجار فماذا كنت قائلا ؟

(بورنا) أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يضربونى بالعصى ولا بالسيوف .

(بوذا) فإن ضربوك بالعصى وبالسيوف ؟

(بورنا) أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يحرمونى الحياة نهائيا .

(بوذا) فإن حرموك الحياة ؟

(بورنا) أقول إنهم طيبون لينون إذ خلصوا روحي من سجن هذا الجسد السيء بلا كبير ألم .

(بوذا) أحسنت يا بورنا — إنك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات أن تسكن فى بلاد قبيلة سرونا — فاذهب إليهم وكما تخلصت فخلصهم ، وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك ، وكما تعزيت فعزهم ، وكما وصلت إلى مقام النيرفانا الكاملة فأوصلهم إليها مثلك .

فذهب (بورنا) إليهم — وكانت النتيجة أن آمنوا كلهم بالبوذية واتبعوها [1] .

وقد ظل (بوذا) وفيا لتعاليمه — حرصا على نشرها وترسيخها — غير حافل بما يعترض طريقه من عقبات وصعاب حتى وافاه أجله المحتوم وهو فى الثمانين من عمره بعد أكثر من خمسين عاما من مقاومة النفس ، وتوجيه المريدين[2] :

٢ — التعاليم البوذية :

آن لنا — وقد فرغنا من هذا الاستعراض السريع لحياة (بوذا) وكفاحه لنشر تعاليمه — أن نلم إلماما سريعا بأهم هـذه التعاليم — لاسيما ما يخدم فكرتنا منها — وهى الفكرة التى أشرنا إليهـا مسبقا عن وضع الديانات الإنسانية بين الديانات السماوية —

الألوهية :

يزعم بعض الباحثين أن (بوذا) أنكر الألوهية ، ورفض أن يكون لهذا الوجود خالق حكيم تستند إليه الكائنات فى وجودها المحقق .

ولكن الشيخ محمد أبو زهرة يقرر أن (بوذا) لم يتعرض لهـذه القضية

---

(١) أديان الهند الكبرى ، الدكتور أحمد شلبى ، ص ١٤٧

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة ، ٣٠

بالسلب ، أو الإيجاب ، وأن مذهبه كان يتركز فى الإصلاح النفسى ، والإجتماعى - بل إن منتحلى نحلته كانوا على الاعتقاد بوجود الإله[1] .

ورأى الشيخ أبى زهرة قريب من رأى (ولز) - وقد أوردنا هذا الرأى فى مستهل حديثنا عن البوذية .

(ب) التناسخ :

آمن (بوذا) بتناسخ الأرواح على نحو ما يؤمن به البراهمة .

ويبدو أن هذه الفكرة عقيدة مشتركة بين الديانات والنحل الهندية المختلفة وهذا هو ما كان يقصده (البيرونى) حين قال « كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية ، والأسبات علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية - فمن لم ينتحله لم يكن منها ، ولم يعد من جملتها[2] .

ويقرر (بوذا) أن الإنسان كمركب جسدى يملك قوى يتحرك بها ، وآلات يشعر بها - فهو يحس ويلمس ، ويبصر ، ويسمع ويشم ، ويدرك - وهو بهذه الحواس والمشاعر يتصل بالعالم الخارجى .

أما طبعه فيشتمل على النزعات والكفاءات الناتجة عن الماضى - فهى حسنة كانت ، أو قبيحة أتت له من الحياة التى عاشها فى الماضى ، وهى التى تكيف شخصيته ، وترسم حياته الجديدة .

وذلك أن الحياة الداخلية للشخص ليست إلا سلسلة من الخيالات ، والرغبات ، والعواطف .

---

(١) الديانات القديمة ص ٦٩

(٢) الفلسفة الهندية ، ص ٥٢

فاذا انفصلت الأواصر المادية بالموت - تقمصت الروح جسدا جديدا - ثم يسعد الشخص الجديد ، أو يشقى حسبما تهيأ له من السلوك السابق[١] .

(ج) النيرفانا :

يختلف الباحثون فى تفسير النيرفانا اختلافا كبيرا - ولكن كثيرا منهم يميل إلى تفسيرها فى ضوء ما حدث لبوذا نفسه تحت الشجرة المقدسة حيث انكشف له الغطاء ، وتجلى له سر السعادة الأعظم .

وفى ذلك يقول (بوذا) كلمنى صوت من داخلى قائلا : إن الهوى هو أصل الحزن ، والنفس هى التى تجلب الشقاء - وذلك أن المرء يقول دائما أنا أنا ، ويقول زوجتى وأولادى - فهم أيضا نوع من أنا - أما من يهواهم فليسوا أنا فهو فهوى ما يرى فيه شهوة نفسه - وإذا غاب شقى بهذه الفكرة .

يذهب الناس فى الدنيا كالحريق المدمر فيؤذون ، ويقتلون ويكونون لعنة على الخلق .

قال (بوذا) الصوت فان قبلت فهل أنال الحرية ؟

فأجاب الصوت نعم نعم[٢] .

فالنيرفانا إذن على هذا التفسير هى القضاء على الأنانية، والتحرر من الشهوات حيث يصير الإنسان سيدا لنفسه ، لا عبدا لها ، وأن فى مقدوره الإفلات من هذه الرغبات بقوة الثقافة الروحية الداخلية ، ومحبة الآخرين .

وأساس النيرفانا هو ما يعرف عند البوذيين بالحقائق الأربع وهى :

---

(١) الدكتور أحمد شلبى ، أديان الهند الكبرى ، ص ١٥٧

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٩

١ - الألم موجود - فالولادة ، والمرض والموت ، ومتاعب الحياة من فراق أحبة أو لقاء أعداء كلها تأتي بالألم .

٢ - لهذا الألم سبب وهو الشهوات والرغبات - إذ هي تنمي فينا حب الذات والتملك .

٣ - هذا السبب قابل للزوال - وذلك بالقضاء على الشهوة ، والتخلص من الظمأ إلى الأشياء .

٤ - الوسيلة لتفادي الآلام موجودة وهي تتلخص في :

١ - الآراء السليمة - ٢ - الشعور الصائب - ٣ - القول الحق - ٤ - السلوك الحسن - ٥ - الحياة الفضلى - ٦ - السعي المشكور - ٧ - الذكرى الصالحة - ٨ - التأمل الصحيح .

وأهم شيء في التعاليم البوذية هي هذه الحقائق الأربع - فمن آمن بها واتبعها كتبت له النجاة والسعادة ، ووصل إلى النيرفانا .

ومن لم يعرفها ، ويعمل بها ظل في شقائه وآلامه - يموت ويحيا - ثم يهرم ويهلك فيولد من جديد - ولا تنقطع هذه السلسلة حتى يعرف هذه الحقائق ويتبعها

يقول (بوذا) « لقد أحرزت علم هذه الحقائق الأربع المقدسة ، وأحرزت فهمها بانجلاء تام - فصرت على يقين بأني قد ظفرت بالبوذية الكبرى ، وقد عرفت أنه قد ضمنت لي النجاة بروحي .

---

(١) الدكتور شلبي ، أديان الهند الكبرى ، ص ١٥٨ ، وراجع أيضا معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الثاني ، ص ٤٨٤

ومولدى هذا آخر مولد ، وليس لى بعد هذا من مولد مستأنف » .

وقبل أن ننتهى من حديثنا عن النيرفانا يحسن بنا أن نورد ما يمكن أن نطلق عليه (الوصايا العشر) فى البوذية وذلك لصلتها الوثيقة بالنيرفانا وهذه الوصايا هى:

١ - يجب أن لا تقضى على حياة .

٢ - يجب أن لا تأخذ إلا ما يعطى إليك .

٣ - يجب أن لا تقول ما هو غير صحيح .

٤ - يجب أن لا تستعمل شرابا مسكرا .

٥ - يجب أن لا تباشر علاقة جنسية محرمة .

٦ - يجب أن لا تأكل طعاماً فى غير أوانه .

٧ - يجب أن لا تكلل رأسك بالزهر أو تستعمل العطور .

٨ - يجب أن لا تقتنى المقاعد والمساند الفخمة .

٩ - يجب أن لا تحضر حفلة رقص أو غناء .

١٠ - يجب أن لا تقتنى ذهبا أو فضة .

(د) إلغاء الطبقات :

عرفنا فيما سبق أن البرهمية تنتظم الناس فى طبقات أربع تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا ، وأن كل إنسان يرث عن أبيه طبقته الاجتماعية بشكل حتمى.

فهو لا يستطيع أن يتجاوز طبقته الموروثة مهما كانت مواهبه الفردية وملكاته الشخصية . أما (بوذا) فإنه يرفض النظام الطبقى رفضا نهائيا .

ومن أقواله فى ذلك (اعلموا أنه كما تفقد الأنهار الكبيرة أسماءها عند ما

تصب فى البحر ، كذلك تبطل الطبقات الأربع عندما يدخل الشخص فى النظام ويقبل الشريعة[١] .

إن ما يدعوا إليه (بوذا) هو الرهبانية ، وفى الرهبانية يتساوى سائر البشر وإذا كان إلغاء الطبقات شـــاهد قوة فى التعاليم البوذية ، فإن مما تجدر ملاحظته أن (بوذا) إنما يلغى الطبقية بالنسبة إلى البوذيين الذين قبلوا شريعته .

أما غير البوذيين فهم فريق آخر أقل مستوى وأدنى منزلة .

وهذا على العكس من الإسلام الذى ينظر إلى الناس جميعاً نظرة متكافئة دون اعتبار لشعوبهم ، ومواطنهم ، وعقائدهم الدينية .

وهذا ما يفهم من قوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا[٢] » .

فقد جعل وحدة الأصل الإنسانى أساساً لإلغاء الطبقية . كما جعل التواصل والتعارف سبيلا لتضييق الهوة التى تنشأ عن تعدد القبائل واختلاف الشعوب .

٣ ـــ انتشار البوذية :

كافح تلاميذ (بوذا) بعد وفاة رائدهم فى سبيل الحفاظ على مبادئه وتعاليمه .

وكانت رقة أخلاقهم ، ولين طباعهم وقوة احتمالهم تكشف عن إيمان صادق وإخلاص شديد ، وتجذب إليهم الأتباع والمؤيدين .

بل لقد أتيح للبوذية أن تمتد خارج الهند إلى بلاد أخرى لقيت فيها أنصاراً آمنوا بمبادئها وعملوا على انتشارها .

وقد أحرزت البوذية تقدما هائلا فى ظل رعاية (أوسكا ٢٦٤ - ٢٢٧ قبل الميلاد) الذى يعد من أعظم الملوك فى التاريخ ، وهو الملك العسكرى الوحيد الذى يشهد التاريخ بأنه تخلى عن الحرب بعد النصر .

---

(١) أديان الهند الكبرى للدكتور شلبى ص ١٧٤ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

وقد فتح شبه الجزيرة الهندية ، وكرس بقية حياته لنشر البوذية فى أصقاع العالم وكان يحكم إمبراطوريته بسلام شامل ، وبكفاية عظيمة ، وحاول (أوسكا) أن يصل إلى النيرفانا عن طريق التعاليم التى وضعها (بوذا) .

وكان أول ملك فى التاريخ قام بمحاولة التربية شعبه تربية توحد نظرتهم إلى غايات الحياة وسبلها - ووهب هيئات التعليم البوذية منحا كبيرة وحاول أن يستنهضهم إلى دراسة أدبها الخاص دراسة أوفى وأدق - وأقام فى طول البلاد وعرضها النقوش التى تسرد على الناس تعاليم (بوذا) الخالصة بعد أن استبعد منها الزيادات المحشوة بالسخافات المخالفة للمعقول . ومازال خمس وثلاثون من نقوشه باقية إلى اليوم .

وفضلا عن ذلك فإنه أرسل المبشرين لنشر تعاليم أستاذه فى جميع أنحاء العالم .

وظل (أوسكا) ثمانية وعشرين عاما على هذا النحو من الإخلاص للبوذية والحرص على انتشارها حتى احتلت مكاناً بارزاً فى كثير من أجزاء العالم[1] .



(١) معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثانى ، ص ٤٩١ .

المبحث الثانى

فى النزعات الفكرية

حفلت أرض اليونان بالمذاهب الفلسفية ، والنزعات الفكرية .

وكان لذلك أثره القوى على أنماط السلوك ومظاهر الحياة .

وانتقل كثير من هذه المذاهب والنزعات إلى أهل فلسطين فاعتنقها بعض الخاصة الذين أقبلوا عليها بنهم شديد .

ونقتصر هنا على نزعات ثلاث لها صلة وثيقة بموضوع بحثنا وهى :

أولا : الفيثاغورية .

ثانيـاً : الرواقية .

ثالثـاً : الأبيقورية .

(أولا) : الفيثاغورية :

تنسب الفيثاغورية إلى (فيثاغورس) الذى ولد فى (ساموس) حوالى سنة ٥٨٠ قبل الميلاد .

ثم هاجر إلى (كروتونا) جنوبى إيطاليا ، ويقال إنه عرج على مصر وبعض بلاد الشرق فطاف فى أرجائها قبل أن يلقى عصا تسياره فى (كروتونا) .

ولم يكد يستقر بها حتى أنشأ الجمعية الفيثاغورية ، وظل على رأسها يقودها ويوجه نشاطها بقية حياته .

ولم تكن تلك الجمعية فى أول أمرها مدرسة فلسفية ـ بل كانت جمعية تدعو إلى الإصلاح الدينى ، ومكارم الأخلاق ، وطهارة النفس من الرجس والدنس .

وكان أعضاؤها يرتدون الثيـــاب البيضاء ويؤثرون فى عيشهم الخشونة والتقشف(١) .

ومن تعاليمهم الأخلاقية وجوب المروءة وإطالة السكون وترديد الصلوات ومحاسبة الضمير ، وفى هذا يقول أحدهم « لا تدع أبداً جفنيك يستسلمان للنوم قبل أن تعرض على عقلك أعمال يومك فتسائل نفسك قائلا فيم قد سرت ؟

ماذا صنعت ؟

ماذا نسيت أن أفعله مما أمرت به ؟

فإذا انتهيت من هذه الأسئلة ـ فراجع أعمالك واحدا بعد واحد .

فإذا وجدت نفسك قد اقترفت زلة فاستح منها واندم عليها ، وإذا كنت قد فعلت خيرا فاستمتع به »(٢) .

(ثانياً) : الرواقية :

مؤسس الرواقية هو (زينون) القبرصى الذى ولد نحو سنة ٣٤٢ ق . م فى مدينة (سيقيوم) من أعمال قبرص وتوفى سنة ٢٦٤ قبل الميلاد ، وكانت مدينة يونانية تغلب على أهلها النزعة الدينية التى يتميز بها الجنس السامى ، وقد كان ينتمى إلى هذا الجنس عدد كبير من سكان تلك الجزيرة .

وقد رحل إلى أثينا حيث درس الفلسفات المختلفة وطبعها بطابع ذهنه

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ، أحمد أمين والدكتور زكى نجيب محمود ص ٢٩

(٢) الدكتور محمد غلاب ، الفلسفة الإغريقية ، الجزء الأول ص ١٤ .

وأخرجها للناس فلسفة جديدة ، فأنشأ حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد مدرسة فى رواق مزخرف نسب إليه المذهب وأصحابه(١) .

وتختلف الرواقية فى جوهرها عن فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو لأنها ذات طابع عملى أخلاقى يؤثر البحث فى طرائق السلوك على التحليق فى آفاق الميتافيزيقى أو الضرب فى متاهات النظريات حتى أن الرواقيين عرفوا الفلسفة بأنها « عمل الفضيلة » .

وتعقد الرواقية العلاقة بين الله ، والعالم على نحو يؤكد وحدة الوجود .

فنسبة الله إلى العالم كنسبة روحنا إلينا ـ فهو منبث فى العالم كله لأنه نفس العالم ، والعالم جسمه .

وكما تتخذ الروح الإنسانية مركزا رئيسيا فى الجسم يمتاز عن بقية الأجزاء ـ فكذلك الله قد اتخذ لنفسه مركزا ممتازا على الرغم من انتشاره فى كل دقائق الكون الكبير(٢) .

أما عن الأخلاق الرواقية فيمكن تلخيصها فى كلمتين إثنتين ـ الصبر ـ والعفة ـ الصبر على الشدائد ، والعفة عن الشهوات ـ ولا سعادة للإنسان من غير نفسه وضميره .

فمن راض نفسه على مغالبة الألم والحزن ، وقمع الشهوة والهوى ـ فقد بلغ غاية السعادة المقدرة لأبناء الفناء .

ويلتق الإنسان بعقله مع الآلهة ، وبجسده مع الحيوان الأعجم .

وفضيلته الإنسانية — هى أن يطيع العقل ويعصى الجسد .

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ، ص ٢٩٠

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٩٩

وعصيانه للجسد ـ هو مقاومة الشهوات .

وطاعة العقل ـ هى طلب المعرفة .

وسعادة الإنسان كلها هى السعادة التى تتحقق له من الاستغناء عن الشهوة ، وتحصيل العلم ـ فما زاد على ذلك من السعادة فهو نعم لا يدرك ـ أو فضول لا خير فيه .

فالحياة إذن حرب بين الفضيلة ، والرذيلة ـ وصراع بين الخير ، والشر ـ وعلى الإنسان أن يكون فاضلا خيرا لا لغاية يحققها ، ولا للذة يحصلها ـ ولكن لأن ذلك هو الواجب .

وأساس الفضائل كلها ـ الحكمة ـ ومنها تنبع الفضائل الأساسية الأربع وهى :

١ ـ بعد النظر   ٢ ـ الشجاعة

٣ ـ ضبط النفس ، أو العفة   ٤ ـ العدل .

وإذا كانت الحكمة هى أساس هذه الفضائل فإن من حازها حاز كل شىء ومن فقدها فقد كل شىء .

فليس فى العالم إلا إثنان حكيم ، ومغفل ولا شىء بينهما .

فالحكيم هو الكامل ، وهو الحر . الغنى ، وهو الملك حقا ، وهو الشاعر والفنان وليس للمغفل إلا البؤس ، والقبح والفقر .

والحكماء فى الدنيا قليلون ـ وكلما تقدم الزمن زادوا قلة (١) .

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ، ص ٣٠٤

(ثالثا) الأبيقورية:

نشأ أبيقور زعيم المذهب بين القرن الرابع، والقرن الثالث قبل الميلاد. وقد أقبل على دراسة الفلسفة وهو فى نحو الرابعة عشرة، وافتتح مدرسته فى حديقته المشهورة بأثينا سنة ٣١١ قبل الميلاد وهو فى نحو الثلاثين من عمره. وكان يقبل فى مدرسته العبيد، والراقصات، والمأجورات، ولا يرى حرجا فى طلب السرور حيث يوجد بريئا من الآلام والندم - بل لا يرى كيف يتخيل الحكيم الخير إذا أخرج من حسابه مسرات الذوق، والنظر، والسماع.

ومن أعرض عن سرور يستطيعه فى غير ألم ولا ندم - فهو أحمق وليس بحكيم.

ذلك لأنه كان يقسم السرور إلى قسمين سرور متحرك - وسرور مستقر، أو ساكن فالأول ما يعقب ألما أو ندما

أما الثانى على العكس من ذلك، ويعنى به سرور التأمل والقناعة.

ولهذا فقد كانت معيشته الشخصية هى معيشة الزهاد المتقشفين حيث كان يقضى معظم أيامه على الخبز والماء، أو على الخبز واللبن.

فاتهام الأبيقوريين بالتهالك على الشهوات والإغراق فى الملذات إذن ليس له أساس علمى.

فإن ما يفهم من سيرتهم الشخصية، ومن اتجاههم الفلسفى أيضا يدل على أنهم لم يكونوا يقصدون باللذة اللذة الوقتية التى كانت غاية القورينائيين.

وإنما كانوا يقصدون لذة أوسع معنى وأسمى شأنا.

فيصح أن نرفض لذة عاجلة لأنها تستتبع ألما أكبر منها.

ويصح أن نتحمل ألما عاجلا لأنه يستتبع لذة أكبر منه .

على أن اللذة العقلية أكبر قيمة من اللذة الجسمية — لأن الجسم لا يحس إلا باللذة الحاضرة .

أما العقل فيستطيع أن يتلذذ بذكرى لذة ماضية ، ويأمل فى لذة مستقبلة .

وخير اللذات على الإطلاق — هدوء البال ، وطمأنينة النفس وراحة الضمير .

واللذة بشكل عام لا تكون فى كثرة الحاجات وسدها — بل إن كثرة الحاجات تجعل من الصعب سدها وهى تعقد الحياة من غير أن تزيد فى السعادة — فخير لنا أن نقلل حاجاتنا جهد الطاقة — ومن ثم فقد كان (أبيقور) يقرر أن البساطة والاعتدال وضبط النفس أهم وسائل السعادة — وكثيرا ما كان يصف نفس الحكيم بهدوء البحر ، أو بالسماء الصافية المشمسة — وهو لا يجيز للانسان أن يقبل الذل تحت أى ظروف — فان اضطرته الحياة إلى قبول الذل — فخير له أن يطلق الحياة مختارا (١) .

هذه هى أهم الديانات الوضعية ، والنزعات الفكرية التى سادت العالم بين العهدين القديم والجديد والتى كان لها أثر فى مجرى الأحداث كما سيتضح بعد قليل .

---

(١) قصة الفلسفة اليونانية ، صـ ٣٠٦

المبحث الأول

نظـرة عامـة

١ — عصر المسيح

ساءت أحوال بنى إسرائيل كثيرا قبيل ظهور المسيح ، وعم الفساد حياتهم السياسية والاجتماعية ، والدينية ، واشتدت الحاجة إلى مخلص يأخذ على عاتقه تبديد مافى الحياة السياسية من قهر واستبداد، والقضاء على ما فى الحياة الاجتماعية من تفكك وانحـــلال ، وتقرير الدين على وجه يرتفع به عن مظاهر السطحية والجمود .

(أولا) الحياة السياسية ، والاجتماعية :

كانت الدولة الرومانية إحدى دولتين تقتسمان سيادة العالم قبيل ميلاد المسيح والأخرى ، هى الدولة الفارسية التى فرضت سلطان الأكاسرة على عدة مناطق من الشرق .

وكانت سوريا ، وفلسطين من نصيب قياصرة الرومان .

غير أن النظم السياســـية ، والاجتماعية فى هاتين المنطقتين ، بل وفى سائر المناطق الخاضعة للنفوذ الرومانى كانت تتسم بكثير من القلق والإضطراب ، ومن شواهد ذلك ، ثورات العبيد المتكررة ضد الدولة ، وما تفرضه من نظم أو تسنه من قوانين .

وقد فتحت سوريا، وفلسطين للدولةالرومانية علىيد القائد الكبير (بنباى) الذى قضى على ثورة العبيد الثالثة بقيادة (سبارتاكوس) المشهور .

وقد حسبت هزيمة (سبارتاكوس) من العظائم التى أضيفت إلى مجد (بنباى) وخلدت ذكره بين الأبطال ، ولكن هذا الانتصار فى الواقع لا يدل على مجد حقيقى للدولة الرومانية بقدر ما يدل على ما فيها من مواطن الضعف ، ومواضع التصدع .

فلئن كان من دلائل القوة أن تستطيع الدولة قمع فتنة كتلك الفتنة الجبارة التى لم يعرف لها مثيل فى ثورات العبيد الأقدمين . إلا أنها ولا ريب من دلائل القوة التى تقابلها دلائل الضعف من ناحية أخرى .

فلو لم يكن فى بنيان الدولة صدع مخيف، لما استطاع عبد مثل (سبارتاكوس) أن يجمع سبعين ألفاً من العبيد ، ويقهر بهم جيوش الرومان ثلاث سنين ، ولولا خلل فى كيان المجتمع ، لما اشتمل على أضعاف هذا العدد من المقهورين الذين ينظرون إلى العرش الرومانى نظرة الحقد والكراهية ، ويجازفون بالحياة للهبوط به إلى الحضيض .

ولم تكن ثورة (سبارتاكوس) هى الثورة الوحيدة التى يقوم بها العبيد ضد الدولة الرومانية ، فقد سبقتها ثورة (أونس) الذى تجلى لأتباعه فى صورة النبى والملك المتوج ، واستطاع أن يقيم عرشا يستقر فى جزيرة (صقلية) مدة عشر سنين .

وقد سبقت ثورة (أونس) ، ولحقت بها ثورات أخرى تبلغ مبلغها من العنف . ولم تخل إحداها من صبغة دينية فيما يدعيه قادتها على الأقل .

ولم يكن هذا الخطر خافيا على ساسة الرومان ، فحاول المصلحون منهم أن يتداركوا بعض مواضع الخلل فى البنيان الاجتماعى ، فقيدوا الملكية الزراعية بخمس مائة فدان ، ومونوا المعوزين بأغذية تبيعها الدولة بأقل من تكاليفها الفعلية ، ولكن عوامل الخراب كانت أفعل من عوامل التعمير والاصلاح .

وزادت الحال سوءا فى عهد (أغسطس) المجيد كما كان يسمى فى التاريخ الرومانى إلى حد أن المسيح عليه السلام وصفه فى كلمات قليلة حيث قال (للثعالب أجرة ، ولطيور السماء أوكار ، أما ابن الإنسان ، فليس له ابن يسند رأسه ؟)(١) .

والواقع أنه كان عصرا مجيدا بقوة السيف دون أى قوة أخرى من القوى الإنسانية ، وقد أخذت (روما) من قوة السيف كل ما تعطيه ، فتوحا واسعة، وقسوة تصد بها الأعداء وتقمع الثائرين ، وقد رفعت القيصر إلى مقام الألوهية المعبودة ، فقررت لعبادته شهرا فى السنة لا يزال معروفا باسمه إلى اليوم ، ونعنى بذلك شهر (أغسطس) .

وكان القانون ، والنظام فخر (روما) الأول ، فضاع القانون مع السلطان المطلق وضاع النظام مع التفاوت البعيد بين الحاكمين ، والمحكومين - ثروة وترف وطغيان من ناحية ، وفقر وضنك وهوان من ناحية ، ولا نظام للحياة نفسها ، ولا قيمة لها مع إفراط النعيم حتى السأم من الحياة ، وإفراط الشقاء حتى النقمة على الحياة .

لم يستقر الأمر للدولة الرومانية فى فلسطين دفعة واحدة على أثر افتتاحها للرومان وإنما ظل التنازع بين الرومان ، والفرس ، لا يترك للبلاد المفتوحة قرارا على مدى عشرين سنة .

فقد انقسم رأى القوم ، وشعورهم بين الدولتين .

منهم من يشايع الفرس ، ومنهم من يشايع الرومان .

واشتد التناحر بين الفريقين اشتدادا خرج بهم إلى ضراوة الوحشية .

---

(١) إنجيل لوقا ، الإصحاح التاسع .

ومن الحوادث البارزة فى هذه الفترة ، أنه قبيل وفاة (هيرود) ثارت طائفة من الفلاة على مبانيه وأنصابه ، وحطموا كل ما فيها من معالم الوثنية ، فغضب الوالى غضبا شديدا لا على هؤلاء الثائرين فحسب . وإنما على كل رعاياه من أبناء فلسطين .

فعقد للثوار محاكمة صورية ، وأمر أجناده ، فحملوه إلى المحكمة حيث قضى عليهم بالموت حرقا .

ولم يقف غضب (هيرود) عند هذا الحد ، وإنما قبض على الزعماء الذين يستأثرون بمحبة الناس ، فحبسهم ، وأوصى أخاه بقتلهم إذا مات على أن يكون ذلك قبل إعلان وفاته لتذهب حسرة الشعب عليهم بفرحة شماتتهم فيـه ، وتم لـ (هيرود) كل ما أراد .

ثم كانت البلية العظمى بتقسيم البلاد بين أبنائه الثلاثة ، فوقعت (الجليل) فى حصة (هيرود) الثانى (اينتنباس) .

ووقعت اليهودية فى حصة (أرخلوس) .

ووقعت مشارف الشام فى حصة (فيليب) .

وكان التنافس والصراع بين الأخوة الثلاثة لا يكاد يتوقف ، فضلا عما ورثوه عن أبيهم من مشاعر الحقد ووحشية الإنتقام [1] .

(ثانيا) الحياة الدينية :

تأثر الحياة الدينية فى شعب ما بوضع الحياة السياسية فيه أمر لا يختلف عليه إثنان .

---

(١) راجع حياة المسيح للعقاد ، ص ٥٣ ، ٥٥

فحين يتسامح الحكام ورجال السياسة مع رجال الدين فى مباشرة شعائرهم ، ونشر تعاليمهم ، ويساعدونهم على ذلك بما يحتاجون إليه من المال ، تنشط الحياة الدينية نشاطا ملحوظا ، ويتخلص الدين من شوائب الخرافة والسطحية وسوء التأويل وهى الشوائب الخطيرة التى تعلق عادة بالأديان ، فتطمس رواءها الرائع وجوهرها الأصيل .

أما حين يكون الحكام أنفسهم متمسكين بمبادىء الدين مواظبين على أداء شعائره وطقوسه فإن ذلك كفيل بتأصيل الإحساس الدينى فى نفوس العامة، وجذبهم جذبا إلى التزام أوامره وأحكامه ، والناس على دين ملوكهم كما يقولون .

وعلى العكس من هذا حين يتحلل الحكام من مبادىء الدين ، ويتحررون من قيود الأخلاق ، أو يستغلون الدين كوسيلة مضمونة لدعم حكمهم ، وتأييد سياستهم ، فإن الدين يتحول بين الناس إلى شعار أجوف لا معنى له ، وتقليد موروث لا روح فيه ، بل إن رجال الدين أنفسهم يتحولون إلى فريق من الانتهازيين الذين يصطرعون فيما بينهم على المناصب ، ويتنافسون فى حيازة الثروة ، والحصول على الجاه ، ويشغلهم ذلك كله عن أداء الشعائر ، وحفظ التعاليم ، وطرق أبواب الاجتهاد ، وهذا هو ما حدث للديانة اليهودية وكهنتها قبل ظهور المسيح .

لقد تزوج (هيرودس) بـ (هيرودبا) زوجة أخيه (فيليب) زواجا غير شرعى ، وعاشر ابنتها (سالوى) معاشرة غير شريفة ، فلم ينكر أحد عليه من كهنة اليهود .

ولما تصدى (يوحنا) المعمدان لهذا الزواج ، فأنكره ، وشهر به ، حرض الكهنة الوصوليون على التخلص منه والقضاء عليه ، ذلك لأن الوظائف

الكهنوتية الكبرى بكل ما تدره من ثروة وجاه كانت بيد الملك وحده يمنحها من يشاء .

يقول الدكتور (أحمد عبد القادر الجمال) عن الوظائف الدينية فى هذه الفترة :

« وكانت وظيفة رئيس الكهنة مبع الزعماء نظرا لما يتبعها من نفوذ سياسى ومغنم مادى » .

ولقد شارك رئيس الكهنة فى وظيفة إدارة الهيكل ، وتصريف الشئون الدينية هيئة من المستشارين أطلق على مجلسهم إسم مجلس (السنهدريم)[1]

ومن طرائف الصراع بين رجال الدين على هذه الوظيفة المرموقة ، أن أنصار الفرس تغلبوا على أنصار الرومان فى بيت المقدس .

وكان أنصار الفرس يرشحون للرئاسة الكهنة (انتيجونوس) بن (أرستبوس) فقبض بيده على مزاحمه (هركانوس) ، وقضم أذنه بأسنانه ليحول بينه ، وبين وظيفة الكهانة طول حياته ، إذ كانت هذه الوظيفة محرمة على المشوهين وذوى العاهات [2] .

وقد أشرنا عند حديثنا عن الفرق اليهودية إلى أن الأحبار والكهنة قد ارتموا فى أحضان الحكام ورجال السياسة، وتركوا مجال الفتيا والتعليم للكتبة الذين أطلق الشعب عليهم إسم (حملة لواء الشريعة) .

ويلخص الدكتور (أحمد شلبى) ما ساد الحياة الدينية آنذاك من سطحية وفساد فيقول ، حرف بنو إسرائيل شريعة موسى ، وجعلوا همهم جمع المال ، وامتد هذا التفكير المادى إلى العلماء ، فأخذوا يحرضون العامة على تقديم

(١) الدكتور أحمد عبدالقادر الجمال، دراسات فى النظم السياسيه والإجتماعية ص ٨٤ .

(٢) عباس العقاد ، حياة المسيح ، ص ٤ .

القرابين والنذور إلى الهيكل رجاء أن يصلوا إلى الغفران . وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم ، وتعمقوا فى المادية ، وبعدوا عن الروحية ، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر ، وانغمس الكثير منهم فى متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ، ولا متوقعين حسابا .

وفى كلمة واحدة : لقد فسدت العقيدة ، وفسدت الأخلاق ، ولم يكن بد من منقذ يحاول أن يردهم عن طغيانهم الذى كانوا فيه يعمهون(١) .

على أن الأمر قبل ظهور المسيح لم يخل تماما من بعض المحاولات الجادة لهذا الإنقاذ .

من شواهد ذلك - ظهور بعض النزعات الفلسفية الوافدة من اليونان - وهى نزعات تحاول أن تتسامى بالأرواح فوق الشواغل المادية ، والعلاقات الجسدية .

كما تسللت إلى فلسطين بعض الديانات الهندية التى تتجه نفس الاتجاه - وقد ألممنا بذلك كله فى الفصل السابق .

كما ظهر فى هذه الفترة أيضاً المتفلسف الإسرائيلى (فيلون) الذى حاول أن يفلسف العقيدة اليهودية ، فزعم أن للتوراة ظاهراً وباطناً ، وأنه من الممكن التوفيق بينهما وبين العقل إذا لوحظ ما تنطوى عليه النصوص والإشارات .

وعنده أن الناس أقسام ثلاثة :

١ - وليد الأرض .

٢ - وليد السماء .

٣ - وليد الله .

(١) الدكتور أحمد شلبى ، المسيحية ص ٣٢ .

فوليد الأرض، من يطلب متاع الجسد .

ووليد السماء من يطلب متاع الفكر .

ووليد الله ، من تجرد عن الدنيا ، وأقبل بجملته على عالم فوق هذا العالم معصوم من الفناء ، برىء من المادة ، فى زمرة الهداة والمرسلين(١) .

ومهما يكن من شىء ، فقد كانت هذه النزعات بمثابة التمهيد المنطقى لظهور المسيح .

ثم كان السيد المسيح نفسه نقطة تحول كبرى فى طريق التدين ، والتفلسف على السواء .

---

(١) حياة المسيح للعقاد صـ ٥٧ .

(٢)

حيـــاة المسيح

(أ) مريم واليصابات :

كانت (حنة بنت فاقوز) إمرأة عمران حاملا - فنذرت ما في بطنها محرراً لخدمة الهيكل .

فلما تمت لها أشهر الحمل - وضعت مريم عليها السلام .

ولم يكن في شريعة بني إسرائيل أن يدفعوا ببناتهم إلى خدمة الهيـكل وإنما كان ذلك مقصوراً على البنين دون البنات .

وقد اعتذرت (حمنة) إلى الله لعدم تمكنها من الوفاء بنذرها السابق فألهمها الله أنه قبل (مريم) لخدمة الهيكل وفاء بنذر أمها البارة .

وشبت (مريم) عن الطـــوق حتى بلغت مبلغ الأنوثة - فخطبها شاب إسرائيلي يقال له (يوسف النجار) .

ولما كانت (مريم) في كفالة زوج أختها (زكريا) عليه السلام - فقد كان يتردد عليها كثيراً في الهيكل - فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء - فإذا سألها عن ذلك - قالت هو من عند الله - فأغراه ظهور الفاكهة في غير أوانها أن يسأل الله غلاما ذكيا يرثه ويرث من آل يعقوب . على الرغم من كبر سنه ، وعقم زوجته إليصابات .

وتفتحت أبواب السماء لدعاء الشيخ النبي - فحملت زوجته بـ (يحيا) الذي سمي فيما بعد بـ (يوحنا المعمدان) .

وفى الشهر السادس من حمل (إلياصابات) نزل ملك الرب إلى (مريم) فتمثل لها بشرا سويا ليهب لها غلاما ذكيا تسميه عيسى أو يسوع ، ويكون رسولا نبياً يجدد صلة بنى إسرائيل بخالقهم العظيم .

وحين تعجبت (مريم) لحملها وهى بكر لم تتزوج ، وتعجب (زكريا) لحمل زوجته العاقر على حين قد بلغ هو من الكبر عتيا - كان جواب الملائكة أن ذلك لا يعز على قدرة الله الذى يخلق من العدم المحض وجودا محققا ، ويصنع من لا شىء كائنات تتصف بالحياة ، والتأثير .

وقد أفضت (مريم) إلى أختها (إلياصابات) بما يختمر فى نفسها من مشاعر الخشية ، والاشفاق - فقالت لها إن مافى بطنى يسجد لما فى بطنك ، وطمأنتها بما يحمل لها المستقبل من شرف وتكريم .

أما (يوسف النجار) - فلم يساوره شك قط فى طهارة عروسه البتول - ولكنه حين بدت عليها علامات الحمل - سألها سؤالا يكشف عما يخامر نفسه القلقة من خواطر حائرة - قال لها :

(إنى سائلك عن أمر فلا تعجلى على) .

قالت (وماهو ؟)

قال (هل يكون قط شجر من غير حب . وهل يكون زرع من غير بذر . وهل يكون ولد من غير أب ؟)

فقالت (نعم) وفهمت ما أشار إليه .

أما قولك هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر - فإن الله قد خلق الشجر ، والزرع أول ماخلقهما من غير حب ولا بذر .

أما قولك هل يكون ولد من غير أب - فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير

أب ولا أم · فصدقها ، وسلم لها حالها)[1] .

(ب) الميلاد ، والنشأة :

تمت أشهر الحمل لمريم عليها السلام ، ووضعت ولدها (يسوع) المسيح فى بيت لحم .

ويختلف الباحثون حول تاريخ ميلاد السيد المسيح اختلافا كبيرا لا نرى داعيا له فى هذه العجالة .

ولكننا نشير فقط إلى أن الكنيسة الغربية تحتفل به فى السادس والعشرين من ديسمبر .

بينما تحتفل به الكنيسة الشرقية يوم السادس من يناير .

ويروى أن طائفة من المجوس عرفوا تاريخ ميلاده ، فأقبلوا على بيت لحم يحيون الوليد العظيم ، ويسجدون له .

وننقل هنا ما يذكره إنجيل متى بهذا الخصوص .

فقد ورد فى الإصحاح الثانى (ولمـــا ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمه فى المشرق ، وأتينا لنسجد له .

فلما سمع هيرودس الملك ، اضطرب وجميع أورشليم معه ، وجمع كل كتبة الشعب، ورؤساء الكهنة وسألهم أين يولد المسيح ، فقالوا له فى بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب النبى وأنت يا بيت لحم .

---

(١) تفسير ابن كثير ، الجزء الثالث ، ص ١١١٦

« أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل .

حينئذ دعا (هيرودس) المجوس سرا ، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ثم أرسلهم إلى بيت لحم ، وقال اذهبوا ، وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى وجدتموه ، فأخبرونى لكى آتى أنا أيضا وأسجد له .

فلما سمعوا من الملك ، ذهبوا ، وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ، ووقف فوق حيث كان الصبى، فلما رأوا النجم ، فرحوا فرحا عظيما جدا ، وأتوا إلى البيت ، ورأوا الصبى مع (مريم) أمه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم ، وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا .

ثم إذا أوحى إليهم فى حلم أن لا يرجعوا إلى (هيرودس) ، انصرفوا فى طريق أخرى إلى كورتهم) .

ويحكى الإصحاح بعد ذلك أن ملاك الرب تمثل ليوسف النجار ، وطلب إليه أن يذهب بالصبى وأمه إلى مصر ، لأن الملك سيبحث عن الصبى ، ويقتله .

وهذا هو ما حدث بالفعل ، فقد تعقب الملك جميع الأطفال الذين توقع أن يكون من بينهم المسيح الموعود ، فقتلهم .

أما يوسف ، فقد هاجر مع الصبى وأمه إلى مصر ، وأقاموا بها حتى هلك (هيرودس) الاول ، ثم عادوا حينئذ إلى أورشليم .

وحيث كانت بيت لحم فى حصة (أرخلوس) الذى ورث عن أبيه العنف والقسوة فقد أقام الثلاثة فى الجليل التى كانت تحت سيطرة (هيرودس) الثانى .

وكانت تبدوا على المسيح منذ طفولته وصباه مخايل الصفاء العقلى ، والشفافية الروحية .

من ذلك ما يروى عنه وهو فى الثانية عشرة من عمره ، فقد كان أبواه يذهبان كل عام لقضاء عيد الفصح فى أورشليم ، وقد اصطحباه معهما وهو فى هذه السن.

وبعد ما أكملوا الايام ، ، بقى الصبى فى (أورشليم) دون أن يعلم (يوسف) و (مريم) بذلك .

ولما افتقداه طلباه بين الأقرباء ، والمعارف .

ولما لم يجداه ، رجعا إلى (أورشليم) يطلبانه .

وبعد ثلاثة أيام — وجداه جالسا بين المعلمين يسمعهم ، يسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من أسئلته ، وأجوبته .

فلما أبصراه ، اندهشا ، وقالت له أمه يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا فقال لهما لماذا كنتما تطلبانني ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما)[1] .

(ج) يوحنا المعمدان :

كان اليهود ينتظرون ظهور المسيح الذى بشرت به أسفار العهد القديم والذى يعيد المجد اليهودى المبدد عبر عصور القهر والاستبداد .

وجاء (يوحنا) المعمدان فبشر بقرب ظهور المسيح ، وكان يتحدث فى مجالسه عن شرفه وكرامته ، وسمو منزلته عند الله ، ولكنه لم يحدد شخصيته ولا الوقت الذى سيظهر فيه .

ولا بد أن كهنة اليهود قد استقبلوا بشارة (يوحنا) بكثير من الذعر والتوجس،

---

(١) إنجيل لوقا الإصحاح الثانى

لأنهم توقعوا فى تعاليم المسيح المنتظر خطرا داهما على امتيازاتهم الكنيسية الموروثة ، ومن هنا لم يكن تحمسهم للبشارة ، ولا حبهم للبشير ، بل لقد تآمروا على (يوحنا) فقتلوه تخلصا من الصوت الجهير الذى يقض مضاجعهم ، ويزعج إستقرارهم .

(د) معجزات المسيح :

بعد مقتل (يوحنا) أوحى إلى المسيح (عيسى بن مريم) برسالة السماء .

ولما كان الشعب اليهودى تغلب عليه الطبيعة المادية التى تقف به عند الإيمان بالمحسوس ، ولا تسمو به إلى مقام التجريدات العقلية ، فقد توالى ظهور المعجزات الحسية على يد المسيح .

وننقل هنا شيئا مما ترويه الأناجيل بهذا الخصوص .

فقد جاء أحد العظماء ، فسجد له ، وقال (إن ابنتى قد ماتت تعال فضع يدك عليها فتحيا) فقام (يسوع) هو وتلاميذه وإذا إمرأة نازفة دم قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه ، لأنها قالت فى نفسها إن مسست هدب ثوبه فقد شفيت ، فالتفت يسوع وقال لها ثق يا إبنة قد شفاك ، فشفيت من تلك الساعة .

ولما جاء (يسوع) إلى البيت الذى دعاه ونظر إلى الجميع وكانوا يضجون ويبكون ، فقال لهم (تنحوا ، فإن الصبية لم تمت ، ولكنها نائمة) فضحكوا عليه ، وسخروا منه .

فلما أخرج الجميع ، دخل وأمسك بيدها . فقامت الصبية ، فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها .

وفيما يسوع مجتاز من هنــاك تبعه أعميان يصرخان ويقولان (ارحمنا يا إبن داود) .

ولما جاء إلى البيت ، تقدم إليه الأعميان فقال لهما يسوع (أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا) قالا له (نعم يا سيد) حينئذ لمس أعينهما قائلا (بحسب إيمانكما، ليكن لكما) . فانفتحت أعينهما ، فانتهرهما يسوع قائلا (أنظروا لا يعلم أحد) ـ ولكنهما خرجا ، وأشاعاه فى تلك الأرض كلها .

وفيما هما خارجان ، إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه ، فلما أخرج الشيطان ، تكلم الأخرس ، فتعجب الجميع قائلين (لم يظهر قط مثل هــذا فى بنى إسرائيل)[١] .

(ه) نهاية المسيح على الأرض :

تختلف الكتب المقدسة المعروفة فى وصف نهاية المسيح على الأرض اختلافا جوهريا فالأناجيل تذكر أنه قتل ، وصلب ، ودفن ، ثم قام من بين الموتى ، ورفع بجسمه وروحه إلى السماء حيث جلس على يمين أبيه وأنه هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة .

وبهذا يعتبر أحد الثالوث الإلهى (الأب ، والإبن ، والروح القدس) .

والقرآن يشير إلى هذه النهاية فى نحو قوله تعالى « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه »[٢] .

ولكننا نكتفى هنا بهذا الإجمال ، ونرجىء تفصيل هذه النقطة إلى موضع آخر من هذا الفصل .

كما سنبين موقف الإسلام بهذا الخصوص فى الفصل التالى إن شاء الله .

---

(١) راجع إنجيل متى ، الإصحاح التاسع ، وإنجيل مرقس، الإصحاح الخامس

(٢) سورة النساء ، الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨

(٣)

الفرق المسيحية

لعل القــارىء يذكر ما أشار إليه حديث رسول الله ﷺ من افتراق النصارى إثنتين وسبعين فرقة .

وبعض هذه الفرق قد باد واندثر , وبعضها لا يزال قائما إلى اليوم .

وبعضها قد تداخل بشكل أو بآخر مع فرق أخرى .

وقد ذكر (الشهرستانى) من كبار الفرق المسيحية ثلاث فرق هى :

(١) الملكانية (٢) النسطورية (٣) اليعقوبية ، أو اليعاقبة .

ولكن الفرق الكبرى التى تنتظم جماهير المسيحيين اليوم ، ثلاث أخرى هى :

(١) الأرثوذكس (٢) الكاثوليك (٣) البروتستانت .

وسنخص كلا من الفرق الست بشىء من البيان على اعتبار أنها تمثل الفرق المسيحية الكبرى قديما ، وحديثا .

١ — الملكانية ، أو الملكائية :

الملكائية ، هم أصحاب (ملكا) الذى ظهر بالروم ، واستولى عليها ، ومن ثم فقد إتبعه أكثر أهلها على مذهبه .

قالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتضرعت بناسوته .

ويعنون بالكلمة أقنوم العلم .

ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة ، وقد مازجت الكلمة جسد المسيح كما يمازج الماء اللبن .

وقد صرح أكثر الملكانية بأن المسيح ناسوت كلى لا جزئى ، وهو قديم أزلى من قديم أزلى ، وقد ولدت (مريم) عليها السلام إلها أزليا .

والقتل ، والصلب وقع على الناسوت ، واللاهوت .

وأطلقوا لفظ الأبوة ، والبنوة على الله عز وجل ، وعلى المسيح وذلك لما يزعمونه من نص الإنجيل عليه فى نحو قوله (إنك أنت الإبن الوحيد)[١] .

٢ — النسطورية :

النسطورية ، هم أصحاب (نسطور الحكيم) الذى ظهر فى زمان المأمون ، واستحدث فى الأناجيل آراء خاصة .

قال : (إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة .

وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هى هو .

وقد اتحدت الكلمة بجسد المسيح لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية . ولكن كإشراق الشمس فى كوة ، أو على بلـــور ، أو كظهور النقش فى الخاتم .

وبعض النسطورية وصفوا الله بصفات زائدة على أقنومى العلم ، والحياة كصفة القدرة ، وصفة الإرادة .

ومنهم من اعتبر كلا من الأقانيم الثلاثة إلها .

---

(١) الملل والنحل ، القسم الأول ص ٢٠٣

بينما زعم الباقون أن إسم الإله لا يطلق على كل واحد من الأقانيم .

وزعموا أن الإبن لم يزل متولداً من الآب ، وإنما تجسد المسيح حين ولد والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت ، فهو إله وإنسان اتحدا ، وهما جوهران أو أقنومان ، أو طبيعتان - جوهر قديم - وجوهر محدث - إله تام وإنسان تام - ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث - لكنهما صارا مسيحا واحدا - مشيئته واحدة .

وقالوا إن القتل ، والصلب وقعا على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته .

ومن النسطورية قوم يعرفون بالمصلين - وهم يميلون إلى الزهد والتقشف ويقررون أنه إذا اجتهد الرجل فى العبادة ، وترك التغذى باللحم والدسم ، ورفض الشهوات النفسانية والحيوانية ، يصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السموات ، ويرى الله تعالى جهرا ، وينكشف له ما فى الغيب ، فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

ومنهم من ينفى التشبيه ، ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد[١] .

٣ - اليعقوبية :

تنسب اليعقوبية ، أو اليعاقبة إلى رجل يقال له (يعقوب) ، ولا يذكر الشهرستانى شيئاً عنه أكثر من اسمه .

قال اليعقوبية بالأقانيم الثلاثة - إلا أنهم يقولون إن الكلمة انقلبت لحما ودما - فصار الإله - هو المسيح لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل

(١) الملل والنحل ، القسم الأول ، ص ٢٠٥

اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة - بل صار هو هو - وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة إنسان ، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان .

فالمسيح إذن - هو جوهر واحد من جوهرين .

فجوهر الإله القديم ، وجوهر الإنسان المحدث تركبا كما تركبت النفس ، والبدن فصارا جوهرا واحدا ، وهو إنسان كله - وإله كله فيقال الإنسان صار إلها ، ولا ينعكس فيقال الإله صار إنسانا كالفحمة تطرح في النار ، فيقال صارت الفحمة نارا ، ولا يقال صارت النار فحمة ، وهي في الحقيقة لا نار مطلقة ، ولا فحمة مطلقة ، بل هي جمرة .

وتأسيساً على هذه الفكرة قالوا إن القتل وقع على هذا الجوهر المركب من جوهرين ، إذ لو وقع على أحدهما ، لبطل الاتحاد .

وعدل بعض اليعاقبة عن هذا التطرف فقرروا أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح عليه السلام أحيانا فتصدر عنه الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وتفارقه أحياناً فترد عليه الآلام البشرية(١) .

٤ - الأرثوذكس :

تسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية ، أو اليونانية ، لأن أكثر أتباعها من البلاد الشرقية كروسيا ، والبلقان ، واليونان .

وكان مقرها الأصلي (القسطنطينية) ، وقد أعلنت استقلالها سنة ١٠٥٤ وهي الآن تضم عدة كنائس مستقلة .

---

(١) الملل والنحل ، القسم الأول ، ص ٢٠٦

وتعنى كلمة (الأرثوذكس) كما يقول الدكتور (على عبد الواحد وافى) أصحاب الرأى المستقيم(١) .

٥ الكاثوليك :

وتسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية .

ومقرها (روما)

ومعنى الكاثوليكية (العامة) ، لأن الكاثوليك يذهبون إلى أنهم أصل المسيحية ، وأن غيرهم مبتدعون .

وأهم ما يمثل قمة الخلاف بين الأرثوذكس ، والكاثوليك ، أو بين الكنيسة الشرقية ، والكنيسة الغربية ما يأتى :

١ قالت الكنيسة الغربية إن روح القدس نشأ عن الإله الآب والإله الإبن معاً .

وأصرت الكنيسة الشرقية على أن الروح القدس نشأ عن الإله الآب فقط .

٢ — قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الآب على الإله الإبن ، وقالت الكنيسة الغربية بالمساواة الكاملة بين الاثنين .

٣ — قالت الكنيسة الشرقية بأن المسيح طبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة ، وقالت الكنيسة الغربية بأنه طبيعتان ، ومشيئتان(٢) .

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١١٥

(٢) الدكتور أحمد شلبى المسيحية ص ٢٠٦

٦ — البروتستانت :

ظهرت هذه الفرقة فى أوائل القرن السادس عشر مرتبطة بحركة الاصلاح الدينى التى تزعمها المفكر الألمانى (مارتن لوثر) .

وكلمة البروتستانت معناها المحتجون ، أى المحتجون على النظم المسيحية ، ويرجع احتجاجهم إلى أمور كثيرة أهمها :

١ — تدخــــل الكنيسة فى الحريات الشخصية ، وتحكمها بمصادرة الآراء المبتكرة ، والنظريات الحديثة فى الطب ، والفلسفة ، وإنشاء محاكم التفتيش التى قضت بالسجن ، أو الإعدام على ألوف الأحرار .

٢ — ما سارت عليه كنيسة (روما) من فرض إتاوات وضرائب باهظة ، وما كان ينفق إلا القليل من حصيلة هذه الاتاوات ، والضرائب فى الشئون المسيحية العامة — ومعظمه كان رجال الكنيسة يقتسمونه بينهم ، وينفقونه فى شئون شهواتهم ، وترفهم .

٣ — تحريم الكنيسة الكاثوليكية الزواج على القسس ، والرهبان ، ومأدى إليه ذلك التحريم من انتشار الفسق ، والفجور بين رجالها ، ونسائها حتى لقد كان القسس والرهبان يتصلون إتصالا محرما بالراهبات أنفسهن ويبررون ذلك بأنه ضرب من المساكنية الروحية .

٤ — ما اتخذه أحد المجامع المسيحية بشأن غفران الذنوب ، فقد قرر أن من حق الكنيسة الكاثوليكية أن تغفر ذنوب الخاطئين والعصاه .

وقد أفرط رجال الكنيسة الكاثوليكية افراطا كبيراً فى استخدام هذا الحق . حتى لقد أنشأوا صكوكا للغفران تباع ، وتشترى ، واتخذوها موردا هاما لكسب المال .

وفيما يلى نص هذا الصك الغريب :

(ربنا يسوع المسيح يرحمك يافلان ، ويحللك باستحقاقات آلامه الكلية المقدسة .

وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وكذلك من جميع الافراط ، والخطايا ، والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى ، ويمحو جميع أقذار الذنب ، وكل علامة الملامة التى جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر ، وأردك حديثاً إلى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، وأردك ثانية إلى الطهارة ، والبر اللذين كانالك عند معموديتك ، حتى إنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الفرح .

وأن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الآب ، والإبن ، والروح القدس)[1] .

وتسمى كنيسة البروتستانت بالكنيسة الإنجيلية .

ويقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ، ولايخضعون لفهم سواهم له ، إذ لاتختص بفهمه طائفة دون أخرى ، فالكل قادر الحق فى فهمه ، وجميعهم متساوون ، ومسئولون أمام هذا الكتاب .

وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التى تعتبر فهم الإنجيل وقفاعلى

---

(١) الدكتور (على عبد الواحد وافى) الأسفار المقدسة صـ ١٢٣

رجال الكنيسة، والتى لاتعتبر الإنجيل المصدر الوحيد للديانة المسيحية بل يضاف إليه الإلهام، والتعاليم غير المكتوبة التى يتناقلها البابا وات واحداً عن الآخر.

وتنتشر البروتستانتية فى ألمانيا، وانجلترا، والدانمارك، وهولندا، وسويسرا والنرويج، وأمريكا الشمالية، ولكن الإنجليز خاصة اعتقدوا أن حركة الاصلاح حركة عادلة ورشيدة، وأنها هى الأصـــل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة الكاثوليكية، ومن ثم احتفظ الإنجليز باستخدام كلمة الكاثوليكية، وأطلقوها على الكنائس التى هى نتاج حركة الإصلاح الدينى دون أن يحتاجوا أن يطلقوا عليها كلمة البروتستانتية.

وللتفريقه بين الكنيسة الانجليزية التى هى ثمرة حركة الإصلاح، وبين الكنيسة الكاثوليكية الأصلية، أطلقوا على كنيسة روما وأتباعها اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

وتتبع الكنيسة البروتستانتية نظاما تعاونيا حيث يتعاون أعضاؤها على القيادة، والوعظ مع عدم المساس بالاستقلال الذاتى لكل كنيسة(١).

---

(١) المسيحية، الدكتور شلبى، ص ٢٠٧

(٤)

العهد الجديد

يطلق العهد الجديد على مجموعة الأسفار التى يقدسها المسيحيون ، وذلك فى مقابلة العهد القديم ، وهو يضم الأسفار التى يشتركون فى تقديسها مع اليهـــود .

ويقصد بكلمة العهد فى هاتين المجموعتين ما يرادف معنى الميثاق . أى أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا مع الله أخذه الله على الناس .

فأولاهما تمثل ميثاقا قديماً ترجع بدايته إلى عصر (موسى) .

والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً بدأ بظهور (عيسى) .

وعدد أسفار العهد الجديد سبعة وعشرون تنقسم إلى ثلاث مجموعات ، وسفرين .

أما المجموعات فهى :

١ ـ الأناجيل الأربعة .

٢ ـ رسائل (بولس) وهى أربع عشرة رسالة .

٣ ـ الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل .

وأما السفران ، فهما سفر أعمال الرسل لـ (لوقا) ، وسفر رؤيا (يوحنا) .

وسنحاول فى سرعة أن نلقى الضوء على هذه الأسفار .

أولا : الأناجيل الأربعة :

المعروف أن المسيح عليه السلام ، هو أحد أصحاب الكتب السماوية المقدسة وإن كتابه يسمى بالإنجيل .

والكلمة تعنى البشارة ، وذلك لما تضمنه الإنجيل من بشرى الخلاص للإنسانية .

ولكن إنجيل المسيح ليس له وجود الآن ، ولا يعرف أين ذهبت به الأيام

وقد ظهرت أناجيل كثيرة تنسب إلى تلاميذ المسيح ، ولكن الكنيسة المسيحية لم تقر منها غير الأناجيل الأربعة الآتية :

(أ) إنجيل (متى) ، ويرجع تاريخ تأليفه إلى حوالى سنة ستين بعد الميلاد وكان متى يعمل ككاتب حسابات ، أو مأمور تحصيل على حد تعبير الأستاذ العقاد(١) .

(ب) إنجيل (مرقس) ويرجع تاريخ تأليفه إلى سنة ثلاثة وستين ، أو خمس وستين ميلادية على أرجح الأقوال .

(ج) إنجيل (لوقا) ، وكان طبيباً معروفاً ، وقد ألف إنجيله فى نفس العصر الذى ألف (مرقص) فيه إنجيله .

(د) إنجيل (يوحنا) وكان صاحب عمل ناجح فى تجارة السمك يشاركه فيه أخوه يعقوب كما يؤخذ من إنجيل (مرقص) حيث يقول (إنهما تركا أباهما

---

(١) عبقرية المسيح ص ١٨٢

فى السفينة مع الأجراء وذهبا وراء السيد المسيح) وقد ألف (يوحنا) إنجيله سنة تسعين بعد الميلاد على أرجح الأقوال وهو آخر الاناجيل الاربعة تأليفا .

والأناجيل الاربعة بشكل عام تتضمن قصة حياة المسيح ، ومجموعة من مواقفه وأقواله ، وتفصل أمر نهايته على الأرض . ورفعه إلى السماء على نحو ما يعتقده المسيحيون .

ثانياً : رسائل (بولس) :

قام (بولس) بدور خطير فى نشر المسيحية ، وشرحها ، وقد بدأ نشاطه بعد وفاة المسيح بحوالى أربع سنين ، واستمر قرابة ثلاثين سنة .

وقد كتب رسائله إلى عدد من الجهات يدعو فيها إلى اعتناق المسيحية ، ويشرح فيها تعاليم المسيح ، ومبادئه على نحو مايريد .

وسنزيد هذه النقطة وضوحا فى موضوع آخر من هذا الفصل إن شاء الله .

٣ ـ الرسائل الكاثوليكية وهى سبع رسائل كتبها بعض تلاميذ المسيح الذين يطلق عليهم اسم الحواريين ، وقد كتبت كلها بين سنتى خمسين ، وتسعين بعد الميلاد .

وتدور موضوعاتها حول نفس الموضوعات التى تضمنتها رسائل (بولس)

٤ ـ سفر أعمال الرسل :

وينسب هذا السفر إلى القديس (لوقا) صاحب الإنجيل الثالث . وقد كتبه حوالى سنة ثلاث وستين .

وموضوعه تاريخ حياة الحواريين ، وتاريخ طائفة ممن كان لهم . أثر ٢ فى المسيحية من التلاميذ والتابعين .

٥ - سفر الرؤيا :

وقد وضعه القديس (يوحنا) صاحب الإنجيل المعروف باسمه فى عهد الامبراطور (دوميسيان) سنة ٨١ إلى سنة ٩٦ ميلادية .

والسفر عبارة عن رؤيا منامية رآها (يوحنا) ، وأوحى إليه فيها على حد زعمه بكشف من حقائق الديانة المسيحية ، وأحداث المستقبل .

وقد كتبت أسفار العهد الجديد باللغتين اليونانية ، والآرامية ، ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغات المختلفة .

المبحث الثـــانى

شريعـــة الحب

شريعة الحب هو أفضل عنوان يمكن إطلاقه على الشريعة المسيحية وهو العنوان الذى اختاره الأستاذ العقاد للتعبير عن الشىء نفسه ، وذلك فى كتابيه اللذين خصصهما للحديث عن السيد المسيح وهما حياة المسيح ، وعبقرية المسيح .

فقد وقف بنو إسرائيل بشرائع السماء عند المظاهر والأشكال ، وطوعوها لأهوائهم الفاسدة ، ومصالحهم المادية ، فبعدوا كثيرا عن أهدافها السامية التى ارتبطت بها واتجهت إليها عند النزول .

وقد بالغ كهنتهم فى ذلك إلى حد أن أصبحت الاستقامة براعة فى اللعب بالألفاظ وتصيدا للجهلاء بالحيل والفتاوى ، فزال الجوهر فى سبيل العرض ، وزال اللباب فى سبيل القشور ، وزالت الاستقامة ، وطهارة الضمير فى سبيل الكلمات والنصوص وزالت الحقائق فى سبيل المظاهر والأشكال .

وقد كانت كلمات المسيح عليه السلام بمثابة الثورة العارمة على هذا الجمود التقليدى فى فهم الدين ، وعلى ذلك الرياء الموروث فى تطبيق أحكامه .

وهكذا استحالت الشريعة فى أيدى الكهنة إلى شريعة رياء غايتها الكسب والمباهاة ، فقد كانت شريعة المسيح شريعة حب هدفها السمو والنقاء .

وقد أجمل المسيح نفسه جوهر شريعته حين سأله أحدهم قائلا (يا معلم أى وصية هى العظمى فى الناموس ؟

٥ — سفر الرؤيا :

وقد وضعه القديس (يوحنا) صاحب الإنجيل المعروف باسمه فى عهد الامبراطور (دوميسيان) سنة ٨١ إلى سنة ٩٦ ميلادية .

والسفر عبارة عن رؤيا منامية رآها (يوحنا) ، وأوحى إليه فيها على حد زعمه بكثير من حقائق الديانة المسيحية ، وأحداث المستقبل .

وقد كتبت أسفار العهد الجديد باللغتين اليونانية ، والآرامية ، ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغات المختلفة .

(١) م.

المبحث الثـــانى

شريعـــة الحب

شريعة الحب هو أفضل عنوان يمكن إطلاقه على الشريعة المسيحية وهو العنوان الذى اختاره الأستاذ العقاد للتعبير عن الشىء نفسه ، وذلك فى كتابيه اللذين خصصهما للحديث عن السيد المسيح وهما حياة المسيح ، وعبقرية المسيح .

فقد وقف بنو إسرائيل بشرائع السماء عند المظاهر والأشكال ، وطوعوها لأهوائهم الفاسدة ، ومصالحهم المادية ، فبعدوا كثيرا عن أهدافها السامية التى ارتبطت بها واتجهت إليها عند النزول .

وقد بالغ كهنتهم فى ذلك إلى حد أن أصبحت الاستقامة براعة فى اللعب بالألفاظ وتصيدا للجهلاء بالحيل والفتاوى ، فزال الجوهر فى سبيل العرض ، وزال اللباب فى سبيل القشور ، وزالت الاستقامة ، وطهارة الضمير فى سبيل الكلمات والنصوص وزالت الحقائق فى سبيل المظاهر والأشكال .

وقد كانت كلمات المسيح عليه السلام بمثابة الثورة العارمة على هذا الجمود التقليدى فى فهم الدين ، وعلى ذلك الرياء الموروث فى تطبيق أحكامه .

وهكذا استحالت الشريعة فى أيدى الكهنة إلى شريعة رياء غايتها الكسب والمباهاة ، فقد كانت شريعة المسيح شريعة حب هدفها السمو والنقاء .

وقد أجمل المسيح نفسه جوهر شريعته حين سأله أحدهم قائلا (يا معلم أى وصية هى العظمى فى الناموس ؟

قال له (يسوع) تحب الرب من كل قلبك ، من كل نفسك ، ومن كل فكرك، هذه هى الوصية الأولى والعظمى .

والثانية مثلها ، تحب قريبك كنفسك .

بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء (١) .

ومعنى هذا أن المسيح عليه السلام لم ينقض ناموس الشرائع السابقة ، وإنما جاء ليعود بهذه الشرائع إلى جوهرها النقى من إضافات الكهنة ، وشوائب العصور .

وقد نص على ذلك صراحة ليصحح أفهام السطحيين الذين يعتقدون أنه يهدف إلى هدم الشرائع السابقة ، ويروجون لهذه الفكرة الخاطئة بين العامة لينفروا منه القلوب .

فقد قال لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس ، أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض، بل لأكمل ، فانى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

ومن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت السماوات .

وأما من عمل وعلم ، فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات (٢) .

فالمسيح إذن لم ينقض الناموس ، ولكنه مع ذلك خلص الشريعة من مظاهر الجمود ، والرياء التى علقت بها من جيل إلى جيل .

---

(١) إنجيل متى ، الإصحاح الثانى والعشرون .
(٢) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .

ولقد كان أساس الشريعة الجديدة ، هو الحب الذى يسمو بالنفس الإنسانية إلى آفاق بعيدة من الشفافية والصفاء .

حب الخالق الذى لا تحصى نعمه .

وحب المخلوق وإن عظمت إساءته وكثرت خطاياه .

ونسوق الآن هذا النص الذى يفيض روعة وإشراقا ، ويكشف عن مدى ما فى المسيحية من حب ، وتسامح .

« سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن » .

وأما أنا ، فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر .

ومن أراد أن يخاصمك ، ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا .

ومن سخرك ميلا واحدا ، فاذهب معه إثنين .

ومن سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك ، فلا ترده .

سمعتم أنه قيل ، تحب قريبك ، وتبغض عدوك ،

وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ، ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين ، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ، أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك .

وإن سلمتم على اخوتكم فقط ، فأى فضل تصنعون ، أليس العشارون أيضا

يفعلون هكذا ، فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل[١].

هذه هى صورة الحب فى شريعة المسيح ، صفح عن الأعداء ، ومقابلة للسيئة بالحسنة ، ومقابلة الخطيئة بالرضا ، والسلام .

وإذا غلبت هذه الأخلاق على امرىء ، ورسخت فى نفسه ، شاعت فى أعماقه السكينة الروحية ، فيصبح أهلا لمعاينة الخالق ودخول ملكوت السموات مهما قل اكتراث الناس به ، أو زاد احتقارهم له .

أما الأغنياء المعتدون بغناهم ، المفتونون بأموالهم ، فان دخول جمل فى سم إبرة أيسر من دخولهم فى هذا الملكوت .

يقول المسيح عليه السلام ، طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحزانى لأنهم يتعزون ، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع ، والعطاش لأنهم يشبعون ، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى الأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون، طوبى للمطرودين من أجل السلام لأنهم لهم ملكوت السموات، طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات ، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين من قبلكم »[٢] .

وإذا كانت النصوص السابقة تركز على الجانب الأخلاقى فى المسيحية ، فإن هناك نصوصا أخرى تشير إلى طائفة قليلة من التشريعات التى تختلف عن التشريعات اليهودية .

---

(١) إنجيل متى ، الإصحاح الخامس .
(٢) نفس المصدر .

فن المعروف فى الأناجيل أن المسيح أباح العمل فى السبت ، فقد ورد فى متى فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع ، لجاع تلاميذه ، وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون .

فالفريسيون قالوا له هو تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت ، فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ، أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء »[1] .

وتحريم الطلاق مسألة أخرى يتمثل فيها نمط من أنماط التشريع الجديد على اختلاف بين الأرثوذكس ، والكاثوليك .

فالمذهب الكاثوليكى يحرم الطلاق تحريما باتا ، ولا يبيح فصم الزواج لأى سبب مهما عظم شأنه . حتى الخيانة الزوجية نفسها لا تعد مبرراً للطلاق وكل ما يبيحه فى حالة الخيانة الزوجية ، هو التفرقة الجسمية بين شخصى الزوجين مع اعتبار أن الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، فلا يجوز لواحد منهما فى أثناء هذه الفرقة أن يعقد زواجه على شخص آخر .

ويعتمد المذهب الكاثوليكى فى ذلك على ما ورد فى إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول :

(لا يصلح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله) .

على حين أن المذهب الأرثوذكسى يبيح الطلاق فى حالة الخيانة الزوجية من الزوج ، أو الزوجة مع تحريمه الزواج على المطلق ، والمطلقة .

---

(١) الإصحاح الثانى عشر .

ويعتمد المذهب الأرثوذكسى فى ذلك على ما ورد فى إنجيل متى على لسان المسيح أيضا إذ يقول :

(من طلق إمرأته إلا بسبب الزنى يجعلها تزنى)[١] .

وإلى جانب إباحة السبت ، وتحريم الطلاق ، هناك مسألة ثالثة ، هى حظر تعدد الزوجات .

فقد رأينا أن اليهود يبيحون تعدد الزوجات ، بل ويطلقون هذا التعـــدد بلا حدود ، ولـكن الأناجيل تشير إلى ضرورة الاكتفاء بزوجة واحدة .

هذه هى المسائل الثلاث التى تنسب إلى الجانب التشريعى فى المسيحية ، ولا ينافى هذا أن المسيحية فى جوهرها عظ من التعاليم الأخلاقية الرفيعة التى تخلص النفوس من قيود المادية المهيمنة ، وتسمو بها إلى آفاق رحبة من الطهارة والصفاء .

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى ، الأسفار المقدسة ، ص ١٣١

المبحث الثالث

مسيحية بولس

لم يكن (بولس) من التلاميذ المباشرين لعيسى عليه السلام .

بل تذكر بعض المصادر أنه لم ير المسيح فى حياته ، بينما تذكر مصادر أخرى أنه كان من أكبر أعدائه ، وألد خصومه .

بدأ ولاؤه المسيحية سنة سبع وثلاثين ، واستغرق نشاطه فى تأييدها قرابة ثلاثين سنة ، أى إلى أن مات سنة ٦٧ ميلادية .

وقد كان (بولس) طاقة هائلة وجهت كلها فى نصرة المسيحية والترويج لها . ويظهر ذلك من خلال رسائله التى بعث بها إلى مختلف الجهات فى سبيل نشر المسيحية .

ولا نريد أن نبحث هنا عن الدوافع الحقيقية وراء نشاط (بولس) وتفانيه فى دعوته . ولكن الذى نريد إثباته ، هو أن (بولس كان يهدف إلى جعل المسيحية ديانة عالمية . وأن هذا الهدف حمله على الاجتهاد فى تفسير عبارات المسيح تفسيرا يحقق دعوى العالمية .

بل لقد استطاع (بولس) أن يلقح العقائد المسيحية بأفكار حديثة مأخوذة من الديانات ، والمذاهب المختلفة ، وأن يوحى إلى واضعى الأناجيل بهذه الأفكار إنما نجد أثره واضحا فى ما بين أيدينا من الأناجيل ، كل هذا بقصد أن تكون المسيحية دينا عالميا يجتذب الأنصار والمؤيدين فى كل مكان .

وبهذه التحريفات المتعمدة ، خرجت المسيحية عن وجهها الصحيح ، ولكنها في الوقت ذاته أحرزت ما كان يهدف إليه (بولس) من الانتشار السريع .

وأهم المسائل التى أدخلها (بولس) على المسيحية ، والتى تمثل هذا التحريف الخطير .

١ - القتل ، والصلب .

٢ - القيامة ، والرفع بالجسد والروح .

٣ - التثليث .

وسنحاول أن نعطى فكرة سريعة عن المسائل الثلاث من خلال ما يوجد في الأناجيل ، وفي الرسائل المسيحية .

المسألة الأولى - القتل والصلب :

تقوم هذه العقيدة على أساس أن الله حين أراد أن يكفر عن خطايا البشر بذل ولده الوحيد ليقتل ويصلب كمظهر من مظاهر الفداء المقدس والتضحية بالذات من أجل الآخرين .

وتحكي الأناجيل أن كهنة اليهودائتمروا على المسيح ليقتلوه ويصلبوه ، وأن أحد تلاميذه ، وهو يهوذا الأسخريوطى) اتفق على أن يسلمه إليهم لقاء ثلاثين قطعة من الفضة .

أما المسيح نفسه ، فقد اجتمع بتلاميذه ليلة الفصح ، وأنبأهم بما سيحدث ، ووزع عليهم الخبز قائلا لهم هذا هو جسدى فكلوه ، كما وزع عليهم الخمر قائلا وهذا هو دمى فاشربوه ، ومن هنا نشأت في المسيحية فكرة (الفداء الربانى) .

ولما كانت الساعة المحدودة ، أقبـل يهوذا ومعه جمع كثير يحملون العصى

والسيوف ، ثم تقدم إلى المسيح فقبله ، وكانت هذه إشارة البدأ التى اتفقوا عليها ، فقادوه إلى رئيس الكهنة ، بينما فر الحواريون من وجه الجميع فيما عدا بطرس السمعانى الذى اندس بين الناس ، وجلس مع الخدم فى دار رئيس الكهنة لينظر النهاية .

وطلب الكهنة شاهد زور ضد المسيح ، فتقدم أحد العامة قائلا : هذا قال إنى أقدر أنقض هيكل الله ، وفى ثلاثة أيام أبنيه لكم ، فقام رئيس الكهنة وقال له : أما تجيب بشىء ، أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح بن الله ؟

قال له يسوع أنت قلت ، وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء .

فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف ، ما حاجتنا بعد إلى شهود قد سمعتم تجديفه ، ماذا ترون ؟

فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت .

حينئذ بصقوا فى وجهه ، ولكموه ، وآخرون لطموه قائلين له :

تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟

أما (بطرس) فكان جالسا خارجا فى الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليل ؟

فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدرى ما تقولين .

ثم إذا خرج إلى الدهليز ، رأته أخرى فقالت للذين هناك : وهذا كان مع يسوع الناصرى ، فأنكر أيضا بقسم أنى لست أعرف الرجل .

وبعد قليل جاء القوم ، وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم ، لأن لغتك

لغتك تظهرك ، فابتدأ يلعن ، ويحلف أني لا أعرف الرجل[1] .

وكان المسيح قد تنبأ بفرار الحواريين ، وإنكار (بطرس) له ، فأقسم الجميع أنهم لا يفعلون .

ثم إن رؤساء الكهنة ، وشيوخ الشعب قد تشاوروا فيما يفعلونه، فأوثقوه ، وساروا به إلى (بيلاطس) النبنطى الوالى يطالبون بعقابه ، فسألهم (بيلاطس) وأى شر عمل ؟

فازدادوا صراخا أصلبوه ، فنزل على حكمهم ، وأسلمه إليهم وقد غسل يديه إشارة إلى براءته من دمه ، فقالوا له : دمه علينا وعلى ذريتنا من بعدنا إلى يوم القيامة ، فصلبوه ، وقتلوه واقتسموا ثيابه .

وكانوا أثناء صلبه يسخرون منه قائلين :

آه يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام ، خلص نفسك وأنزل عن الصليب ، فيقول رؤساء الكهنة فى شماتة :

خلص آخرين ، وأما نفسه فلا يقدر أن يخلصها .

ولم يزل اليهود هكذا يهزؤون به ويسخرون منه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وأسلم الروح بعد ست ساعات من صلبه ، وبعد أكثر من ثلاث سنوات من بدأ رسالته .

ثم كفن فى ثوب من الكتان ، ووضع فى قبر كان منحوتا فى صخرة ، ودحرج حجر على باب القبر .

وكانت (مريم) المجدلية ، و (مريم) أم يوسف تنظران أين وضع[2] .

---

(١) أنجيل متى الإصحاح السادس والعشرون .

(٢) مرقس ، الإصحاح الخامس عشر .

المسألة الثانية ، قيامة المسيح ، ورفعه إلى السماء :

ولم تكن هذه النهاية لتستقيم مع دعوى العالمية التى يهدف إليها (بولس) بل لا بد أن يستأنف المسيح حياته من جديد .

بل لابد أن تكون الحياة الجديدة أبدية متصلة حتى يكون موصول الأثر فى حياة الناس .

فقد انتهى حديث الأناجيل عن المسيح إلى مابعد صلبه وموته ليتناول مسألة قيامه من قبره ، ورفعه إلى السماء بجسمه وروحه ، وذلك على النحو التالى :

إن جمعا من النساء اللاتى حزن على المسيح أتين قبره فى اليوم الثالث من دفنه ، فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر . فدخلن ، ولم يجدن جسد يسوع .

وفيما هن محتارات فى ذلك ، إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة ، وإذا هن خائفات ، ومنكسات وجوههن إلى الأرض ، قالا لهن ، لماذا تطلبن الحى بين الأموات ، ليس هو هنا ، لكنه قام ، أذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل قائلا أنه ينبغى أن يسلم ابن الإنسان فى أيدى أناس خطاة ويصلب ، وفى اليوم الثالث يقوم .

فتذكرن كلامه ، ورجعن من القبر ، وأخبرن الأحد عشر ، وجميع الباقين بهذا كله ، ولكن أحدا لم يصدق هذا الخبر العجيب ، إلى أن ظهر يسوع نفسه للحواريين الذين كانوا يتحدثون فى أمره .

فقد وقف فى وسطهم وقال لهم :

سلام لكم . فجذعوا وخافوا ، وظنوا أنهم نظروا روحا ، فقال لهم :

ما بالكم مضطربين ، انظروا يدى ، ورجلى ، إنى أنا هو - جسونى

وانظروا كما ترون لى .

وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه .

وبينما هم غير مصدقين من الفرح ، قال لهم :

أعندكم هنا طعام ؟

فناولوه جزءا من سمك مشوى ، وشيئاً من شهد عسل ، فأخذ ، وأكل قدامهم وقال لهم : هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم . أنه لا بد أن يتم جميع ماهو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير .

وبعد أن أكد لهم ماكانوا يشكون فيه ، باركهم وصعد إلى السماء ، فسجدوا له ، وانصرفوا مهللين(١) .

المسألة الثالثة : (التثليث) :

لعل مسألة التثليث هى أخطر وأهم المسائل التى أدخلها (بولس) فى المسيحية لأنها إيذان بالشرك الصريح ، وإدعاء بانتقال يسوع من الطبيعة البشرية إلى الحقيقة الإلهية ، وهو أمر لا يدخل فى منطق العقل ، ولا تقره نصوص النقل الصحيح .

والعقيدة المسيحية تقرر أن يسوع هو ابن الله ، أو هو أحد الثالوث الإلهى الآب والابن والروح القدس ، وأنه رفع وجلس عن يمين أبيه ، وأنه سينزل آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا حين تكون قد ملأت جورا ، وأنه هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة .

وقد أشارت الأناجيل إلى ذلك ، وأشار إليه أيضا (بولس) فى رسائله . من ذلك ماذكره فى رسالته إلى أهل رومية ، فهو يقول :

« بولس عبد ليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لإنجيل الله الذى سبق فوعد

---

(١) إنجيل لوقا ، الاصحاح الرابع والعشرون .

به أنبياءه فى الكتب المقدسة عن إبنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا الذى به لأجل اسمه قبلنا نعمة الله ورسالته لطاعة الإيمان لجميع الأمم الذين بينهم أنتم أيضاً مدعو ويسوع المسيح إلى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعوون قديسين نعمة لكم ، وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح » .

هذه هى المسائل الثلاث التى أدخلها (بولس) على المسيحية ـ فبعد بها كل البعد عن تعاليم المسيح .

وستكون لنا وقفتان أخريان تجاه هذه المسائل :

إحداهما فى تعقيبنا التالى على المسيحية .

والثانية فى عرض موقف الإسلام من عقائد أهل الكتاب .

تعقيب

من العرض المتقدم ألممنا بأصول المسيحية ، وتعرفنا على المناخ الخاص الذى نشأت فيه هذه الديانة .

وتبقى عدة ملاحظات تستحق التسجيل بها فى هذا التعقيب .

١ — تعرفنا على الأناجيل الأربعة التى تعترف بها الكنيسة ، وعرفنا أن هناك عدد آخر من الأناجيل لم يحظ بهذا الاعتراف ، وذلك كانجيل (برنابة) .

ولكن السؤال الذى ينبغى أن نوجهه هو أين الإنجيل الذى نزل على المسيح نفسه ؟

لا يعرف أحد أين ذهبت به الأيام ، الأمر الذى يؤكد اختلاف الأناجيل الحالية ولو فى بعض المسائل عن إنجيل المسيح .

بل أننا لنلاحظ هذا الاختلاف بين هذه الأناجيل نفسها فى كثير من التفاصيل.

ومن أمثلة ذلك ، حديث الأناجيل عن صلب المسيح ، وعن قيامته ، ورفعه، ولو أنها استهدفت عرض الحقيقة القاطعة ، لما وقع بينها الاختلاف .

فهى إذن مختلفة فيما بينها فى عرض الوقائع . كما أنها مختلفة عن الإنجيل الأصلى الذى نزل على المسيح .

٢ — تحاول المسيحية أن تعلل حادثة الصلب بأنها تكفير عن خطايا البشر حيث بذل الرب ولده الوحيد كمظهر من مظاهر رحمته .

ونسأل كيف تتفق الرحمة الربانية مع بذل الرب ولده على زعمهم ليقتل ويصلب ؟

بل كيف يتفق العدل الإلهى مع القول بوراثة البشر لخطيئة أبيهم آدم ؟

أليس أقرب إلى العدل ، وأدنى إلى الرحمة ، أن تكون المسئولية فردية بحيث يجزى كل امرىء عن عمله الخاص خيراً كان ، أو شراً ؟

وهذا هو مايقرره الإسلام فى نحو قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى »(١) .

٣ — لا شك أن النزعات الفكرية التى وفدت إلى فلسطين من أرض اليونان قد هيأت الأذهان لقبول المسيحية ، وسمت بأرواح الخاصة نوعا ما عن مادية بنى إسرائيل .

ويبدو أن (بولس) قد ألم ببعض هـــذه النزعات ، كما وقف على بعض الديانات الوضعية الكبرى ، واستغل هذه الثقافة العامة فى تلقيح المسيحية ضمانا لدعوى العالمية .

ومن أبرز الشواهد على ذلك ما نجده فى المسيحيـــة من الاهتمام بالروح على حساب الجسد ، وما يستتبع ذلك من مظاهر الزهد والتقشف ، وهو ما نجد له أساسا فى الفيثاغورية ، والرواقية ، والأبيقورية وفى بعض الديانات الوضعية القديمة كالبوذية .

وهناك أيضا عقيدة التثليث التى تقوم من المسيحية مقام الأساس من البناء .

ونحسب أن (بولس) قد اقتبس هذه العقيدة من البرهمية .

وقد مر بالقارىء أن البرهمية تقول بثلاثة آلهة وهى :

(براهما ، إله الخلق ، وفشنو ، إله الحفظ والتدبير ، وسيفا ، إله الفناء والدمار) .

---

(١) سورة النجم ، الآيات ٣٩ ، إلى ٤١

وقد أغرى ذلك بعض الباحثين بعقد المقارنة بين المسيحية من جهة ، وبين هذه الديانات الوضعية من جهة أخرى ، وعلى الأخص الديانات الكبرى فى الهند .

بل إن من الباحثين من عقد المقارنة بين حياة (بوذا) وحياة المسيح كدليل على تأثر الرواة ، وخلطهم فيما يذكرون من وقائع حياة الرجلين .

فقد دل على ولادة (بوذا) نجم ظهر فى أفق السماء ، ويدعونه نجم بوذا .

وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق .

ولما ولد (بوذا) فرحت جنود السماء ، ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين ، ولد اليوم بوذا على الأرض كى يعطى للناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة .

ولما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء ، ورتلوا الأناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين ـ المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة .

عرف الحكماء (بوذا) وأدركوا أسرار لاهوته ، ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ، ودعوه إلها .

وزار الحكماء يسوع ، وأدركوا أسرار لاهوته ، ولم يمر يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة .

ولما صار عمر (بوذا) إثنى عشرة سنة ، دخل الهياكل ، وصار يسأل أهل العلم بمسائل عويصة ثم يوضحها لهم ، حتى فاق كافة مناظريه .

لما صار عمر يسوع اثنتى عشرة سنه ـ جاءوا به إلى (أورشليم) ، وصار

يسأل الاحبار ، والعلماء مسائل مهمة - ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع »[1] .

ولا نطيل بذكر هذه المقارنات - إذ من الممكن الرجوع إليها فى مصادرها الاصلية .

٤ - وننتقل إلى الملاحظة التالية من ملاحظاتنا العاجلة وهى تتعلق بما نقلته بعض الاناجيل عن السيد المسيح بعد قيامته المزعومة من أن ما حدث له من القتل والصلب ، ومن القيامة أيضا مذكور فى ناموس موسى ، والأنبياء والمزامير .

وقد أوردنا كلام المسيح بنصه منذ قليل .

غير أننا قرأنا عددا من أسفار العهد القديم لا بأس به ، وفى مقدمة ما قرأناه - أسفار التوراة التى هى ناموس (موسى) ، فلم نجد إشارة إلى نبى يصلب ، ويقتل ، ويقوم من قبره بعد أيام ليرفع بروحه وجسمه إلى السماء ، ويجلس عن يمين الرب هذا على فرض التسليم بصحة كل ماورد فى هذه الأسفار .

فهل نسب المسيح إلى الله ، أو إلى الأنبياء ما لم يقولوه ، أو نسبت الأناجيل إلى المسيح ما لم يدر له قط على بال ؟

نحسب أن هذا هو أحد الامثلة لما يشيع فى الأناجيل من اضطراب الرواية .

٥ - لا يكاد أحد من المسيحيين حتى اليوم يستطيع أن يقدم لنا تصورا معقولا لمسألة امتزاج اللاهوت بالناسوت .

ولا يزال الخليط الذى صنعه (بولس) من هذين العنصرين المتباينين كل التباين أشبه شىء بتحويجة سحرية يحسب سرها من الطلاسم والمعميات .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة ، ص ٥٥

وهناك أيضا مسألة القيامة والرفع هى الأخرى مسألة محيرة حقا .

لقد ذكرت الأناجيل أن المسيح عليه السلام قام من قبره ، ورفع إلى السماء على مرأى من تلاميذه ، فهل كان بعد قيامته ذا طبيعة بشرية كما كان قبل الموت ؟ ذلك ما يفهم من حديث الأناجيل ، ويدل عليه جسهم له بالأيدى ، وأكله من السمك وشهد العسل .

فهل رفع إلى السماء بهذه الطبيعة البشرية القابلة للمس ، والطعام - أو أنه قد تحول إلى طبيعة أخرى تتناسب مع أعباء منصبه الجديد كشريك فى الألوهية - إذن - فمتى تم ذلك ، وعلى أى نحو تم ؟

لم تذكر الأناجيل ، ولا شراحها كلمة واحدة ترفع النقاب ولو قليلا عن هذا السر المسرف فى الخفاء .

ومسألة بنوة المسيح لله - هى أكثر المسائل خفاء ، وأشدها استعصاء على الفهم البشرى - وهى فى الوقت ذاته إحدى العقائد الأساسية فى المسيحية -

إن كانت بنوة حقيقية على نحو ما نفهمه من لفظ البنوة فى حياتنا العادية - فهو إفتراء على مقام الألوهية بغير علم ، وتطاول على الذات الأقدس بما لا يليق . وإن كانت بنوة مجازية يقصد بها مجرد الطاعة ، والولاء من قبل الإبن والرعاية ، والرحمة من قبل الأب - فأى معنى لاختصاص المسيح بها دون سائر الأنبياء ، والأولياء ؟

والواقع أن النصوص المنقولة عن المسيح عليه السلام ، والتى تثبت بنوته لله ، أو تثبت أبوة الله له لا يمكن إلا أن تحمل على المعنى المجازى على فرض التسليم بصحة النقل .

وقد جرى استعمال البنوة بهذا المعنى كثيرا فى اليهودية والمسيحية والإسلام .

ـ فقد قالت اليهود والنصارى كما حكى عنهم القرآن «نحن أبناء الله وأحباؤه» (١).

وفى الحديث القدسى «الفقراء عيالى ، والأغنياء وكلائى ، فإذا بخل وكلائى على عيالى نزعت منهم مالى ولا أبالى» .

ـ بل إن فى الأناجيل أيضا استخدام البنوة والأبوة بهذا المعنى المجازى لا بالنسبة إلى المسيح وحده ، وإنما بالنسبة إلى قومه من النصارى أيضا ـ ولعل القارىء يذكر ما أوردناه على لسان المسيح نقلا عن إنجيل متى والإصحاح الخامس إذ يقول : ـ

«سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» ، إلى أن يقول «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل» .

ولكن الكنيسة تتمسك بحمل البنوة على المعنى الحقيقى ، ثم تعجز عن تقديم التفسير الذى لا يتعارض مع بداهة العقل .

ولا يسع المنصف إلا أن ينزه المسيحية الخالصة عن مثل هذه العقائد الغريبة التى لا تحمل فى ثناياها مقومات الإقناع ـ بل هى من إضافات (بولس) التى تتضمن عناصر بطلانها وتهافتها .

وأعتقد أن مسيحية (بولس) بكل ما فيها من قلق واضطراب كانت هى السبب الأول لما حدث فى الغرب من الحركات الفلسفية الملحدة التى دعت

---

(١) المائدة ص ١٨

إلى التحرر من الدين باسم المـــادية ، أو العلمانية ، أو ما شابه ذلك من تسميات .

وهى السبب كذلك فى الدعوات التى تنادى بفصل الدين عن الدولة ، أو بعزل الكنيسة عن الحياة

فليس من السهل أن يقبل إنسان يحترم عقله ما تضمنته مسيحية (بولس) من تعاليم لا تدخل فى منطق العقل ، ولا تخضع لصرامة التحليل .

يقول الفيلسوف الألمانى (فردريك نيتشة) « كيف نتصور إلها حكيما يتصل بامرأة ثانية ، وينجب منها أولادا » .

ونيتشة هو ابن أحد القساوسة الذين وقفوا حياتهم على خدمة الكنيسة ؛ ومع ذلك فقد كفر بجميع الأديان - لما رآه من لا معقولية المسيحية .

ولعـــل تعارض المسيحية مع العقل على هذا الوجه الصارخ ، وانكشاف تهافتها مع البحث والتحليل - هو السبب الذى حدا بالفيلسوف الإنجليزى (توماس هوبس) إلى أن يغلق الباب تماما - فهو يقول :-

(إن نصوص الدين كأقراص الدواء إن ابتلعت أفادت ، وإن مضغت كانت مرة المذاق) .

وبعد ، فهذه كما قلنا بعض الملاحظات السريعة التى سمح بها مجال الحديث على أن هناك ملاحظات أخرى نوردها فى بيان موقف الإسلام من الديانات السابقة - وذلك فى الفصل التالى إن شاء الله .

الفصل الخامس

الإسلام

فى الفصل الأول من هذه الدراسة بينت أن الإسلام هو الإطار العام لديانات السماء ، وأن القرآن الكريم وصف أنبياء الله وكبار أتباعهم بأنهم مسلمون .

وأشرت مع ذلك إلى أن إطلاق الإسلام كوصف ذاتى ، أو عنوان خاص على الدين الأخير الذى ظهر فى شبه الجزيرة العربية على يد محمد عليه السلام — هو من باب إطلاق الشىء على أشرف مراحله ، وأكمل أطواره .

فقد عرفنا أن كل دين سماوى يأتى مشتملا على ما فى سابقه من عناصر الكمال ويزيد عليه .

وتأسيساً على هذه القاعدة ـ جاء الإسلام وهو آخر أديان السماء إلى الأرض مصدقا للديانات السابقة ، ومهيمنا عليها ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا خاتم أنبيائه « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » (١) .

وكان سكان شبه الجزيرة الذين واجههم الإسلام إبان ظهوره طوائف مختلفة مزقتها الأهواء ، وتفرقت بها الآراء .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨

ولكن الطوائف الكبرى يمكن حصرها فيما يأتي : —

١ - الدهريون الذين يرفضون التدين جملة وتفصيلا ، ويرجعون بجميع الظواهر إلى قانون الصدفة .

٢ - الوثنيون الذين يعبدون من دون الله أو مع الله آلهة أخرى .

٣ - الحنفاء - وهم قلة تخلصوا من مظاهر الإلحاد والوثنية ، وأخلصوا نفوسهم لله .

٤ - أهل الكتاب وهم طائفتان - اليهود ، والنصارى - ويطلق على هاتين أيضا إسم بنى إسرائيل .

وقد كان للإسلام موقف محدد من كل طائفة نحاول أن نلقى عليه الضوء فى هذا الفصل إن شاء الله .

بيد أننا نود الإشارة إلى أن الطوائف المذكورة لا يزال لها امتداد على مر التاريخ - إن لم نقل إنها تمثل بشكل عام كل الاتجاهات العقائدية التى قد تظهر فى أى عصر من العصور .

المبحث الأول

الطوائف غير الكتابية

نتحدث فى هذا المبحث بإيجاز عن الطوائف غير الكتابية الثلاث وهى طوائف الدهريين والوثنيين ، والحنفاء وسنسير فى التناول وفق هذا الترتيب .

١ - الدهريين :

يطلق على الدهريين إسم الماديين ، أو الطبيعيين ، أو الزنادقة ، أو الملاحدة. ويتلخص مذهبهم فى إنكار وجود إله يستند إليه هذا الكون .

وهم يعبرون عن مذهبهم بقولهم « إن هى إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر » .

وقد أشار القرآن إلى هذا المذهب فى قوله سبحانه وتعالى «وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون(١)».

والقرآن يرد على الدهريين فى كثير من آياته ، وفى أنماط مختلفة من الأدلة نكتفى منها بما يأتى :

(أ) دليل العناية :

يهدف دليل العناية إلى إثبات وجود الصانع الحكيم بلفت الأنظار إلى ما فى الكون من مظاهر القدرة الإلهية واتجاه هذه المظاهر المختلفة إلى غاية مرسومة بدقة مذهلة جارية وفق حكمة سامية - ولهذا يطلق عليه إسم دليل العناية الغائى .

---

(١) سورة الجاثية ، الآية ٢٤

فالآيات القرآنية تنقل بنا بين مشاهد السماء والأرض ، بين غرائب النبات والحيوان والإنسان، وعجائب الكواكب والنجوم،وتربط ذلك كله بالنواميس المستندة إلى قدرة الله وحكمته .

ونكتفى بذكر نموذجين من الآيات التى تندرج تحت دليل العناية الفائق .

يقول سبحانه وتعالى فى سورة النبأ « ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا »(١) .

ويقول فى سورة يس « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذاهم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون(٢) .

ومن الممكن الانتفاع بالكشوف العلمية الحديثة فى تأصيل هذا الدليل ، وجذب الشباب المثقف إلى حظيرة الإيمان .

وكتابات (عبد الرزاق نوفل) و (مصطفى محمود) فى العقيدة تنحو هذا المنحى الذى يكفل لها حسن القبول وسعة الانتشار .

(ب) دليل النقص الإنسانى :

إثبات النقص الإنسانى نمط آخر من أنماط الأدلة التى يمكن أن تساق لإقناع الدهريين بوجود الله .

---

(١) الآيات من ٥ : ١٦

(٢) الآيات من ٣٦ : ٣٩

فإن نقص الإنسان يبعد أن يكون هو الذى خلق نفسه - إذ لو خلق الإنسان نفسه لمنحها أقصى غايات الكمال - لخلقها صحيحة لا تمرض ، باقية لا تفنى ، بصيرة لا تضل ، مستغنية لا تحتاج - أما والنفس الإنسانية عرضـــة لهذه النقائص والعيوب - فقد صار بديهيا أن الإنسان لم يخلق نفسه .

كذلك لم يخلقه غيره من الناس - إذ لو خلقه إنسان مثله فى قابلية النقص لأمكن أن يقال . لم لم يمنح نفسه الكمال فإن تكميله لنفسه أهون ، وأولى من خلق غيره .

فقد تبين من ذلك - أن الإنسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلقه إنسان مثله ، وثبت أن الخالق هو الله الذى لا يعرض له نقص ، ولا يفوته كمال .

وهذا هو ما لفت إبراهيم عليه السلام الأنظار إليه فيما يحكيه عنه القرآن فى قوله تعالى « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين »(١).

وكأنى بالقرآن يذكر الإنسان ببدايته ونهايته - وكلاهما تشير إلى النقص فنشأته نطفة مذرة ، ونهايته جيفة قذرة .

فنقصه يسلبه خصوصية الخلق لينفرد بذلك من هو فى غاية السمو والكمال .

يقول سبحانه « أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون »(٢) .

والصيغة المنطقية التى مهدنا بها للدليل القرآنى - هى نفس الصيغة التى عرض بها الفيلسوف الفرنسى (رينيه ديكارت) أقوى براهينه على وجود الله .

---

(١) الشعراء ، الآية ٧٧ : ٨١

(٢) سورة الواقعة ، الآيات من ٥٧ : ٦٠

وأما قضية البعث أو المعاد ـ فقد ضرب الإسلام الأمثال التى تقربها إلى المدارك وتأصلها فى الأذهان ـ وذلك كالمقايسة بين البعث واليقظة بعد النوم ، أو المقايسة بينه ، وبين إخراج النبات من الأرض الميتة .

وقد كانت قضية البعث والحساب أول ما ابتدر به الرسول عليه السلام قومه من تعاليم رسالته .

فقد قال « والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالسوء سوءاً وبالإحسان إحساناً » .

وفى القرآن الكريم قوله سبحانه « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[١] .

وقوله أيضاً « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون »[٢] .

وقوله « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير »[٣] .

وهناك أنماط أخرى من الأدلة على إمكان البعث ووقوعه ساقها القرآن إلى الدهريين الذين يزعمون أن الموت هو المشهد الختامى فى رواية الإنسان ـ ولكننا نكتفى بما تقدم قصداً إلى الإيجاز .

---

(١) سورة الزمر ، الآية ٤٢

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٦٠

(٣) سورة فصلت ، الآية ٣٩

٢ — الوثنيون :

كان الوثنيون يشكلون الغالبية الساحقة بين سكان شبه الجزيرة ، وكانوا يعبدون الحجارة والتماثيل التى صنعوها بأيديهم .

ومع ذلك لم يكونوا ينكرون وجود الإله الخالق الذى يتصف بالحكمة الأبدية .

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »[1] .

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم »[2] .

أما عبادة الأصنام والتماثيل - فقد كانت مجرد وسيلة تقربهم إلى الله الذى يعترفون له بصفات الكمال « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى »[3] .

ويهدم القرآن جميع مظاهر الوثنية - سواء كان المعبود حجرا ، أو شجرا ، أو بشرا أو كوكبا ، أو غير ذلك .

ويعتبر جميع الوثنيين مشركين حتى لو عرفوا الله وآمنوا به .

وتكثر أنماط الأدلة التى يستخدمها القرآن فى هدم الوثنية ، ولكن سنقصر الحديث على ثلاثة منها فقط على سبيل المثال :

١ — إظهار عجز الشركاء عن فعل الله :

(١) سورة الزخرف ، الآية ٨٦
(٢) نفس السورة ، الآية ٨
(٣) سورة الزمر ، الآية ٢

فقد يدعى الوثنى أن معبوده يمكنه أن يفعل كذا وكذا ، ويقدر على كذا وكذا .

ولكن — من يستطيع أن يزعم أن قوة ما تستطيع مثلا أن تهب الحياة ؟

إن التحدى بذلك لا يزال قائما وسيظل قائما :

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »[١] .

(ب) إظهار عجز الشركاء عن معاكسة فعل الله .

فمهما بلغت قوة المعبود — فلن يستطيع مثلا أن يتحكم فى نواميس الطبيعة، كأن يغير سير الكواكب .

ولهذا كانت حجة إبراهيم بالغة حين تحدى (النمرود) وقد ادعى الألوهية « قال فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين »[٢] .

(ج) وصف الشركاء بما لا يليق وصفا لله :

إذا كان من المسلم به ضرورة وصف الله تعالى بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص — فإن معنى ذلك أن إتصاف أى كائن بالنقص يحيل أن يكون إلها ، ويبطل استحقاقه للعبادة .

وقد تكرر هذا التنبيه على هذا الدليل نظرا لأهميته البالغة .

---

(١) الحج ، الآية ٧٢

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧

فاتصاف الكواكب بمجرد التغير مثلا خول لإبراهيم أن يرفض تأليهها - لأن التغير لا يليق بذات الإله .

فإن من مقتضيات الألوهية ثبات الصفات .

وينقل القرآن حجة إبراهيم بشيء من التفصيل فيقول :

« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين »[1] .

٣ - الحنفاء :

تطلق هذه التسمية على عدة أشخاص من العرب عرفوا الله بالتأمل فى مشاهد الكون ، أو بقراءة الكتب القديمة فارتفعوا بأنفسهم عن عبادة الأصنام وتجردوا من مظاهر الفسق والانحلال ، واتسم سلوكهم بالتقشف والزهد فى زخارف الحياة .

ومن هذه الطائفة الصغيرة التى تعتبر أقل الطوائف التى كانت تسكن شبه الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام - تطالعنا أسماء (زيد بن عمرو) الذى كان يطيل الجلوس فى حجر الكعبة غارقا فى التأمل والمناجاة ، و (قس بن ساعدة الايادى) الذى كان الرسول عليه السلام مولعا بسماع خطبه فى صباه .

---

(١) سورة الأنعام ، الآيات ٧٥ - ٧٨

ومن خطبه : « البعرة تدل على البعير ، والقدم تدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير » .

ومنهم أيضا (أمية بن أبى الصلت) وهو من كبار الشعراء فى الجاهلية قال شعرا كثيرا فى الزهد والورع ومعرفة الله ، وكان سلوكه مطابقا لما يقول .

والغريب أن (أمية) أدرك الإسلام ، ولكنه لم يسلم ، بل لقد انقلب على وجهه ، وترك حياة الزهد والتقشف .

ويبدو أنه كان يطمع أن يكون نبى هذه الأمة ، فلما لم يتحقق أمله - إنسلخ ساخطا من معارفه وزهده .

وكان الرسول عليه السلام يردد شعر (أمية) قائلا :

« سبحان الله ، آمن شعره وكفر فؤاده » .

ومن هذا الشعر قوله :

عند ذى العرش يعرضون عليه ... يعلم الجهر والكلام الخفى
يوم يأتيه وهو رب رحيم ... لم يذر فيه راشداً أو غوياً
يوم يأتيه مثلما قال فردا ... أنه كان وعده مأتيا
أسعيد سعادة أنا أرجو ... أم مهان بما كسبت شقيا
رب إن تعف فالمعافاة ظنى ... أو تعاقب فلم تعاقب بريا[1]

ويقال إن (أمية) هو الذى ورد فى حقه قوله تعالى :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من

---

(١) الدكتور إبراهيم بسيونى ، نشأة التصوف الإسلامى ، ص ٦٢

الغاوين : ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا(١)

ومهما يكن من شيء فقد اعتبر الإسلام هذه الطوائف من أهل الفترة ، وضرب صفحا عن أعمالهم في الجاهلية خيرا كانت أو شرا « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »(٢) .

وهكذا يصبح العلم بالإسلام بداية لحياة جديدة يحـــدد المرء موقفه منها باختياره الحر « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

(١) سورة الأعراف ، الآيتان ١٧٤ ، ١٧٥
(٢) الإسراء ، الآية ١٤

المبحث الثانى

أهل الكتاب

يتناول هذا المبحث الحديث عن موقف الإسلام من الطائفتين اللتين يطلق عليهما اسم (أهل الكتاب - أو بنى إسرائيل) وهما :

١ — اليهـــود .

٢ — النصارى .

وسنعرف من خلاله أيضاً طبيعة الاتجاه الايدلوجى الذى اتسمت به كل من الطائفتين فى مواجهة الإسلام .

١ — اليهـــود :

كان يهود شبه الجزيرة العربية كغيرهم من سائر اليهود - يحسون من أنفسهم مشاعر التفوق والامتياز - فهم ورثة الأنبياء وحملة الكتب المقدسة وأصحاب التاريخ الشامخ والماضى العريق .

ولكنهم مع ذلك كانوا يحسون مرارة الغربة النفسية بين مواطنيهم من الأميين الذين يباهونهم بالعنصر العربى والتفوق العددى ولا يقيمون وزنا لما لدى اليهود من إرث القدامة وطول العهد بالأنبياء .

وكان الأمل الوحيد الذى يخفف عن اليهود بعض ما يجدون من قلق وغربة هو ظهور النبى الذى أشارت إليه كتبهم المقدسة ، والذى سيكون امتداداً مباركا

لأنبياء بنى إسرائيل ، فيعيد إليهم ما افتقدوه من مجد وهيبة ويرفع قدرهم من جديد على العالمين .

وكان اليهود يحدثون مواطنيهم عن النبى المنتظر

وكانوا يعللون أنفسهم بهذا الحديث كلما ضاقت بهم السبل على الرغم من استقبال الأميين لحديثهم دائماً بالهزء والسخرية .

وقد أشار القرآن فيما بعد إلى موقف اليهود فى قوله سبحانه :

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين »[1] .

ولا شك أن هذا التحول الخطير فى موقف اليهود - وهو التحول الذى يتمثل فى كفرهم بالنبى رغم تبشيرهم به ، ومعرفتهم إياه من كتبهم المقدسة - لا شك أن هذا التحول يرجع فى المقام الأول إلى أن النبى الجديد كان من بنى إسماعيل ولم يكن من بنى إسرائيل كما كانوا يتمنون ، فضلا عما رسخ فى طباعهم من عداوة الأنبياء والتطاول على أصحاب الدعوات .

١ - سماحة وجحود :

ومع ما هو معروف من أخلاق اليهود وسوء مواقفهم من أديان السماء ، نجد الإسلام يبدأ بمهادنتهم ومسالمتهم رجاء أن تلين سماحته قسوة قلوبهم وصلابة أفئدتهم .

ونحن نذكر أن النبى ﷺ حين هاجر إلى يثرب ووجد فيها لليهود كياناً

---

(١) سورة البقرة الآية رقم ٨٩ .

اقتصادياً واجتماعياً ملحوظاً ، أبرم المعاهدات السلمية مع رؤسائهم ، ومنحهم حظا من وده وبره .

بل إنه بتوجيه من الله ليتحول فى صلاته عن الكعبة التى هى مأنس نفسه وموضع حبه إلى بيت المقدس الذى هو قبلة اليهود وموضع تعظيمهم لعل هذه المشاركة تحرك فى نفوسهم الجوفاء أواصر النسب المشترك فى إبراهيم أو تستثير فيها مشاعر الإخاء فى الدين ، وأنه لأقوى من كل آصرة ، وأوثق من كل ارتباط .

وقد بقى المسلمون يتوجهون فى صلاتهم شطر بيت المقدس أكثر من سبعة عشر شهرا إلتماسا لود اليهـــود واقتداء بفعل النبى ، ولكن ماذا يجدى ذلك الموقف فى قلوب انطوت على الكراهية ومردت على النفاق .

ولقد كان المسلمون يطمعون أن يدخل اليهود فى الدين الجديد ، فيشملهم الله بفضله ورحمته ، على حين كانوا هم يودون كفر المسلمين ليأخذهم الله بعذابه ونقمته .

فانظر كيف طهر الحب قلوب أولئك ، ودنس الحسد قلوب هؤلاء ؟

يقول سبحانه : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره)[1] .

ويقول « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ »[2] .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

(٢) آل عمران ، الآية ١١٩ .

لقد نقضوا معاهدات الرسول وانضموا إلى أعدائه من المشركين وروجوا عن المسلمين الإشاعات الكاذبة والدعايات المسمومة ، واتخذوا من حادث تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة مثارا للهزء والسخرية وذريعة للتطاول والسفـه .

وإلى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله سبحانه :

« سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » إلى أن يقول :

« ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذن لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »[1] .

بل لقد حاولوا أكثر من مرة قتل رسول الله ﷺ .

كما كانوا يبذلون وسعهم فى سبيل إضعاف الدين الجديد ، أو القضاء عليه .

ومن شواهد ذلك أنهم كانوا يملون على الوثنيين مايجادلون به الرسول ﷺ من حجج وما يوجهونه إليه من أسئلة .

فقد سأله المشركون عن قصة أهل الكهف ، وحديث ذى القرنين ، وعن حقيقة الروح .

وقد كانت هـذه الأسئلة من تدبير اليهود الذين قرأوا شيئا عنها فى كتبهم القديمة، ولم تكن لتخطر على بال الأميين الذين لاعهد لهم بقراءة أو كتاب .

---

(١) سورة البقرة الآيات من ١٣٩ : ١٤٦ .

وقد أجابت سورة الكهف عن السؤالين الأولين .

وأشارت سورة الإسراء إلى السؤال الثالث فى قوله سبحانه :

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[١]

وتمشيا مع موقفهم العدائى للاسلام ، ومحاولاتهم الآثمة لمعارضة آياته ومناقضة بيانه عمدوا إلى الوقيعة بين المسلمين ، والنصارى فى مسعى باء بالفشل والخسران .

فحين نزلت الآية الكريمة « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم »[٢] علموا المشركين أن يقولوا فى محاولة لاحراج الرسول مع النصارى : إذن فعيسى بن مريم هو أيضا فى النار ، لأن النصارى يعبدونه .

وظن اليهود أن الآية ستسبب حرجا لا ينتهى إلا على أسنة الرماح - لاسيما وهذا التفسير الخبيث قد أطلق ألسنة المشركين بكثير من السخرية والشماتة .

ولكن القرآن خيب ظن اليهود ، وقطع ألسنة الساخرين الشامتين حيث قال سبحانه وتعالى حسما للموقف كله .

« ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون . وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون . إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل »[٣] .

والخلاصة : أن اليهود قابلوا محبة المسلمين بالكراهية ، وقابلوا سماحة الإسلام بكل ما يستطيعون من مظاهر المكر وألوان الدهاء .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

(٣) الزخرف الآيات ٥٦ : ٥٨ .

فلا عجب أن أعلنها الإســـلام حربا دروسا ، فكشف خططهم وفضح خبايام وسلط عليهم جنده فريقا يقتلون ويأسرون فريقا .

يقول سبحانه بهذا الخصوص :

« إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون . فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . وإما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » . إلى أن يقول « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين »(١) .

٢ - العقائد اليهودية :

لا نريد هنا أن نتحدث عن تفاصيل الصراع الفكرى بين المسلمين واليهود فى مجال العقيدة ، فهذا يحتاج إلى أبحاث كثيرة يبعد بعضها عن موضـــوع هذه الدراسة .

ولكن الذى يتجه غرضنا إليه هو أن نتبين الصورة الحقيقية لليهود بعد أن كشف القرآن وثارهم الزائف وفضح سوءتهم الخبيء .

لقد زعموا أنهم أصحاب العقائد الدينية وحملة الكتب المقدسة - فهل نسوا موقف آبائهم من الله ورسله وكتبه ؟

تطاولوا على مقام الألوهية . فوصفوا الله تعالى مرة بالفقر ، وأخرى بالبخل « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء »(٢) .

---

(١) سورة الأنفال ٥٥ : ٦٢ .
(٢) آل عمران ١٨١ .

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بمـــا قالوا بل يداه مبسوطتان »[١] .

وتاقت أنفسهم مرة أن يتخذوا إلها من حجر ، وألهوا أخرى عجلا من ذهب .

وإلى الأولى الإشارة فى قوله تعالى :

« وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون »[٢] .

وإلى الأخرى الإشارة فى قوله تعالى :

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين »[٣] .

أما موقفهم من الرسل فيكاد يتراوح بين التكذيب والقتل :

التكذيب لما جاءوا به من الهدى والحق .

وقتل بعض هؤلاء الرسل ممن يجدون لدعواتهم صدى رغم المعارضة والتكذيب « لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون »[٤] .

---

(١) المائدة ٦٨ .
(٢) الأعراف ١٣٨
(٣) الأعراف ١٤٨ .
(٤) المائدة ٧٠ .

لقد خالفوا الأمر الإلهى بملاقاة العماليق ضنا بأنفسهم على ساحة الجهاد وما ذلك إلا أثر حرصهم الشديد على هذه الحياة إنه الحرص الذى وصفه الله فى قوله : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون »(١)

وأما البخل - بالمال أو الحرص عليه - فهو نتيجة طبيعية لحرصهم على الدنيا لأن المال هو قوام الحياة الدنيا التى تعلقوا بها هذا التعلق الغريب الذى زادوا فيه على سائر الشعوب .

والقرآن الكريم يقرع أسماعهم بذكر عاقبة البخلاء يوم القيامة فيقـــول : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »(١) .

ولم يقف أمر حرصهم على المال عند ظاهرة بخلهم بأموالهم فحسب ، وإنما تجاوز ذلك إلى الخيانة والسرقة ، وأكل أموال الناس بالباطل .

بل إن كثيرا من أحبارهم ورهبانهم لم يسلموا من هذا الداء المتفشى فى بنى اسرائيل ، يقول عز سلطانه :

« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل »(٣) .

(ب) الجـــدال :

أما تعلقهم بالمناقضات الجوفاء وولعهم بالجدل العقيم - فإن من أوضح الشواهد عليه - ماحدث فى قصة البقرة .

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٦ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .
(٣) التوبة الآية ٣٤ .

وخلاصتها : أن شابا من بنى إسرائيل قتل عمه الغنى ، واتهم فيه قوما أبرياء ليرث ماله ويقبض ديته .

وقد اتجه الخصمان إلى موسى الذى نقل أمر الله إليهم بذبح بقرة حيث يضربون القتيل ببعضها - فتعود إليه الروح ، ويخبر بقاتله .

ولم يزالوا يجادلون موسى فى ذلك حتى شدد الله عليهم زجرا لهم عن هذا الخلق الذميم .

ويعرض القرآن قصة المراجعة فى قوله سبحانه :

« وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون »[1] .

(ج) العنصرية :

تعرض بنو اسرائيل على مدى تاريخهم الكثير من ألوان القهر والاضطهاد وقد أصل ذلك فى أنفسهم الشعور بالعنصرية والاستعلاء - لاسيما وأن مضطهديهم لم يكونوا مثلهم يتمتعون بعراقة الأصل ، وتعاقب الكتب ، وامتداد التاريخ .

---

(١) راجع تفسير الآيات الجزء الأول من تفسير ابن كثير .

ولقد سجل القرآن اصطفاء الله لهم وتفضيله إياهم على العالمين أيام نزول الرسالات عليهم وتعاقب الرسل فيهم ، أو فى فترات اهتدائهم واستقامتهم ، وهى فترات قصيرة جدا لا تقاس إلى فترات عصيانهم وتمردهم .

يقول سبحانه :

« ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين »(١) .

ولكن احساسهم بالتفوق والامتياز تجاوز كل حد معقول حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس .

والقرآن الكريم يقطع عليهم هذا الزعم الباطل ويقيم عليهم الحجة فى هذا الوهم الغريب – فيقول سبحانه :

« قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين »(٢) .

(د) القسوة :

كان من النتائج النفسية المباشرة لرسوخ فكرة التفوق والامتياز فى الطبيعة اليهودية وانطوائها على الإحساس بالظلم والضياع بين البشر ، كان من نتائج ذلك أن اتسم اليهود بقسوة القلوب وصلابة الأكباد خصوصا إذا تمكنوا من رقاب أعدائهم .

---

(١) سورة الدخان ، الآيات من ٣٠ : ٣٢ .
(٢) سورة الجمعة الآيتان ٦ ، ٧ .

بل إنهم لا يكادون يلينون أمام الحق ويميلون إلى طريق الاستقامة حتى تعود القلوب إلى قسوتها ، والأكباد إلى صلابتها من جديد ،

ويصور القرآن الكريم هذا النمط المتفرد من القسوة التى هى جوهر الطبيعة اليهودية — فيقول :

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون »[1] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٤ .

تعقيب

١ - إستنادا إلى ما تقدم فى هذا الموضع ، وما تقدم فى الفصل الثانى من هذه الدراسة - نستطيع أن نقرر أن المفتاح الحقيقى للشخصية اليهودية هو المادية المستطرفة .

وفى ضوء فهمنا لهذه المادية : يمكننا أن نفسر كثيرا من عقائد اليهود ، وشرائعهم ، وأخلاقهم .

فالمادية هى التى جعلتهم يعلقون إيمانهم على رؤية الله بأبصارهم إذ الرؤية البصرية لا تكون إلا لشىء مادى .

وإلى هذا المطلب السخيف يشير القرآن فى قوله سبحانه :

« وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون »[١] .

واقتراحهم على موسى أن يتخذ لهم صنما إلها ، بل وقصة تأليههم لعجل من ذهب فى غيبة (موسى) عليه السلام من أوضح الشواهد على طغيان المادية على عقائدهم .

وأخذهم الربا ، واستحلالهم السرقة ، وأكلهم أموال الناس بالباطل - شواهد واضحة على المادية .

وجبنهم ، وبخلهم ، واعتداؤهم فى السبت - مظاهر وثيقة الارتباط بحب المادة وتعلقهم بالحياة .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٥٥

بل إن تحريفهم للتوراة ، وانحرافهم فى تفسيرها ـ كان فى حقيقة الأمر بدافع من حب المال والحرص عليه « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »(١) .

ولعل إسرافهم فى المادية وطغيانها عليهم فى العقيدة والعبادة وفى الخلق والسلوك ـ هو السر فى أخذهم بأنواع العقوبات المادية المختلفة من صواعق ، ومسخ ، وأمراض جسمانية جزاءا وفاقا .

٢ ـ من خلال استعراض الحوادث البارزة فى تاريخ اليهود وتتبع المصادر التى تشكل دستورهم العام يتأكد ما أشار إليه القرآن من سماتهم النفسية كقاعدة يصدرون عنها فى سلوكهم ، ولا تتخلف إلا فى استثناءات قليلة على مدى التاريخ .

فالإحساس بالعنصرية مثلا ـ واحتقار من عداهم من الشعوب طابع يهودى موروث نجد له تأصيلات كثيرة فى مصادرهم الأساسية .

وقد سمت البروتوكولات من عدا اليهود بالأمميين أو الجوييم وتعنى الكلمة فيما يذكره (الأستاذ محمد خليفة التونسى) البهائم والأنجاس والكفرة والوثنيين(٢) .

وورد فى البروتوكول الحادى عشر « أن الأمميين كقطيع من الغنم ، وإننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة ؟ إنها تغمض عيونها عن كل شىء وإلى هذا المصير سيدفعون » .

وتتحدث البروتوكولات عن عقل الأممى فتقول :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٧٩

(٢) هامش ١١١ من البروتوكولات .

(وعقل الأمى - لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة غير قادر على تحليل أى شيء وملاحظته فضلا عن التكهن بما قد يؤدى إليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع فى ضوء معين .

وهذا الاختلاف التام فى العقلية بيننا ، وبين الأميين - هو الذى يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله ،(١)

ولا يزال اليهود يطلقون على أنفسهم اسم شعب الله المختار) .

ويحاول التلمود أن يخلع ثوب الشرعية على هذا الامتياز العنصرى الذى يملأ أقطار النفس اليهودية - فهو يقول :

(تتميز أرواح اليهود عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الإبن جزء من أبيه . . . وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لبـــاقى الأرواح - لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات(٢) .

والقسوة أيضا جزء لا ينفصل من الطبيعة اليهودية ، وهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعنصرية كما تقدم .

وتعكس لنا البروتوكولات هذه النزعة الأصيلة فى الطبيعة اليهودية إذ تقول :

(ما كان أبعد نظر حكمائنا القـــدماء حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقا - يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل . وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية : إننا لن نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأميين ،(٣) .

(١) البروتوكول الخامس عشر .
(٢) بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ، شوقى عبد الناصر ص ٢٣
(٣) البروتوكول الخامس عشر .

ويقول التلمود . . (ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم)[1] .

ويقول فى تبرير القسوة على غير اليهود :

(الإسرائيلى معتبر عند الله أكثر من الملائكة . . . فإذا ضرب أمى إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت[2] .

أما الجدل والحرص بشقيه (الحرص على المال ، والحرص على الحياة) - فمن الملامح النفسية للشعب اليهودى - الأمر الذى يكفينا مؤونة الاستشهاد .

وقد ركز الشاعر الإنجليزى المعروف على هذه الملامح التى تميز الشخصية اليهودية ، وذلك فى مسرحيته المشهورة (تاجر البندقية) .

يتبين من العرض السابق أن وراثة التوراة والكتب المقدسة الأخرى - لا يحسب فى تاريخ اليهود داعيا من دواعى الشرف، أو سببا من أسباب الفخار - إذ العبرة بنزاهة المقصد ، وحسن العمل - وهو ما ليس لليهود فيه إلا أقل القليل .

وصدق الله العظيم حين عرض حقيقتهم سافرة فقال :

«مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين »[3] .

---

(١) البروتوكولات وتعاليم التلمود ، ص ٣٥

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) سورة الجمعة الآية ٥

(٢)

النصـــارى

الحق أن تلقى النصارى للإسلام لم يكن كتلقى اليهود له ، ولا كان موقفهم من نبيه كموقف اليهود منه ، وإنما كانوا أكثر المخالفين قربا إليه . وأحسنهم موقفا منه .

ونحن نذكر أن (بحيرة) الراهب النصرانى هو الذى اقترح على أبى طالب أن يقطع رحلته إلى الشام ، ويعود بابن أخيه محمد إلى مكة ، وذلك حين توسم فى الغلام اليتيم أمارات النبوة، وعرف أنه هو الذى بشرت به التوراة، والإنجيل كنبى لهذه الأمة .

ونذكر أيضا موقف (ورقة بن نوفل) من محمد ـ وكان شيخا نصرانيا ـ حين قص عليه ما وقع له فى غار حراء ، وما نزل عليه لأول مرة من آيات القرآن الكريم .

لقد بشره (ورقة) بأنها من آيات النبوة ، ووعده بالمناصرة والتأييد حين يتعرض لأذى المشركين كما تعرض غيره من الأنبياء السابقين .

ولا يفوتنا أن نشير إلى موقف إثنين من ملوك النصارى من المسلمين ، وذلك لما يتسم به هذا الموقف من سماحة وأريحية .

أما أحدهما فهو (النجاشى) ملك الحبشة الذى رحب بالمهاجرين إليه من المسلمين ، وأكرم وفادتهم ، ورفض تسليمهم إلى وفد قريش بل ورد هدايا الوفد ، وازداد حدبه على المهاجرين حين عرف سماحة الإسلام ، وهو الذى عقد لرسول الله ﷺ على السيدة (أم حبيبة) بنت (أبى سفيان) إحدى

المهاجرات إلى الحبشة حيث تنصر زوجها فى أرض الهجرة ، وقام (النجاشى) عن الرسول بدفع مايلزم من الصداق وهدايا العروس .

وأما الرجل الآخر - فهو (المقوقس) أمير مصر الذى أرسل إليه النبى يدعوه إلى الإسلام ، فأحسن استقبال حامل كتاب النبى و بعث معه إليه بالهدايا التى تعبر عن أدب وتقدير .

وقد كان ضمن الهدايا - السيدة (مارية جارية المقوقس التى تزوجها الرسول الكريم ، ورزقه الله منها بإبراهيم آخر أولاده

ليس عجيبا إذن أن يختلف موقف الإسلام من النصارى عن موقفه من اليهود ، وأن يلفت أنظار المسلمين إلى اختلاف الطبيعة المسيحية عن الطبيعة اليهودية بشكل عام ، وما يقتضيه اختلاف الطبيعتين من ضرورة اختلاف معاملة أولئك عن معاملة هؤلاء .

اليهود خونة أفاقون يكذبون على الله وعلى الناس لاستحلال الحرام وإن كان قليلا .

والنصارى — أمناء أوفياء لا يستحلون مال غيرهم وإن كان كثيرا :

« ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »(١) .

واليهود - جفاة الطباع - غلاظ القلوب - يكفرون بالله - ويقتلون الأنبياء .

---

(١) آل عمران الآية ٧٥ .

أما النصارى ـ فأصحاب قلوب رقيقة وأرواح صافية ، وفيهم من يقوم الليل بين الضراعة والخشوع ، وفيهم من يغتنم كل فرصة مواتية لفعل الخيرات والاستزادة من الطاعات .

« ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين »(١)

وعداوة اليهود للمؤمنين سافرة متأصلة .

أما النصارى ـ فهم أقرب المخالفين مودة إلى المؤمنين :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى »(٢) .

لهذا ـ لا نعجب إذا رأينا الإسلام أشد قربا إلى المسيحية ، وأكثر ميلا إلى النصارى وإن كان فى سماحته متسع لجميع المخالفين .

وأكاد أقول أن القرآن سجل من فضل المسيح وأتباعه ، ودعوته أكثر مما ذكرته الأناجيل نفسها بهذا الخصوص .

فهو يتحدث عن المسيح فيقول :

---

(١) آل عمران ، الآيات من ١١٢ : ١١٥ .
(٢) المائدة ، ٨٢ .

« وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين »[1] .

وهو يتحدث عن بره ، ونقائه ، ودعوته ، ومعجزاته حديثا يفخر به كل مسيحى :

« قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »[2] .

ويقـــول :

« ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين »[3] .

ويرد ذكر (مريم) فى القرآن مرارا مقرونا بالإشادة والتنويه ، من ذلك على سبيل المثال - قوله سبحانه :

يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين »[4] .

ويبالغ القرآن فى تسجيل فضل الحواريين مدى بعيدا حيث يرفعهم إلى موضع القدوة للمؤمنين ، وذلك إذ يقول :

---

(١) آل عمران ، آية ٤٦ .
(٢) سورة مريم ، الآيات ٣٠ : ٣٣ .
(٣) آل عمران ، الآية ٤٩ .
(٤) نفس السورة ، الآية ٤٢ .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين »(١)

ويثنى القرآن على أتباع المسيح بشكل عام ، ويصفهم بالتواضع ولين الأفئدة . وسرعة الاستجابة للحق فيقول :

« ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين »(٢) .

غير أن الأمر لا يمضى على هذا النحو من الاتفاق — إذ لا تلبث أن تظهر عدة قضايا تشكل كل منها نقطة خلاف جوهرى بين الدينين .

لابد إذن أن يقع الأخذ والرد ، والرفض والقبول ، ولكن الإسلام يجذب المسلمين دائما الى عنصر الرفق فى الحوار رعاية لوضع النصارى من المودة والمسالمة .

يلاحظ أن القضايا التى يرفضها الإسلام من المسيحية - هى بشكل عام القضايا التى أدخلها (بولس) فى دين عيسى عليه السلام .

وهذه القضايا هى :

١ - عموم المسيحية .

---

(١) سورة الصف ، ١٤ .
(٢) سورة المائدة ، الآيات ٨٢ : ٨٤

« وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين »[1] .

وهو يتحدث عن بره ، ونقائه ، ودعوته ، ومعجزاته حديثا يفخر به كل مسيحى :

« قال إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »[2] .

ويقـــول :

« ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين »[3] .

ويرد ذكر (مريم) فى القرآن مرارا مقرونا بالإشادة والتنويه ، من ذلك على سبيل المثال - قوله سبحانه :

« يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين »[4] .

ويبالغ القرآن فى تسجيل فضل الحواريين مدى بعيدا حيث يرفعهم إلى موضع القدوة للمؤمنين ، وذلك إذ يقول :

---

(١) آل عمران ، آية ٤٦ .
(٢) سورة مريم ، الآيات ٣٠ : ٣٢ .
(٣) آل عمران ، الآية ٤٩ .
(٤) نفس السورة ، الآية ٤٢ .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين »(١)

ويثنى القرآن على أتباع المسيح بشكل عام ، ويصفهم بالتواضع ولين الأفئدة ، وسرعة الاستجابة للحق فيقول :

« ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين »(٢) .

غير أن الأمر لا يمضى على هذا النحو من الاتفاق — إذ لا تلبث أن تظهر عدة قضايا تشكل كل منها نقطة خلاف جوهرى بين الدينين .

لابد إذن أن يقع الأخذ والرد ، والرفض والقبول ، ولكن الإسلام يجذب المسلمين دائما الى عنصر الرفق فى الحوار رعاية لوضع النصارى من المودة والمسالمة .

يلاحظ أن القضايا التى يرفضها الإسلام من المسيحية - هى بشكل عام القضايا التى أدخلها (بولس) فى دين عيسى عليه السلام .

وهذه القضايا هى :

١ — عموم المسيحية .

---

(١) سورة الصف ، ١٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآيات ٨٢ : ٨٤

٢ - الصلب والقتل

٣ - القيامة ، والرفع .

٤ - التثليث

٥ - نزول المسيح

وسنتعرف الآن على موقف الإسلام من هذه القضايا بشيء قليل من التفصيل :

١ - عموم المسيحية :

عرفنا أن (بولس) كان يهدف إلى جعل المسيحية دينا عالمياً باقيا إلى آخر الدهر ، وأنه لقحها بأفكار من المذاهب والديانات المختلفة ليضمن لها حسن القبول من أتباع هذه المذاهب والديانات .

وقد نجحت محاولات (بولس) - فأحرزت المسيحية إنتشاراً واسعا ، وقر فى أذهان اتباعها أن دينهم - هـــو الدين السماوى الأخير الذى لاخلاص للإنسانية كلها بدونه .

والإسلام لا يقر هذا الصنيع ، ولا يقبل هذه الدعوى - فالمسيح كغيره من الأنبياء السابقين - له مساحة مكانية ، وزمانية لا يتجاوزها .

فقد بعثه الله إلى بنى إسرائيل خاصة ، وشريعته تنتهى بانتهاء أجله على الأرض ، أو بانتهاء وجوده المادى بين قومه تبعا لناموس تأقيت الرسل وتحديد الرسالات .

ولهذا - بشر (عيسى) بخاتم الرسل (محمد) ﷺ :

« وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد »[١] .

فينبغى أن تكون الشريعة الأخيرة ناسخة لما قبلها من الشرائع ، وينبغى على النصارى ، بل وعلى الإنسانية كلها أن تتبع الرسول الجديد ، وهذا هو جوهر مادعت إليه الكتب المقدسة - لو أن أهلها ينصفون .

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »[٢] .

ولما كان أهل الكتاب قد أخفوا كثيرا مما نزل عليهم فى كتبهم - فقد خفى على عامتهم ماورد بشأن هـذا النبى - لذلك كان من مهمته أن يكشف للجميع الحقائق الهامة التى تعمد أحبارهم إخفاءها بغير حق :

« يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »[٣] .

---

(١) سورة الصف ، الآية ٦ .
(٢) الأعراف ، الآيتان ١٥٧ و ١٥٨ .
(٣) المائدة ، الآيتان ١٤ ، ١٥ .

٢ — الصلب والقتل :

عرضنا فى الفصل السابق قصة الصلب ، والقتل على نحو ماذكرته الأناجيل ، وقد اعتبرنا هذه العقيدة إحدى العقائد التى أضافها (بولس) للمسيحية .

أما الإسلام — فيرفض هذه العقيدة تماما .

فالمسيح لم يقتل ، ولم يصلب ، وإنما مات موتا طبيعيا كغيره من جمهرة الناس

صحيح — أن اليهود سعوا إلى ذلك ، وأحسنوا التخطيط له ، ولكن الله أبى إلا أن يحبط سعيهم ويبطل تخطيطهم . فألقى شبهه على أحد تلاميذه فى لحظة التنفيـــذ .

ويقال : إن هذا التلميذ — هو (يهوذا) الخائن الذى اتفق معهم على تسليم نبيه ومعلمه إليهم لقاء ثلاثين قطعة من الفضة .

وهذا هو معنى قوله تعالى :

« وما قتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما »[1] .

أما المسيح — فقد هرب من وجه أعدائه ، وأنهى أجل رسالته ، ومات ، ودفن فى بقعة ما من الأرض

ولا يعلم موضع دفنه كما لا تعلم مواضع دفن كثير من الأنبياء .

وقد ذكر الدكتور (محمود مزروعة) أن (غلام أحمد) القديانى رأى فى

---

(١) سورة النساء الآيتان رقم ١٥٧ ، ١٥٨ .

موطنه ، (كشمير) قبر أحد أنبياء بنى إسرائيل مات منذ تسعة عشر قرنا ، وأنه لا يبعد أن يكون هذا القبر - هو قبر المسيح عليه السلام .

ولاسيما و (كشمير) تعد من أعلى ربوات الأرض وقد ورد فى حق المسيح وأمه قوله سبحانه :

« وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين »[1] .

ولست أوافق الأخ الدكتور محمود مزروعة فيما ذهب إليه :

أولا : لأن (غلام أحمــد) ليس أكثر من كافر مخبول لا يوثق بعقله ، ولا يطمأن إلى نقله ، وقد انتهيت إلى هذه النتيجة فى بحثى عن الفرق الإسلامية الحديثة بعد عرض كثير من الشواهد والحجج المستمدة من آراء الرجل ووقائع حياته .

وثانيا : لأن الآية الكريمة قرنت المسيح بأمه ، ووصفت الربوة بأنها ذات قرار ومعين ، والمعين هو الماء الجارى الذى ينتفع به الأحياء دون المـــوتى فالأقرب أن يكون الإيواء مرتبطا بالحياة وإعدادا للعمل وليس مرتبطا بالنهاية وتهيئة للموت ، وأن يكون بلد الإيواء هو مصر ، أو فلسطين . أو دمشق ، أو بيت المقـــدس وهى آراء نقلها الإمام (ابن كثير) فى تفسير الآية الكريمة[2] .

٣ — القيامة والرفع :

كذلك يرفض الإسلام ما تذكره الأناجيل فى مسألة قيامة المسيح ورفعه إلى السماء بجسمه وروحه على السواء .

---

(١) الملل والنحل للدكتور مزروعة ، ص ٥٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ، الجزء الثالث ، ص ٢٤٦ .

صحيح أن بعض الآيات الكريمة أشارت إلى رفعه كقوله تعالى :

« بل رفعه الله إليه » ، وقوله « وإذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى »[١] .

ولكنه ليس رفعا جسديا كما يزعمون ، وإنما هو رفع مجازى يقصد به رفع المكانة ، لا رفع المكان .

ومثله ماورد فى شأن (إدريس) عليه السلام فى قوله سبحانه :

« واذكر فى الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا . ورفعناه مكانا عليا »[٢]

ومثله أيضا ما ورد فى شأن المؤمنين والعلماء ، وذلك فى قوله تعالى :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »[٣] .

فعيسى عليه السلام اذن توفى وفاة طبيعية ، ورفع بروحه رفع منزلة ومكانة لا رفع موضع ومكان .

يقول الأستاذ الإمام (محمد عبده) معلقا على هذا الرأى .

(ولا يدع فى اطلاق الخطاب على شخص وارادة روحه - فإن الروح هى حقيقة الإنسان والجسد كالثوب المستعار فإنه يزيد ، وينقص ويتغير ، والإنسان انسان - لأن روحه هى هى)[٤] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٤ .
(٢) سورة مريم ٥٦ ، ٥٧ .
(٣) سورة المجادلة ، ١١
(٤) تفسير المنار ، الجزء الثالث ، ٣١٧ .

٤ – التثليث :

التثليث هو أخطر المسائل البولسية كما ذكرنا لأنه شرك صريح بالله عز وجل .

ولقد أبطل القرآن الكريم قضية التثليث فى كثير من آياته ونعى على المثلثين خلطهم وكفرهم ، وجهلهم بحقيقة المسيح .

يقول سبحانه « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم[1] » .

ويقول « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا[2] » .

ويتضمن القرآن الكريم إشارات عقلية رائعة إلى بطلان عقيدة التثليث بهدم الأسس التى تستند إليها ، وبيان تهافت الحجج التى تقوم عليها .

فإذا كان النصارى يستندون إلى قصة ظهور المسيح من غير أب فى إثبات بنوته لله — فإن القرآن يذكرهم بنشأة آدم عليه السلام من غير أب ولا أم — فهو إذن أولى من المسيح بهذه البنوة « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»[3] .

وإذا كانوا يبررون القول بهذه البنوة بما ظهر على يد المسيح من الخوارق

---

(١) المائدة ، ٧٣

(٢) سورة النساء ، الآية ١٧٠

(٣) آل عمران ، ٧٣

الباهرة — فليس المسيح فى ذلك بدعا من الأنبياء ، فقد أيدهم الله بالمعجزات المختلفة ولم يزعم أحد منهم أن له دخلا فى ذلك ، بل المعجزات من مظاهر قدرة الله تعالى يؤيد بها رسله متى شاء .

والمسيح نفسه يقر بهذه الحقيقة الدامغة فيما يحكيه عنه القرآن فى قوله سبحانه « ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين(١) » .

وحتى حين يراد بالبنوة منتهى القرب إلى الله فليس المسيح من بين عباد الله جميعا هو المؤهل لأن يكون هو ابن الله الوحيد بهذا المعنى المجازى أيضا ، وإنما المؤهل لذلك والأولى به هو أعلى الناس درجة فى العبادة ، وهو المخاطب فى قوله تعالى : « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين »(٢) .

ولا يقف القرآن الكريم عند كشف الحجج المنهلة التى يتذرع بها النصارى فى تأليه المسيح ، وإنما يسوق الأدلة المفحمة التى تؤكد نقيض مدعاهم السخيف .

فعيسى عليه السلام قد تقلب بين مراحل العمر المختلفة بما تستتبعه كل مرحلة من تغيرات تؤكد بشريته وتفسد القول بتأليهه .

فقد كان جنينا فى ظلمات الرحم لا يد له فى تكوين ذاته ولا علم له بهذا التكوين « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء »(٣) .

وكان صبيا — لا يفقه خطابا ، أو يستطيع جوابا لولا تحمل إلهى عابر

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٩

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨١

(٣) آل عمران الآية ٦

تأكيداً لشرف أمه المصون « فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً[(١)] » .

ثم كان كهلا مكتمل الرجولة ينهض بأعباء رسالته على ما فى ذلك من فداحة المسئولية « ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين[(٢)] » .

وقد انحصرت حياته بين بداية المولد ، ونهاية الموت كغيره من سائر البشر ويبعث معهم حين يبعثون ليوم الحساب وإن وعد بالأمن وبشر بالسلام .

« والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »[(٣)] .

كذلك يلفت القرآن أنظار النصارى إلى الطبيعة البشرية للمسيح ، وأمه - وهى طبيعة محصورة بين ضرورات الطعام ، والإخراج وهو أحد الفوارق الأساسية بين الطبيعة الناسوتية ، والحقيقة اللاهوتية - إذ الإله لا تحصره الضرورات ، ولا تحكمه الحاجات « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام[(٤)] » .

والمسيح وأمه لا يملكان لأنفسهما ، ولا لأحد غيرهما نفعا ولا ضرا - بل هما أمام القدرة الإلهية القاهرة فى عجز تام عن تحقيق أى مرغوب ، أو درء أى مكروه .

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السموات

---

(١) سورة مريم ، الآية ٢٩
(٢) آل عمران ، ٤٦
(٣) مريم ، الآية ٣٣
(٤) المائدة ، ٧٥

والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير »[1] .

ويكشف القرآن الكريم حملته على مؤلهى المسيح ، وردوده على شبههم الزائفة، وذلك فى مطالع سورة آل عمران التى نزلت إلى ثمانين آية منها فى نصارى نجران - فهو يقول :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء . هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم »[2] .

وندع السيد (رشيد رضا) ينقل تفسير الأستاذ الإمام (محمد عبده) لهذه الآيات ، ويعرض إضافاته الخاصة إلى هذا التفسير إذ يقول :

(أما ماقاله فى توجيه الرد عليهم - فهو : بدأ بذكر توحيد الله لينفى عقيدتهم من أول الأمر ، ثم وصفه بما يؤكد هذا النفى بقوله « الحى القيوم » أى الذى قامت به السموات والأرض وهى قد وجدت قبل عيسى فكيف تقوم به قبل وجوده ، ثم قال إنه نزل الكتاب ونزل التوراة لبيان أن الله تعالى قد أنزل الوحى وشرع الشريعة قبل وجود عيسى كما أنزل عليه وأنزل على من بعده ، فلم يكن هو المنزل الكتب على الأنبياء وإنما كان نبيا مثلهم ، وقوله « وأنزل الفرقان » لبيان أنه هو الذى وهب العقل للبشر ليفرقوا بين الحق والباطل وعيسى لم يكن واهبا للعقول .

---

(١) المائدة ، ١٧

(٢) الآيات ٢ : ٦

وفيه تعريض بأن السائلين تجاوزوا حدود العقل ـ أقول وفى هـذا وما قبله شىء آخر وهو الإشعار بأن ما أنزل له من الـكتب والفرقان يدل على إثبـــات الوحدانية لله تعالى وتنزيهه عن الولد والحلول أو الاتحاد بأحد أو بشىء من الحوادث ـ قال وقوله « إن الله لا يخفى عليـه شىء » رد لاستدلالهم على ألوهية عيسى بأخباره عن بعض المغيبات فهو يثبت أن الإله لا يخفى عليه شىء مطلقا سواء كان فى هذا العالم أو غيره من العوالم السماوية وعيسى لم يكن كذلك .

وقوله « هو الذى يصوركم » إلى آخره ـ رد لشبهتهم فى ولادة عيسى من غير أب أى أن الولادة من غير أب ليست دليلا على الألوهية .

فالمخلوق عبد كيفما خلق وإنما الإله هو الخالق الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء . وعيسى لم يصور أحدا فى رحم أمه ولذلك صرح بعد هذا بكلمة التوحيد وبوصفه تعالى بالعزة والحـكمة .

أقول ولا يخفى ما فى ذكر الأرحام من التعريض بأن عيسى تـكون وصور فى الرحم كغيره من الناس »[1] .

فالمسيح إذن ـ مجرد عبد لله أكرمه الله بالنبوة كما أكرم آخرين من عبـــاده المصطفين .

وإذا كان النصارى يزعمون غير ذلك فإن المسيح عليه السلام لا يجد فى نفسه أى غضاضة من عبوديته لله عز وجل .

كما أن الملائكة على شدة قربهم من الله لا يستكبرون عن هذه العبودية رغم ضلال قوم من العرب بادعاء أنهم بنات الله .

---

(١) تفسير المنار ، الجزء الثالث ، ص ١٦١ ، ١٦٢

وأى عاقل يتطرق إلى نفسه الاستعلاء عن عبادة الله والعبودية له فإن له يوم القيامة أشد العذاب .

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا »[١] .

بل أن المسيح نفسه لا يسعه إلا الإعتراف بهذه الحقيقة التى لا يجادل فيها إلا مكابر - فهو يعلن خضوعه لله وعبادته له ، ويدعو بنى إسرائيل إلى ذلك مؤكدا ربوبية الله للجميع - فمن أشرك به شيئا فقد حرم نفسه من السعادة الأبدية التى تنتظر المؤمنين .

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار »[٢] .

وينقل القرآن ذلك المشهد من مشاهد يوم القيامة حيث يبرأ المسيح نفسه إلى الله من أتباعه المثلثين ، ويقيم الحجة عليهم .

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »[٣] .

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٧٢

(٢) المائدة ، ٧٢

(٣) المائدة ، الآيات ١١٦ : ١١٨

وإذ قد بطلت ألوهية المسيح وأمه على النحو السابق ـ فإن القرآن الكريم يشير أيضا إلى بطلان ألوهية الروح القدس الذى يضعه كثير من النصارى مكان مريم فى الثالوث ـ ويعبرون عن ذلك بقولهم :

(باسم الآب ، والإبن ، والروح القدس) .

فروح القدس ـ هو ملك الرب الذى تمثل لمريم بشرا سويا ، ونقل إليها البشارة بالمسيح ، وهو نفسه الملك الذى أيد الله به المسيح فيما بعد بما نقل إليه من الوحى الإلهى كما أيد به سائر رسله حتى أطلق عليه أيضا (أمين الوحى) ـ يقول عنه سبحانه بصدد الحديث عن مريم عليها السلام :

« واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا »(١) .

وورد ذكر روح القدس بمناسبة الحديث عن نزول القرآن ، وذلك فى قوله تعالى . « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين »(٢) .

وعن علاقة روح القدس بالمسيح عليه السلام يقول سبحانه :

« وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »(٣) .

وبإشارة غاية فى الروعة والقوة ـ يهدم القرآن الكريم عبادة المسيح وأمه ، والروح القدس ـ وذلك إذ يقول سبحانه :

---

(١) مريم ١٦ : ١٩

(٢) سورة النحل ، ١٠٢

(٣) البقرة ، ٢٥٣

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس »[1].

فالمسيح ، وأمه منعم عليهما - فلا يصلح أحدهما لأن يكون إلها إذ الإله - هو المتفضل بالإنعام، وليس المحل القابل للإنعام . وروح القدس ، أو الروح القدس مسخر كغيره من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وهكذا يهدم القرآن الكريم عقيدة التثليث ، ويكشف ما تنطوى عليه من زيف وضلال ، وما يشيع فيها من سفه وخبال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة .

وعلى الرغم من فساد هذه العقيدة وخطورتها إلا أن القرآن أمر النبى والمسلمين أن لا يجاوزوا منطق الرفق والملاينة فى جدال النصارى حول هذه العقيدة اللهم إلا إذا بدأ النصارى أنفسهم بالظلم الذى يستحقون معه منطق العنف والمخاشنة - فيضطر المسلمون إلى الرد عليهم بالمثل .

وفى ذلك يقول الله مخاطبا رسوله عليه السلام :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »[2] .

ويقول سبحانه مخاطبا المسلمين :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم »

---

(١) المائدة ، ١١٠

(٢) سورة آل عمران ، ٣٠

وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون »(١) .

٥ — نزول المسيح :

خشى (بولس) أن تضعف المسيحية تدريجيا مع تقادم العهد بالمسيح ـ فكم من ديانات ضعفت بوفاة أنبيائها ، ومذاهب زالت بزوال روادها .

ومن ثم ـ فقد كان (بولس) وراء عقيدة أن المسيح سوف يظهر فى آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا بعد أن تكون قد ملئت جورا .

وأن نزوله من السماء ، وظهوره بين الناس سوف يكون إيذانا بانتهاء الأجل المحدد لهذه الدنيا .

فعلى المرء إذن أن يعتنق دين (يسوع) ، ويأخذ نفسه بتقديسه حتى يكون أهلا للخلاص .

وقد انتقلت هذه العقيدة إلى البيئة الإسلامية ـ فقرر بعض علماء المسلمين أن نزول المسيح ـ هو إحدى علامات الساعة ـ حيث يقتل الدجال ويكسر الصليب ، ويخرب الكنائس ، ويحارب اليهود ، وينشر على الأرض ألوية المحبة والسلام .

وقد استأنس هؤلاء العلماء لذلك بثلاث آيات من القرآن هى :

« ويكلم الناس فى المهد وكهلا »(٢) .

٢ — « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا »(٣) .

(١) العنكبوت الآية ٤٦

(٢) آل عمران ، ٤٦

(٣) النساء ، ١٥٩

٣ — « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها »[1] .

ووجه دلالة هذه الآيات على نحو ما ذكره الدكتور (محمد خليل الهراس): أن الآية الأولى قد أشارت إلى أن عيسى عليه السلام كلم الناس فى المهد ، وأنه سوف يكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل - إذ من المعروف أنه انقطع عهده بالناس برفعه إلى السماء فى سن الثالثة والثلاثين أى قبل أن يبلغ سن الكهولة .

أما الآية الثانية - فتقرر أن كل كتابى لا بد أن يؤمن بالمسيح قبـــل موت المسيح ، وذلك يكون فى آخر الزمان .

أما الآية الثالثة والأخيرة - فقد قررت أن عيسى سوف يكون علما للساعة أى إعلام بها ، أو علامة لها كما تؤكده القراءة الثانية بفتح اللام .

كما استأنس أصحاب هـــذا الاتجاه ببعض الأحاديث الشريفة التى وردت فى الموضوع كقوله عليه السلام (والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها)[2] .

ولما كانت هـــذه العقيدة تناقض القول بأن محمدا هو خاتم الأنبياء فقد قرروا أنه عند نزوله سوف يحكم بشريعة محمد عليه السلام .

غير أن فريقا آخر من العلماء وعلى رأسهم الأستاذ الإمام (محمد عبده) يرفضون هذا الرأى رفضا قاطعا ، إذ مثل هذه العقيدة لا تثبت إلا بما تواترا من النقل ، والملاحظ - أن الأحاديث التى استند إليها القائلون بنزول المسيح كلها من قبيل

---

(١) الزخرف ، ٦١

(٢) فصل المقال فى رفع عيسى حيا ، ص ١٧

أخبار الآحاد ، فهى لا تفيد أكثر من الظن ، والظن لا يكفى فى العقائد ، بل لابد فيها من اليقين .

أما الآيات الكريمة التى استشهدوا بها على هذه العقيدة فليست قطعية الدلالة على ما نحن بصدده - إذ يمكن حملها على معان أخرى لا تفيد ما قصدوا إليه .

فالكهل فى الآية الأولى - هو من بلغ الثالثة والثلاثين على نحو ما نقله القرطبى عن الأخفش[1] .

وقد بلغها عيسى عليه السلام فى حياته - فلا وجه للاستدلال بالآية .

وأما الآية الثانية - فيمكن أيضا صرفها عن قضية النزول، وذلك بحمل الضمير فى قوله (قبل موته) على الكتابى .

والمعنى - أن كل كتابى يؤمن بعيسى عليه السلام إذا عاين الهلاك على حد ماحدث لفرعون لما عاين الهلاك إذ قال : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين »[2].

أما الآية الثالثة فيمكن صرفها عن قضية النزول أيضا بحمل الضمير فى قوله (وإنه لعلم) على القرآن إذ به تعلم الساعة لأن فيه الإعلام بها ، وهذا هو ما ارتضاه (الحسن) فيما نقله الكشاف[3] .

ومن ناحية أخرى - فإننا لو سلمنا بصحة الأحاديث الواردة فى نزول المسيح، وحملنا على ذلك الآيات الكريمة فإن من الممكن أن نؤول هذه الأحاديث على

---

(١) تفسير القرطبى ، ص ١٣٢٣

(٢) تفسير الكشاف ، الجزء الأول ، ٤٣٧

(٣) تفسير الكشاف ، الجزء الثالث ، ص ١٠٢

معنى أن تعاليم المسيح من المحبة ، والرحمة ، والتسامح والسلام سوف تسود بين الناس وتنتشر ويكون لها الغلبة على مظاهر المـــادية التى طمست قيم الإنسان وشوهت معنى الطهارة الفطرية فيه .

يقول الشيخ محمد عبده عن التخريجين الممكنين فى أحاديث النزول :

(أحدهما - أنها أحاديث آحاد متعلقة بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطع - لأن المطلوب فيها هو اليقين، وليس فى الباب حديث متواتر .

وثانيهما تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس ، وهو ما غلب فى تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله[1] .

وإلى هنا ينتهى حديثنا عن موقف الإسلام من المسائل الخمس التى ألحقها (بولس) بالمسيحية وبعدت بها كثيرا عن جوهرها النقي .

---

(١) تفسير المنار ، الجزء الثالث ، ص ٣١٧

تعقيب

لا شك أن فى عرض موقف الإسلام من المسائل الخمس السابقة ما يلق الضوء على حقيقة المسيحية القائمة بما يغنى القارىء عن أى إضافة - ومع ذلك فثمة عدة نقاط هامة أود تأكيدها فى هذا التعقيب .

١ - لقد قرر الإسلام أن (عيسى) عليه السلام كان نبياً إلى بنى إسرائيل خاصة ، وأن رسالته قد بلغت أجلها المحدد بحادثة القتل والصلب - فهى إذن رسالة بيئية موقوتة كغيرها من الرسالات التى سبقت الإسلام .

والواقع أن (عيسى نفسه لم يطمح إلى استمرار رسالته بعد وفاته ،ولا سعى إلى الخروج بها عن نطاق بنى إسرائيل ، وقد نقل عنه أنه كان يقول (إنما أرسلت إلى خراف بنى إسرائيل الضالة)[١] .

صحيح أن (بولس) أحرز نجاحاً كبيراً فى نشر دعوته فى أرجاء كثيرة ، وأن هذا الانتشار قد كفل لها الاستمرار عبر عشرين قرناً حيث تستأثر اليوم بتبعية مئات الملايين من البشر ، ولكن الذى يجدر الإنتباه إليه - هو أن (بولس) لم ينشر مسيحية (عيسى) عليه السلام - وإنما الذى جاهد هو وأتباعه فى سبيل نشره وإذاعته كان شيئاً ملفقاً من مذاهب مختلفة لا يمت إلى المسيحية الخالصة بسبب قريب - وهذه الحقيقة الأساسية هى التى يجهلها عامة الأقباط عن غير قصد ويحرص خاصتهم على إخفائها عامدين .

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٥ .

وما كان أغنى الإنسانية عن هذه الترقيعات الخطيرة التى قام بها (بولس) وورثته ، فهوهوا بها ديناً عظيماً من أديان السماء حتى أوشك أن يكون ديناً وضعياً من أديان الأرض .

٢ — نفى القرآن الكريم وقوع القتل والصلب على المسيح ، وذكر المفسرون أن الله قد ألقى شبهه على أحد تلاميذه آثر باختياره أن يكون فداء لسيده كى يفوز بدرجة الشهداء السعداء .

وقد قام اليهود منذ سنوات بنشاط هائل لاقناع المجمع المسكونى بصحة ماقرره القرآن ، وقدموا الوثائق التاريخية التى تؤكد ذلك حرصاً منهم على كسب الرأى العام المسيحى فى صراعهم ضد العرب ـ وهكذا ينتصر الإسلام بأعدائه من حيث لا يقصدون .

ومما يدعو إلى العجب ، والأسف معاً ـ أنه على حين كان بعض أعضاء المجمع يميلون إلى تبرئة اليهود من دم المسيح ، بل وإلى نفى وقوع القتل والصلب عليه أخذا بصحة الوثائق ، وشهادة لصدق القرآن ـ كان الإعلام الإسلامى يحرص على مناهضة هذا الاتجاه ، وتأكيد صحة ما ذكرته الأناجيل بهذا الخصوص ، وكان الهدف من وراء هذا الحرص ـ هو الحيلولة بين اليهود والحصول على المزيد من التأييد المسيحى وهو تأييد له ثقله فى المحافل الدولية ، وله نتائجه فى الصراع العسكرى كذلك .

فانظر كم يضحى المسلمون بحقائق دينهم على مذبح السياسة إحباطاً لمناورة مخوفة ، أو تحقيقاً لكسب قريب .

٣ — أشرت فى الفصل السابق إلى أن عقيدة التثليث فى المسيحية يمكن أن تكون مأخوذة من الثالوث الهندى الذى يتضمن ثلاثة آلهة هى :

١ براهما إله الخلق .

٢ - فشنوا إله الحفظ .

٣ - سيفا إله الإبادة والإهلاك .

غير أن هناك رأياً آخر جديراً بالتسجيل في هذا التعقيب - فقد كشف الأستاذ (أرسلاف كرنسى) أستاذ الحفريات بجامعة أوكسفورد عن ثالوث مصرى قديم مؤكداً وجود التماثل بينه وبين الثالوث المسيحى سواء فى عدد الأقانيم، وفى خصائص كل أقنوم

ويتكون الثالوث المصرى من ثلاثة أقانيم إلهية وهى :

(١) الإله (أوسيرى) ويسمى الأب أو الوالد .

(٢) الإله (هور) ويسمى الإبن ، أو النطق ، أو الكلمة .

(٣) الإله (إيس) وهو الأم ، أو الوالدة .

١ - الإله (أوسيرى) :

وهو الإله الأكبر - علة ولادة الأقنوم الثانى (هور) وخالق كل المخلوقات وحاكم الأزلية ورب الأرباب .

ونجده مرسوماً جالساً على منبر القضاء ليدين كل واحد حسب أعماله قابضاً بيده اليمنى على علامة تعنى الحق ، أو العدل ، وبيده اليسرى علامة أخرى تعنى الإنتقام .

وهذه الخصائص تتفق مع عقيدة النصارى عن الإله الأب أو الأقنوم الأول فى الثالوث المسيحى الذى يمثل العدل والقصاص فى حكمه على آدم وذريته بالهلاك الأبدى لأكله من الشجرة المحرمة .

٢ - الإله (هور) :

وهو الأقنوم الثانى فى الثالوث المصرى ، وهو ابن الإله (أوسيرى) وهو النور والشمس المشرقة ، وهو إله النطق والكلام ، ولذا - صوروه رافعاً أصبعه إلى فمه - كما شبهوه أيضاً بعجل ، ولكنه عجل ممتاز عن بقية العجول ، وله غرة بيضاء مثلثة على جبهته ، وجعران تحت لسانه رمزاً للقيامة والخلود - ولد من نار اللاهوت من عجلة بكر لم تلد سواه ، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم ، وقد تشبه بإنسان ليكون قابلا للموت .

والشبه قوى بين هذا الأقنوم فى الثالوث المصرى وما ذكر فى إنجيل (لوقا) عن السيد المسيح ابن الله وكلمته من أنه هو العجل المثمن ، وأنه المخلص الذى تجسد ليفدى البشر من الخطايا .

٣ - الإله (إيس) :

الأقنوم الثالث ، وأم الأقنوم الثانى ، وقد رمزوا لها بصورة طائر جميل يشبه العصفور ، وعلى رأسه صولجان رسموا بجانبه علامة الحياة وهم يشيرون بذلك إلى أن (إيس) هى باعثة الحياة للبشرية .

والمعروف أن روح القدس فى المسيحية هو مصدر الحياة .

كما صور المصريون القدماء الإله (إيس) أيضاً إمرأة جالسة على العرش ترضع (هور) إبنها — الأقنوم الثانى — وعلى رأسها تاج الملك وقرص الشمس .

وهذا أيضاً يشبه قانون الإيمان المسيحى الذى ينص على أن الإله الإبن قد تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء[1] .

---

(١) محمد مجدى مرجان ، الله واحد أم ثالوث ، ص ٧٨ .

وإذا صح ما ذكر عن الثالوث المصرى - فلا شك فى وجود التطابق بينه وبين الثالوث المسيحى ، ولا شك أيضاً فى أن هذا التطابق كان فى مقدمة العوامل التى هيأت للمسيحية فى مصر مناخا مناسباً وبيئة صالحة فقد أقبل المصريون على اعتناقها دون تباطؤ ، ولا تزال نسبة كبيرة منهم تدين بها إلى اليوم .

٤ - نزول المسيح عقيدة أساسيه توارثها النصارى جيلا عن جيل دون أن يقوم عليها برهان من عقل ، أو يفضى إليها داع من ضرورة اللهم إلا ما تبعثه هذه العقيدة من راحة فى النفوس واطمئنان للخواطر ، وسلوان عن هموم اليوم بما يخبئه الغد من العدل والمحبة والسلام .

ويبدو أن العالم المسيحى قد سئم هذه الأحلام الوردية التى طال معها ظلام الليل - فراح ينشد راحته فى أحضان الظلام ، ويلتمس مناه فى مسارب الخوف ، وينتزع رغائبه من بين براثن الموت .

رسم المسيحى طريقه وفق مصالحه الخاصة ، لا وفق ما تمليه الأناجيل ، وحاول أن يصنع فردوسه بيديه محتملا فى سبيل ذلك كل ألوان التضحية وصنوف البلاء متقبلا ما يجلبه عليه خطأ التصور أو سوء التقدير - فذلك خير من انتظار فجر لا يطلع ، واستعجال ليل لا يزول .

لقد حرمت الأناجيل الأغنياء من دخول الملكوت وجعلت دخول جمل فى سم إبرة أيسر من دخول غنى فى ملكوت الله - فإذا بورثة هذه الأناجيل هم أغنى شعوب الأرض يتحكمون فى مصائر التجارة والصناعة وأمور الإنتاج والاستهلاك ويعيشون حياة السادة المترفين .

ودعت الأناجيل إلى التسامح والسلام : فمن لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن نازعك طعامك فأعطه طعامك وشرابك ، ومن سخرك ميلا فسر

معه ميلين — فإذا بورثة هذه الأناجيل يستبيحون لأنفسهم اغتصاب الأرض ، وتدمير العمران ، وقتل الأبرياء .

وهكذا لم يهيىء النصارى أنفسهم لاستقبال المسيح الذى روجوا لنزوله ، وصارت حياتهم فى طريق مغاير تماما لمقتضيات هذه العقيدة الباهتة ، بل لعلهم إن سمعوا بظهور مسيحهم الموعود أن يغروا به بوليس (أسكوتلانديارد) ، أو المخابرات المركزية الأمريكية ليكرروا محاولة الصلب والقتل من جديد حرصاً على نفوذهم الراسخ وغيرة على تراثهم المريض .

ولقد تجاسر بعض أدبائهم - فأعلنوا رفضهم لهذه العقيدة التى لا يبررها منطق ، ولا تحتمها ضرورة ، ولا يصدر عنها واقع .

نجد هذا على سبيل المثال فى مسرحية (فى انتظار جودو) لـ (يوجين يونسكو) التى رأى كثير من نقادها أنها تقرر أن نزول المسيح ليس أكثر من خرافة لا تحقق لها إلا فى مخيلة القساوسة والرهبان .

والغريب — أنه بينما يموج العالم المسيحى بهذه الأفكار التى تكشف النقاب عن حقيقة الإضافات البوليسية إلى المسيحية يطلع علينا المرحوم الدكتور الهراس بكتاب يسميه (فصل المقال فى رفع عيسى عليه السلام حيا ونزوله وقتله الدجال) يؤكد فيه أن المسيح قد رفع بجسده وروحه إلى السماء ، وأنه سوف يظل هناك إلى أن يصرح له بالهبوط إلى الأرض قبيل قيام الساعه ليمارس مهمة الإصلاح بضع سنين تشرف بعدها الدنيا على اليوم العصيب .

وراح — يرحمه الله — يخوض غمار المعركة الوهمية — فهو يتصيد الأحاديث ، ويتكلف التفسير بما يخدم دعـــواه التي لا تستحق كل هذا الجهد .

ولست أدرى لم نفرض على المسيح أن يقضى ألوف السنين - وربما أكثر — فى أنتظار تكليفه بمهمة يمكن أن يقوم بها عدد محدود من أمراء المسلمين ، وعلمائهم لو خلصت النوايا وحسن الإعداد - لا سيما وقد قرر لنا رسولنا ﷺ أن علماء أمته كأنبياء بنى إسرائيل .

وجدير بالإشارة أن المرحوم الشيخ (محمود شلتوت) كان قد سئل فى قضية نزول المسيح .

وبعد أن رد على الحجج المفتعلة التى يستند إليها القائلون بهذه القضية من المسلمين - خلص إلى النتائج التالية :

١ — أنه ليس فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن (عيسى) رفع بجسمه إلى السماء وأنه حى إلى الآن فيها ، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض .

٢ - أن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن - هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق - فلم يقتله أعداؤه ، ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه .

٣ — أن من أنكر أن (عيسى) قد رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه حى فيها إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان - فإنه لايكون منكرا لما ثبت بدليل

قطعى — فلا يخرج عن إسلامه ، ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن إذا مات — فهو من المؤمنين يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ، ويدفن فى مقابر المؤمنين(١) .

ورأى الشيخ (شلتوت) يمثل الاتجاه العقلى فى فهم قضية النزول .

وهذا الاتجاه فيما أظن أقرب إلى روح الإسلام وأكثر تمشياً مع طبيعته وما أحوجنا إلى مثل هذه الرؤية العقلية فى فهم العقائد الدينية على الخصوص .

(١) فصل المقال للهراس ، عن العدد ٤٦٢ من مجلة الرسالة .

الفصل السادس

الدين الحـــق

الأديان السماوية كلها حق ، لأنها صادرة عن الله الحق - وهى كما أشرت فى الفصل الأول من هذه الدراسة حلقات متكاملة - يمهد السابق منها للاحق ، ويكمل اللاحق السابق وإن كان كل منها فى ذاته كاملا بالنسبة إلى الفترة الزمنية التى نزل فيها ، ونوعية البشر الذين نزل لهم .

فإذا لوحظ التعارض بين دينين فى أصل من الأصول ، واستحال بينهما الجمع أو التوفيق ، فلابد من القول بوقوع التحريف فى أحدهما على الأقل .

والذى لاشك فيه - أن ثمة مواطن كثيرة للتعارض بين الأديان السماوية الثلاثة التى تنتظم العالم المتمدين اليوم ، والتى عرضت لها فى ثلاثة فصول كاملة من هذه الدراسة ، وهى (اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام) .

وأتباع كل دين من هذه الأديان يتهمون غيرهم بتزييف الحقائق وتحريف النصوص .

ومن ثم - فقـــد التبس الحق بالباطل ، واختلط الخطأ بالصواب وعز على المرء فى معمعة المهاترات الكلامية أن يفرق بين العقيدة المحرفة والعقيدة السوية ، أو يميز بين الدين الزائف والدين الصحيح .

بيد أننى أبادر - فأقرر أن الباحث إذا تجرد من مظاهر الهوى والتعصب وأخذ نفسه بالدقة فى الدراسة والموضوعية فى الحكم - فإنه سينتهى بكل تأكيد إلى أن الدين الذى أنزله الله على محمد ، وعرف تاريخيا بالإسلام هو الحق الذى لم يكدر موارده غبار الزيف ، والنور الذى لم تحجب مطالعه ظلمات التغيير .

ويتأكد هذا الحكم من ملاحظة الأمور الثلاثة الآتية :

١ — ثبوت تبشير العهدين القديم والجديد بمحمد ﷺ نبى الإسلام .

٢ — ثبوت وقوع التحريف فى الكتب السماوية فيما عدا القرآن كتاب الإسلام .

٣ — ما تؤدى إليه المقارنات المحايدة بين الأديان الثلاثة من إثبات تفوق الإسلام وامتيازه واستئثاره بمقومات الصلاحية وعناصر المواءمة لتقــدم الإنسان وسعادته .

وسيتبين ذلك كله بالتفصيل من خلال مباحث هذا الفصل إن شاء الله .

المبحث الأول

تبشير الكتب السابقة بنبي الإسلام

أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أن الكتب السماوية السابقة قد تضمنت التبشير بآخر الأنبياء وخاتم المرسلين (محمد ﷺ) .

من ذلك قوله سبحانه « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »(١) .

بل إن القرآن ليشير أيضا إلى الميثاق الذي أخذه الله على النبيين وفيه يؤكدون إيمانهم بهذا النبي ومناصرتهم له - فهو يقول :

« وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين »(٢) .

ويبدو من تتبع الأحداث واستقراء الوقائع - أن تبشير الكتب السماوية بمحمد عليه السلام لم يكن أمرا خافيا لسنوات من مبعثه على الأقل :

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

فقد كان أهل الكتاب يتحدثون - فيسرفون فى الحديث عن نبى أظلهم زمانه ، ويذكرون من صفاته الخُلقية والخِلقية ، ومن ظروف نشأته ومراحل حياته ، ومن ظهور دينه وانتشار دعوته ماينسبونه إلى كتبهم المقدسة ، أو يسندونه إلى أحبارهم المتبحرين .

ولم يقف الأمر عند مجرد الحديث عن صفات النبى الجديد وأطوار سيرته وإنما كان إسمه يتردد أيضا على ألسنة المبشرين من أهل الكتاب .

لقد انطلقت أحاديث التبشير بالنبى الخاتم من خلوات الكهنة وصوامع الرهبان ، ولكنها كانت تتنقل مع الركبان من صقع إلى صقع ، وتطوف مع الرواة من مكان إلى مكان حتى أوشك الأمر مع بدايات القرن السابع الميلادى أن يطبق شعاب العالم كله ، ويجرى على ألسنة المثقفين فيه .

هذا هو قيصر الروم يمثل بين يديه (أبو سفيان بن حرب) - فيسأله عن نسب النبى الكريم وأخلاقه ، وعن دعوته وأتباعه ، ويجيبه أبو سفيان عن ذلك كله فى حديث مشهور يقول قيصر فى نهايته (إن يك ما تقول حقا فإنه نبى وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمى) .

فقيصر إذن كان يعلم كثيراً عن نسب النبى وأخلاقه ، وعن دعوته ومستقبلها وإن لم يعرف على وجه التحديد القوم الذين سيخرج فيهم ، والمكان الذى سيظهر فيه .

وننقل هنا أيضا حديث (سلمان) الفارسى وهو أحد الذين شغلهم البحث عن الحقيقة فى عالم خيمت عليه ظلمات الجهل ، وكابد فى سبيل الوصول إلى غايته عناء السفر وأهوال الترحال .

لقد ظل يلتمس الهداية عند رهبان الأديرة، ولم يزل ينتقل من بلد إلى بلد حتى انتهى به الطواف إلى (عمورية) حيث أقام في جوار راهب معروف بالاستقامة والصلاح، فلما حضرت الوفاة هذا الراهب سأله (سلمان) إلى من يوصى به، وبم يأمره؟

فقال الراهب (أى بنى والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلنا زمان نبى هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل)[1].

فإذا ضممنا إلى ذلك حديث (بحيرة) مع (أبى طالب)، وحديث (نسطور) مع (ميسرة) غلام السيدة (خديجة) وقد رأى كل منهما محمداً وتوسم فيه علامات النبوة ـ عرفنا أن النصارى كانوا يعلمون كثيراً عن النبى الخاتم ويبشرون بقرب ظهوره وسمو رسالته، ولا بد أن يكون مصدرهم فى ذلك كله هو ما ورثوه من الكتب المقدسة.

ولم يكن اليهود أقل من النصارى علما بهذا النبى وانتظارا لدعوته الجديدة فكثيرا ما كانوا يحدثون العرب عنه، ويعقدون الآمل على رسالته التى يستعيدون بها مجدهم الزائل ويرفعون رايتهم المنكثة فوق الأميين.

ومن شواهد معرفة اليهود بالنبى ووقوفهم على أمره قبل بعثته ـ ما ترويه أم المؤمنين (صفية بنت حيى بن أخطب) عن أبيها وعمها اليهوديين إذ تقول (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء ـ غدا عليه أبى حيى بن أخطب، وعمى أبو ياسر مغلسين ـ فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس ـ فأتيا كالين كسلانين

---

(١) سعيد حوى، الرسول ﷺ ص (٤٢)

ساقطين يغشيان الهوينى ، فهششت إليهما ، فما التفت إلىّ أحد منهما مع ما بهما من الهم فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبي أهو هو أي المبشر به في التوراة ، قال نعم والله ، قال اتثبته وتعرفه ، قال نعم ، قال فما في نفسك منه ، قال عداوته والله ما بقيت أبداً)[١] .

ومن ذلك أيضا - ما يروى في قصة إسلام (عبد الله بن سلام) وكان حبرا عالما - فقد نقل عنه ابن هشام في سيرته أنه قال :

(لما سمعت برسول الله ﷺ - عرفت صفته وإسمه وزمانه الذى كنا نتوكف له ، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لى فيها وعمتى خالدة إبنة الحارث تحتى جالسة. فلما سمعت الخبر بقدوم الرسول ﷺ كبرت ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت ، قال فقلت لها أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به ، ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتى فأسلموا[٢] .

وقد تداولت بين المسلمين نصوص من التوراة تقدم وصفا تفصيليا لأخلاق رسول الله ﷺ ، وأكثر هذه النصوص ما منقول عن (ابن عباس) الذى كان له اطلاع على كتب اليهود والنصارى .

ومن هذا القبيل - النص الآتى :

---

(١) سعيد حوى ، الرسول ﷺ ص ٣٨٠
(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨٠

فقد سأل (عطاء بن يسار) (عبد الله بن عمرو بن العاص) عن صفة رسول الله عليه السلام فقال : أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن :

(يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا) ، وفى بعض طرق الحديث :

(ولا سخابا فى الأسواق ولا قوالا للخنى ، أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد إسمه - أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخالة ، وأسمى به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأراء متشتتة وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس)[1] .

وقد أخبر عليه السلام عن صفته فى التوراة فقال :

(عبدى أحمد المختار مولده مكة ، ومهاجره بالمدينة ، وأمته الحامدون الله على كل حال)[2] .

وجدير بالذكر أن التوراة التى بين أيدينا الآن لا يوجد فيها شىء من هذه

---

(١) الشيخ (محمد الخضرى) ، نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ، ص ٢١

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢

النصوص - كما أن الأناجيل المعروفة لا يوجد فيها أي نص صريح يدل بوضوح على التبشير بنبينا ﷺ - الأمر الذي يدل على أن يد الهوى والتعصب قد جرت في هذه الكتب بالتحريف - ومع ذلك فإن للكتابيين اليوم أن ينكروا صحة نسبة النصوص المبشرة صراحة بنبي الإسلام إلى كتبهم المقدسة، أو يشككوا في السند التاريخي لهذه النصوص.

ولهذا - فقد اهتمت الدراسات الحديثة بالتركيز على النسخ الميسورة من العهدين القديم والجديد تستقرىء ما بين السطور، وتستوحي ما وراء الكلمات لتصل إلى الحقيقة الضائعة، وتظفر بالسر المكنون.

وأبرز الكتاب المحدثين الذين قاموا بهذه المهمة الشاقة، وتعاملوا مع الكتب المقدسة هذا اللون من التعامل المتسم بالصبر والأناة - هو الكاتب الهندي الكبير (رحمت الله بن خليل) جزاه الله عن الإسلام وأهله جزاء العلماء المخلصين، والدعاة المجاهدين.

لقد درس أسفار العهدين القديم والجديد دراسة دقيقة واعية حتى وصل فيها إلى مستوى التمكن، وقارن بين الترجمات المتعددة والطبعات المختلفة حتى وقف على إيحاءات كل كلمة وخبايا كل عبارة، وقرأ شروح المتخصصين على هذه الأسفار وتأويلات المفسرين لها - فعرف ما أخطأوا في شرحه أو حاولوا إخفاءه أو تعسفوا في تأويله، وناقش الكهنة والقساوسة في مطاعنهم على الإسلام ودفاعهم عن باطلهم، ثم أخرج حصيلة ذلك كله في كتابه القيم الذي سماه (إظهار الحق)، وقد استخرج لنا من أسفار العهد القديم إحدى عشرة بشارة بمحمد ودينه - كما استخرج سبع بشارات أخرى من أسفار العهد الجديد.

وسيكون الاعتماد بشكل أساسي على هذا الكتاب في عرض نماذج من التبشير بنبي الإسلام في العهدين القديم والجديد.

(أولا) فى العهد القديم :

أورد الشيخ (رحمت الله بن خليل) طائفة من نصوص العهـــد القديم التى تضمنت التبشير بمحمد ﷺ ، ورد على ما يستند إليه القساوسة فى صرف دلالات هذه النصوص عن وجهها الصحيح ، وكثيرا ما يستأنس لدلالة النص بنص آخر أو أكثر من أسفار العهدين — ولكنى أرى نفسى مضطرا إلى إغفال كثير من التفاصيل التى لا تتفق مع طبيعة هذا العرض السريع — ويستطيع القارىء أن يعود إلى (إظهار الحق) إذا أراد المزيد [1] .

البشارة الأولى :

أورد الشيخ (رحمت الله) النص التالى من سفر التثنية الذى يسميه فى كتابه سفر الاستثناء ثم أخذ فى استخلاص البشارة — يقول النص :

(يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك . من إخوتك مثلى . له تسمعون)

(فقال الرب لى نعم جميع ما قالوا) وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامى فى فمه ويكلمهم بكل شىء آمره به) (ومن لا يطيع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك) (فأما النبى الذى يجترىء بالكبرياء ويتكلم فى إسمى ما لم آمره بأنه يقوله أم باسم آلهة غيرى فليقتل) .

(فإن أحببت وقلت فى قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟) (فهذه تكون لك آية أن ماقال ذلك النبى فى إسم الرب ولم يحدث فالرب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبى صورة فى تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه). والنبى المشار إليه فى هذا النص ليس هو (يوشع) كما يزعم اليهود ، ولا (عيسى) كما يزعم البروتستانت ، وذلك لعشرة أوجه أهمها :

---

(١) يمكن الرجوع إلى موضوع البشارات فى الكتاب المذكور ، ص ٥٠٨

الوجه الأول : أن اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون النبى الذى أشار إليه النص - فهو إذن غير (يوشع) والمسيح .

الوجه الثانى : وردت فى النص كلمة (مثلك) - أى مثل موسى ، ويوشع وعيسى لم يكونا مثل موسى - لأنه كان صاحب شريعة مستقلة ، وليسا كذلك .

ومن جهة أخرى فقد دلت الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية على عدم قيام نبى مثل موسى من بنى إسرائيل - والمعروف أن (يوشع) وعيسى كانا من بنى إسرائيل .

الوجه الثالث : ورد فى النص لفظ (من بين أخوتهم) وقد كان أسباط بنى إسرائيل جميعا حاضرين عند موسى - فدل ذلك على أن النبى المبشر به ليس من بنى إسرائيل ، وإلا - لقال منهم .

الوجه الرابع : ورد فى النص لفظ (سوف أقيم) وهو لفظ يفيد المستقبل البعيد ، فلا ينطبق على (يوشع) الذى كان حاضرا مع موسى .

الوجه الخامس : وهو الثامن عند المؤلف - صرح فى النص بأن النبى الذى يكذب على الله يقتل - فلو كان محمد عليه السلام كاذبا لقتل .

خاصة وقد ورد فى القرآن « ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين » ، ولكنه لم يقتل - بل ورد فى حقه قوله سبحانه .

« والله يعصمك من الناس » وإنما الذى قتل وصلب - هو (عيسى) على زعم أهل الكتاب - فكيف تنطبق البشارة عليه ؟

البشارة الثانية :

ورد فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية :

(هم أغاروني بغير إله ، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة ، فأنا أغيرهم بغير شعب ، وبشعب جاهل أغضبهم) .

فالمراد بالشعب الجاهل ـ هم العرب الذين كانوا في غاية الجهالة والاحتقار من اليهود باعتبارهم من نسل (هاجر) الجارية ، والمقصود من النص، أن بني إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة ، فلذلك أغيرهم باصطفائي للذين هم عندهم محتقرون وجاهلون ولقد أوفى الله بما وعد ، وبعث من العرب النبي ﷺ فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال تعالى في سورة الجمعة « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

وليس المراد بالشعب الجاهل اليونانيين كما ذكر (بولس) في رسالته إلى رومية إذ هم معروفون بالتفوق على شعوب العالم كله قبل الميلاد بمدة قرون ، توارثوا الفلسفة والحكمة ، وتعاقب فيهم أئمة الطبيعيات والرياضيات والإلهيات كما ترجمت إلى لغتهم أسفار العهد القديم قبل الميلاد بنحو ٢٨٦ سنة .

البشارة الثالثة :

ورد في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية ، في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ (وقال جاء الرب من سيناء . وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبل فاران) .

فجيئه من سيناء ـ أعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام ، واشراقه من ساعير أعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام ، واستعلانه من جبل فاران إنزاله القرآن . لأن فاران جبل بمكة ـ ففي الإصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين ورد في شأن (إسماعيل) عليه السلام وسكن بربوة (فاران) والمعروف ـ أن سكناه كانت بمكة .

البشارة الرابعة :

جاء فى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ وعد من الله لإبراهيم يتعلق بإسماعيل ، والنص هو :

(وعلى إسماعيل استجيب لك هو ذا أباركه وأكبره وأكثره جدا جدا فسيلد إثنى عشر رئيسا ، وأجعله لشعب كبير) .

فقوله (أجعله لشعب كبير) يشير إلى (محمد) ﷺ - لأنه لم يكن فى ولد إسماعيل من كان لشعب كبير غيره .

البشارة الخامسة :

جاء فى الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين الترجمة العربية سنة ١٧٢٢ وسنة ١٧٢١ ، وسنة ١٨٤٤ (فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجىء الذى له الكل ، وإياه تنتظر الأمم) .

وفى ترجمة عربية سنة ١٨١١ (فلا يزول القضيب من يهوذا ، والرسم من تحت أمره إلى أن يجىء الذى هو له ، وإليه تجتمع الشعوب) .

فلفظ (الذى له الكل) أو (الذى هو له) ترجمة للفظ (شيلوه) .

فالمقصود بيهوذا الشعب اليهودى ، وبشيلوه محمد عليه الصلاة والسلام إذ لم تجتمع الشعوب لأحد بعد انتقاض أمر اليهود وانقطاع شرائعهم بنهاية عيسى عليه السلام إلا لمحمد عليه الصلاة والسلام .

البشارة السادسة :

جاء فى الزبور الخامس والأربعين (فاض قلبى كلمة صالحة فأنا أقول أعمالى للملك ، لسانى قلم كاتب سريع الكتابة) (بهى فى الحسن أفضل من بنى البشر

انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك بارك الله إلى الدهر ، تقلد سيفك على فخذك أيها القوى ، بحسنك وجمالك أستله وأنجح وأملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب بيمينك نبلك مسنونه أيها القوى فى قلب أعداء الملك ، الشعوب تحتك يسقطون ، كرسيك يا الله إلى دهر الداهرين ، عصا الاستقامة عصا ملكك، أحببت البر وأبغضت الإثم - لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك ، المر والميعة والسليخة من ثيابك من منازل الشريفة العاج التى أبهجتك، بنات الملوك فى كراماتك ، قامت الملكة عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى اسمعى يابنت وانظرى وأنصتى بأذنيك وأنسى شعبك وبيت أبيك فيشتهى الملك حسنك لأنه هو الرب إلهك وله تسجدين .

بنات القصور يأتينك بالهدايا لوجهك يصلى كل أغنياء الشعب كل مجد إبنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى يبلغن إلى الملك عذارى فى أثرها قريباتها إليك يقدمن يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك ويكون بنورك عوضا من ابائك وتقيمهم رؤساء على سائر الارض ، سأذكر إسمك فى كل جيل وجيل - من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الداهرين) .

ويستخلص الشيخ (رحمت الله) من النص السابق سبعة عشر وصفا للنبى الذى تشير إليه البشارة ، وهذه الأوصاف هى :

١ - كونه حسنا .

٢ - كونه أفضل البشر .

٣ - كون النعمة منسكبة على شفتيه .

٤ - كونه مباركا إلى آخر الدهر .

٥ - كونه متقلدا بالسيف .

٦ - كونه قويا .

٧ - كونه ذا حق ودعة وصدق .

٨ - كونه هداية بيمينه بالعجب

٩ - كون نبله مسنونة .

١٠ - سقوط الشعوب تحته

١١ - كونه محبا للبر مبغضا للإثم .

١٢ - خدمة بنات الملوك إياه .

١٣ - مجيء الهدايا إليه .

١٤ - انقياد كل أغنياء الشعوب له .

١٥ - كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم .

١٦ - كون إسمه مذكورا جيلا بعد جيل .

١٧ - مدح الشعوب إياه إلى دهر الداهرين .

ويستدل الشيخ على ثبوت هذه الأوصاف لمحمد ﷺ بما عرف من أحواله ومواقفه ، وأخلاقه وحديث القرآن عنه على نحو ما ترويه كتب السيرة والسنة والتفسير ، ثم يقول :

(ولا يصدق هذا الخبر فى حق عيسى عليه السلام كما يدعى علماء البروتستانت إدعاء باطلا) .

البشارة السابعة :

وورد فى الزبور المائة والتاسع والأربعين :

(سبحوا الرب تسبيحا جديدا . سبحوه فى جمع الأبرار، فليفرح إسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم ، فليسبحوا إسمـــه بالمصاف بالطبل والمزمار يرتلوا له ، لأن الرب يسر بشعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص ، تفتخر الأبرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ترفيع الله فى حلوقهم وسيوف ذات فمين فى أيديهم ليصنعوا انتقاما فى الأمم وتوبيخات فى الشعوب ليقيدوا ملوكهم بالقيود وأشرافهم بأغلال من حديد ليصنعوا بهم حكما مكتوبا هذا المجد يكون لجميع الأبرار) .

عبر النص السابق عن المبشر به بالملك، وعن مطيعيه بالأبرار، وأطلق عليهم خمسة أوصاف هى :

١ — إفتخارهم بالمجد .

٢ ترفيع الله فى حلوقهم .

٣ — كون سيوف ذات فمين فى أيديهم .

٤ - وانتقامهم من الأمم وتوبيخاتهم للشعوب .

٥ - وأسرهم الملوك والأشراف بالقيود والأغلال التى من حديد .

وهذه الأوصاف كما يستخلص المؤلف ، تصدق على محمد وأصحابه ، ولا تصدق على (سليمان)، لأنه ما وسع مملكة أبيه على حد زعم أهل الكتاب .

ولأنه ارتد فى آخر حياته وعبد الأصنام على زعمهم أيضا .

كذلك لا تصدق الأوصاف المذكورة على (عيسى) عليه السلام لأنه لم يرهب أحدا ، ولم يأسر ملكا ، وإنما صلب وقتل فيما يزعمون، كما أسر أكثر حوارييه فى القيود والأغلال ، ثم قتلوا بأيدى الملوك والأشراف من الكفار .

البشارة الثامنة :

ورد فى الإصحاح الثانى والأربعين من سفر أشعياء :

٩ (التى كانت أولها قد أتت وأنا مخبر أيضا بأحداث قبل أن تحدث وأسمعكم إياها) ١٠ (سبحوا للرب تسبيحة جديدة حمده من أقاصى الأرض راكبين فى البحر ملؤه الجزائر وسكانها) ١١ (لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار التى سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبـــال يسبحون) ١٢ (يجعلون للرب كرامة وحمده يخبرون به فى الجزائر) ١٣ (الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغير بصوت ويصيح على أعدائه ويتقوى) ١٤ (سكت دائما صمت صبرت صبرا فأنكلم كالوالد أصيح أنفخ وأنخر معا) ١٥ (أخرب الجبال والآكام وكل نباتهن أجفف وأجعل الأنهـــار جزائر . والبحيرات أجففهن) ١٦ (وأسير العمى فى طريق لم يعرفوها ، فى مسالك لم يدروها ، أمشيهم أصير أمامهم الظلمة نورا ، والمعوجات سهلا ، هذا الكلام صنعته لهم ولا أخذلهم) ١٧ (أنديروا إلى ورائهم والمتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة أنكم آلهتنا ليخزون خزيا) .

يظهر من النص السابق ، أن (أشعياء) قد أخبر عن أشياء قد وقعت على نحو ما كان تنبأ به ، وأنه يخبر عن أشياء أخرى تقع فى المستقبل ، وتعنى بصفة عامة ظهور نهج جديد فى العبادة وأمة جديدة من أمم الإيمان .

وما ذكر من ملامح هذه العبادة فى النص ينطبق على الشريعة الإسلامية ، كما أن ما ذكر فيه من ملامح هذه الأمة ينطبق على الأمة الإسلامية أيضا .

فتعميم التسبيحة الجديدة على سكان أقاصى الأرض وأهل الجزائر ، وأهل المدن والبرارى ، إشارة إلى عموم نبوته ﷺ .

والفظ (قيدار) هو أقوى إشارة إليه ، لأن (محمدا) ﷺ من أولاد (قيدار بن إسماعيل) .

وقوله (من رؤوس الجبال يصيحون) ، إشارة إلى العبادة المخصوصة التى تؤدى فى أيام الحج فإنه يصيح ألوف الألوف من الناس بـ (لبيك اللهم لبيك) .

وقوله (حمدة يخبرون به فى الجزائر) إشارة إلى الآذان يخبرون به ألوف الالوف فى أقطار العالم فى الأوقات الخمسة جهارا .

وقوله (الرب كجبار يخرج كرجل مقاتل يهوش الغير) يشير إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأن جهاده عليه السلام وجهاد تابعيه يكون لله وبأمره خاليا عن أهواء النفس .

ويبين فى الآية الرابعة عشرة سبب مشروعية الجهاد .

وأشار فى الآية السادسة عشرة إلى حال العرب ، لأنهم كانوا غير واقفين على أحكام الله ، مبتلين بالقبائح والضلالات مصداقا لقوله سبحانه (وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) .

وقوله (لا أخذلهم) إشارة إلى رحمة الله بالأمة الإسلامية إذ هم من غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وإلى تأبيد شريعتهم ، إذ هى خاتمة الشرائع .

وقوله (والمتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة أنتم آلهتنا ليخزون خزيا) ، وعد بأن عابدى الأصنام والأوثان كمشركى العرب ، وعابدى الصليب ، وصور القديسين يحصل لهم الخزى والهزيمة التامة ولقد وفى الله بما وعد ، فقد اندحرت الوثنية العربية ، ودالت ممالك الفرس والروم وضعفت الوثنية فى الهند والسند ، وانتشر التوحيد شرقا وغربا .

البشارة التاسعة :

ورد فى الإصحاح الرابع والخمسين من سفر أشعياء :

(سبحى أيتها العاقر التى لم تلد ، أنشدى بالمجد وهللى أيتها التى لم تلد من أجل الكثيرين من بنى المستوحشة أكثر من ذات رجل) .

٢ (أوسعى موضع خيمتك وسرادق مضاربك أبسطى لا تمسكى ، طولى حبالك ثبتى أوتادك) .

٣ (لأنك تنفذين يمنة ويسرة ، وزرعك يرث الأمم ويعمر المدن الخربة) .

٤ (لا تخافى . لأنك لا تخزين وتخجلين ، لأنك لا تستحيين فإن خزى صباك تنسين ، وعار ترملك لا تذكرين أيضا) .

٥ (فإنه يتولى عليك الذى صنعك رب الجنود إسمه وفاديك قدوس إسرائيل إله جميع الأرض يدعى) .

٦ (إنما الرب دعاك مثل امرأة مطلقة ، ومحزونة الروح ، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك) .

٧ (لحيظة تركتك وبرحمات عظيمة أجمعك) .

٨ (فى ساعة الغضب أخفيت قليلا وجهى عنك ، وبالرحمة الأبدية رحمتك ، قال فاديك الرب) .

٩ (مثلما فى أيام نوح لى هذا كما حلفت أن لا أصب مياه نوح على الأرض ، هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ، وأن لا أوبخك) .

١٠ (فإن الجبال تزحف ، والتلال تتزلزل ، ورحمتى لا تزول عنك ، وعهد سلامى لا يتحرك قال راحمك الرب) .

١١ (أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ها أنا ذا أبنى بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك) .

١٢ (وأجعل شرفك ياقوتا ، وأبوابك حجارة بهرمانية ، وكل تخومك حجارة كريمة) .

١٣ (جميع بنيك متعلمون من الرب ، وكثرة السلام لبنيك) .

١٤ (وبالبر تؤسسين . فابتعدى من الظلم ، لأنك لا تخافين ، ومن الهيبة لأنها لا تقرب منك) .

١٥ (ها أنهم يجتمعون إجتماعا ليس من عندى ، من اجتمع عليك ، فإليك يسقط) .

١٦ (ها أنا خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ، ويخرج آلة لعمله ، وأنا خلقت المهلك للإهلاك) .

١٧ (كل إناء جبول ضدك لا ينجح ، وكل لسان يخالفك فى القضاء تحكمين عليه ، هذا هو ميراث عبيد الرب ، وبرهم من عندى ، يقول الرب) .

يذكر مؤلف (إظهار الحق) أن الخطاب فىالنص السابق موجه من الله تعالى إلى (مكة) المكرمة .

وفى ضوء الفكرة ، يفسر عبارات النص بما يكشف عن مضمون البشارة وذلك على النحو التالى :

المراد بالعاقر فى الآية الأولى ، مكة المكرمة ، لأنها لم يظهر منها نبى بعد إسماعيل عليه السلام ، ولم ينزل فيها وحى ، بخلاف (أورشليم) ، فقد ظهر فيها أنبياء كثيرون كما كثر فيها نزول الوحى .

والمراد (ببنى المستوحشة) ، أبناء (هاجر) ، لأنها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة من البيت ، الساكنة فى البرية ، ومن ثم ورد عن (إسماعيل) فى الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين : (هذا سيكون إنسانا وحشيا) .

وقوله (بنو ذات رجل) إشارة إلى أبناء (سارة) وقد أمر الله مكة بالتسبيح والتهليل وإنشاد الذكر شكرا لله الذى فضل أبناء (هاجر) على أبناء (سارة) ، فارتفعت منزلة (مكة) تبعا لتفضيل أهلها .

وكملت الفضيلة ببعث (محمد) ﷺ أفضل البشر وخاتم النبيين وهو من أبناء (هاجر) ومن أهل (مكة) كذلك ، وهو المراد فى النص بالحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ، وهو المهلك الذى خلق لإهلاك المشركين .

وببركة هذا النبى الكريم ، حصلت السعة لمكة ، وعظمت كعبتها كما لم يعظم معبد قط . فإن ما يحدث لها من التعظيم وتقديم القرابين كل عام لم يحدث مثله لبيت المقدس نفسه إلا مرتين :

إحداهما فى عهد (سليمان) عقب الفراغ من بنائه .

والثانية ، فى السنة الثامنة عشرة من سلطنة (يوشيا) .

وسيبقى هذا التعظيم لمكة إلى آخر الدهر إن شاء الله كما وعد الله بقوله (لا تخافى لأنك لا تخزين ولا تخجلين ، لأنك لا تستحين ،) وبقوله :

(وبرحمات عظيمة أجمعك) و (الرحمة) الأبدية رحمتك) ، ويقول :

(حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك) ، وبقوله (رحمتى لا تزول عنك وعهد سلامى لا يتحرك) .

وقوله (وزرعك يرث الأمم ، ويعمر المدن الخربة) ، إشارة إلى امتداد

الإسلام وانتشار المسلمين حيث فتحوا الممالك وعمروا المدن الخربة وأقاموا دولة كبرى فى اثنتين وعشرين سنة ، ولم يسمع مثل هذا الغلب العظيم فى مثل تلك المدة القصيرة من عهد آدم إلى زمان محمد عليهما السلام .

وقوله (كل إناء مجبول بضدك لا ينجح) إشـــارة إلى سحق كل من أراد (مكة) بسوء ، وأبرز الشواهد على تحقيق هذا الوعد ما حدث لأصحاب الفيل .

البشارة العاشرة :

ورد فى الإصحاح الخامس والستين من سفر (أشعياء) :

١ (طلبنى الذين لم يسألونى قبل ، ووجدنى الذين لم يطلبونى قلت هأنذا إلى الأمة الذين لم يدعوا باسمى) .

٢ (بسطت يدى طول النهار إلى شعب غير مؤمن الذى يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم) .

٣ (الشعب الذى يغضبنى أمام وجهى دائما الذين يذبحون فى البساتين ويذبحون على اللبن) .

٤ (الذين يسكنون فى القبور ، فى مساجد الأوثان يرقدون ، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس فى آنيتهم) .

٥ (الذين يقولون أبعد عنى لا تقرب منى لأنك نجس ، هؤلاء يكونون دخانا فى رجزى متقدة طول النهار) .

٦ (ها مكتوب قدامى : لا أسكت بل أرد ، وأكافىء جزاءا فى حضنهم) .

فالمراد بالذين لم يسألونى ، والذين لم يطلبونى ، هم العرب كما يذكر الشيخ (رحمه الله) لأنهم لم يكونوا واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه كما قال الله

منهم « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

والوصف المذكور في الآيتين الثانية والثالثة يصـــدق على كل من اليهود والنصارى ، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعة ألصق بحال النصارى ، كما أن الوصف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود، فردهم البارى واختار الأمة المحمدية .

البشارة الحادية عشرة :

رأى (نبوخذ ناصر) حلما مزعجا ثم نسيه ، وطلب إلى علمائه أن يقصوا عليه الحلم ويؤولوه له ، فعجزوا عن ذلك ، ولكن (دنيال) النبي عرف قصة الحلم وتأويله بوحي من الله ، وورد الإخبار بذلك في الإصحاح الثاني من سفره هكذا :

(أنت أيها الملك كنت ترى وإذا بتمثال عظيم هذا التمثال العظيم البهى جدا وقف قبالتك ومنظره هائل ، رأس هذا التمثال من ذهب أبريز ، والصـــدر والذراعان من فضة ، والبطن والفخذان من النحاس ، والساقان من حديد والقدمان قسم منهما من حديد وقسم منهما من خزف .

كنت تنظر إلى أن انقطع حجر من جبل بغير يدين وضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد ومن خزف فسحقهما، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب وصارت كغبار البيدر في الصيف فذرتها الريح ولم يوجد لها مكان ، والحجر الذى قد ضرب التمثال صار جبلا عظيما وملأ الأرض بأسرها ، فهذا هو الحلم ونخبر أيضا قدامك يا أيها الملك بتفسيره .

أنت هو ملك الملوك، وإله السماء أعطاك الملك والقوة والسلطان والمجد وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل وأعطى بيدك طير السماء أيضا وجعل

جميع الأشياء تحت سلطانك - فأنت هو الرأس من الذهب وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك من فضة ، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس وتتسلط على جميع الأرض ، والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد كما أن الحديد يسحق ويغلب الجميع هكذا هو هى تسحق وتكسر جميع هذه .

وبما رأيت القدمين وأصابعهما قسما من الخزف الفخارى ، وقسما من حديد فالمملكة مفترقة ، ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين ، ولأنك رأيت أصابع القدمين قسما من حديد وقسما من خزف - فالمملكة تكون بقسم صلبة وبقسم مسحوقة .

وفيما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين، فإنهم يختلطون بزرع بشرى ولكن لا يتلاصقون مثل ما أنه ليس بممكن أن يمتزج الحديد بالخزف ، فأما فى أيام تلك الممالك يبعث إله السماء مملكة وهى لن تنقضى قط ، ومملكها لا يعطى لشعب آخر ، وهى تسحق وتفنى جميع هذه الممالك أجمعين ، وهى تثبت إلى الأبد .

لأنك رأيت أن من جبل انقطع حجر لا بيدين وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب .

الله العظيم أظهر للملك ما سيأتى من بعد ، والحلم هو حقيق وتفسيره صحيح) .

والنص السابق يتحدث عن أربع ممالك ، ثم عن مملكة خامسه تسحق الجميع.

والشيخ (رحمه الله) يرى - أن المملكة الأولى هى مملكة (نوبا نخذ ناصر) .

والثانية - هى مملكة الماديين الذين تسلطوا بعد قتل (بيلشاصر) بن نبوخذ ناصر .

والثالثة ـ مملكة الكيانيين التى ابتدأت بحكم (كورش) ملك الفرس .

والرابعة ـ مملكة (الإسكندر) الأكبر .

ثم يقول عن الخامسة : (وولد فى عهد أنوشروان محمد بن عبد الله ﷺ ، وأعطاه الله السلطنة الظاهرية والباطنية ، وقد تسلط متبعوه فى مدة قليلة شرقا وغربا على جميع ديار فرس التى كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها ، فهذه السلطنة الأبدية التى لا تنقضى وملكها لا يعطى لشعب آخر) .

هذه هى البشارات الإحدى عشرة التى استخلصها الشيخ (رحمت الله) من أسفار العهد القديم ، وهى تشير إلى (محمـــد) ودينه ، وأمته إشارات يحتاج الوقوف عليها إلى بعض الجهد ، ولكنها فى النهاية تؤكد معرفة أنبياء العهد القديم بمحمد وتبشيرهم به .

ولا بد أن أحبار بنى إسرائيل إبان ظهور الإسلام كانوا يعرفون شيئا من هذه الإشارات ، ولكن الحقد على النبى الجديد حملهم على كتمان ذلك عن الناس .

وقد نزل فى هؤلاء قوله تعالى « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » ، يقول (ابن كثير) فى تفسير هذه الآية :

(أى تكتمون ما فى كتبكم من صفة (محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه)[1] .

---

(١) تفسير ابن كثير ، الجزء الأول ، ص ٣٧٣

ثانياً — في العهد الجديد :

بشر (عيسى عليه السلام قومه بنبينا ﷺ باسمه وصفته وإلى ذلك الإشارة في قوله سبحانه :

« وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»[1] .

ويذكر القساوسة - أن المبشر به في الإنجيل هو (فارقليط) أو (بيركليتوس) وأن الكلمة تعني باليونانية (المعزي) ، وقد سأل الشيخ (عبد الوهاب النجار) الدكتور (كارلو نالينو) المستشرق الإيطالي عن معنى هذه الكلمة ، فأجابه بقوله (إن القسس يقولون أن هذه الكلمة معناها المعزي) ، فقال له : (إني أسأل الدكتور (كارلو نالينو) الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسيساً) .

فقال (إن معناها - الذي له حمد كثير) فسأله أيضاً (هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد) فقال (نعم)[2] .

وعلى ذلك - يكون ما ورد في الأناجيل موافقاً لما قرره القرآن الكريم في الآية السابقة .

ونعود الآن إلى مؤلف كتاب (إظهار الحق) لنقف على ما استخلصه من بشارات العهد الجديد وهي سبع بشارات نقتصر في عرضها على ما يكون الفكرة العامة دون الدخول في التفاصيل .

---

(١) سورة الصف ، ٦

ويستطيع القارىء أن يعود إليها فى المرجع الأصلى ص ٥٣١

البشارة الأولى :

جاء فى رســـالة (يهوذا) الحوارى المسماة (الخبر الذى تكلم به أخنوخ الرسول) الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ :-

(الرب قد جاء فى ربواته المقدسة ليدين الجميع ويبكت جميع المنافقين على كل أعمال نفقهم التى نافقوا فيها ، وعلى كل الـكلام الصعب الذى تـكلم به ضد الله الخطاة المنافقون) .

وينبه المؤلف قبل كل شىء على معنى كلمتى (رب ، وقديس ، ومقدس) فى الأسفار المقدسة ، فالرب يصيح استعماله فى معنى المعلم ، والمخدوم .

ولفظ القديس ، أو المقدس يطلق فى العهدين إطلاقا شائعاً .

ويستشهد لذلك بما ورد فى الأسفار .

ثم يقول (إن المراد بالرب محمد ﷺ ، وبالربوات المقدسة الصحابة ، والتعبير عن مجيئه (بقد) جاء لكونه أمراً يقينياً .

ولقد جاء محمد ﷺ فى ربواته المقدسة — فدان الـكفار ، وبكت المنافقين والخطاة على أعمال النفاق ، وعلى أقوالهم القبيحة فى الله ورسله) .

البشارة الثـانية :

ورد فى الإصحاح الثالث من إنجيل متى (وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يـكرز فى برية اليهودية قائلا توبوا لأنه قـــد اقترب ملـكوت السموات) .

وقد تكرر التبشير بقرب ملكوت السموات فى كلام (عيسى) عليه السلام وفى كلام الحواريين السبعين أيضاً ، والمؤلف يورد كثيراً من الشواهد على ذلك ، ثم ينتهى إلى القول بأن ملكوت السموات ، أو ملكوت الله هو طريق النجاة الذى يتبين ببعثة (محمد) ﷺ فإن مايتبادر من النصوص — هو أن هذا الملكوت سيكون فى صورة السلطنة لا فى صورة المسكنة ، وإن حربا وجدالا سيكونان من أجله مع المخالفين وأن أساس قوانينه لابد وأن يكون كتابا سماويا ، وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية .

ويضعف المؤلف دعوى علماء المسيحية بأن المراد بملكوت السموات هنا عموم الملة المسيحية فى جميع العالم بعد نزول المسيح ـ لأن كلام المسيح نفسه يدل على خلاف ذلك ، فى الاصحاح الثالث عشر من إنجيل متى قال مثلا : (يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعا جيداً فى حقله) ثم قال (يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله) ، ثم قال (يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع) فشبه ملكوت السموات بإنسان زارع لا بنمو الزراعة وحصادها ، وكذلك شبهه بحبة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة ، وشبهه بخميرة لا باختمار جميع الدقيق .

بل لقد صرح (عيسى عليه السلام) بأن ملكوت السموات ينزع من أمته ليكون فى أمة أخرى ، فهو يقول . (فى الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى : (لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) كل هذا يؤكد أن الملكوت هو طريق النجاة الذى يتمثل فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

البشارة الثالثة :

ترتبط هذه البشارة بالبشارة السابقة ارتباطا قوياً ، فهى تقوم على أساس تشبيه المسيح عليه السلام لملكوت الله بحبة الخردل .

فما دمنا قد أنتهينا إلى أن هذا الملكوت - هو الشريعة المحمدية فلا بد أن نستنتج من التشبيه السابق أن هذه الشريعة تبدأ صغيرة كحبة الخردل ، ثم تنمو بسرعة ويعظم نموها كما أن حبة الخردل تصبح شجرة عظيمة ، فهى إذن بشارة ببلوغ الشريعة المحمدية غاية تمامها واكتمالها .

البشارة الرابعة :

ورد فى الإصحاح العشرين من إنجيل متى : (فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه ، فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج هو نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً فى السوق بطالين فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم فمضوا ، وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك ، ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ، قالوا له لأنه لم يستأجرنا أحد ، قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ، فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة وأعطهم الأجر مبتدئا من الآخرين إلى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشر وأخذوا ديناراً ديناراً ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم ديناراً ديناراً ، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ، فأجاب وقال لواحد منهم ياصاحب ماظلمتك ، أما اتفقت معى على دينار ، فخذ

الذى لك وأذهب فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ، أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى أم عينك شريرة لأنى أنا صالح ، هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين لأن كثيرين يدعون ، وقليلين ينتخبون) .

فالآخرون - هم أمة (محمد) ﷺ آثرهم الله بأعظم الأجر وأعلى الدرجات على الرغم من تأخر زمانهم ، وهذا هو ما أشار إليه النبى الكريم حين قال : (نحن الآخرون السابقون) ، وقال : إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى) .

البشارة الخامسة :

جاء فى الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى : (اسمعوا مثلا آخر كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر ، ولما قرب وقت الإثمار - أرسل عبيده إلى الكرامين فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ، ثم أرسل أيضا عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ، فأخيرا أرسل إليهم إبنه قائلا يهابون إبنى ، وأما الكرامون - فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث - هلم نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم إهلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ، قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ؟ ، لذلك - أقول لكم : أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه) .

ويأخذ الشيخ (رحمت الله) فى استخراج ما يتضمنه النص من الكنايات واستخلاص ما ينطوى عليه من البشارة بمحمد ﷺ، وأمته.

فرب البيت - كناية عن الله، والكرم - كناية عن الشريعة، وأحاطته بسياج وحفر معصرة فيه - وبناء برج - كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهى، والكرامون الطاغون - كناية عن اليهود، والعبيد المرسلون - كناية عن الأنبياء عليهم السلام، والابن - كناية عن (عيسى عليه السلام) والحجر الذى رفضه البناءون - كناية عن (محمد) ﷺ والأمة التى تعمل أثماره - كناية عن الأمة المحمدية، وهذا هو الحجر الذى كل من سقط عليه ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه.

البشارة السادسة:

ورد فى الاصحاح الثانى من سفر الرؤيا ليوحنا:

(ومن يغلب ويحفظ أعمالى للنهاية - فسأعطيه سلطانا على الأمم فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما أخذت أيضا من عند أبى وأعطيه كوكب الصبح من له أذن فليسمع ما يقوله الروح بالكنائس).

يقول الشيخ (رحمت الله) تعليقاً على هذا النص:

(فهذا الغالب الذى أعطاه سلطانا على الأمم - ويرعاهم بقضيب من حديد - هو محمد ﷺ كما قال الله فى حقه «وينصرك الله نصراً عزيزاً»).

إلى أن يقول: (وكوكب الصبح - عبارة عن القرآن الكريم، قال الله تعالى فى سورة النساء «وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً»، وفى سورة التغابن «فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا»).

البشارة السابعة :

هذه هى البشارة الأخيرة من البشارات السبع التى استخلصها صاحب كتاب (إظهار الحق) من العهد الجديد .

وتقوم هذه البشارة على أساس ماورد فى إنجيل (يوحنا) الترجمة العربية سنة ١٨٢١ ، وسنة ١٨٣١ ، وسنة ١٨٤٤ فى (لندن) من التبشير بالفارقليط وقد سبقت الإشارة إلى معناه .

وأقوى شاهد عرضه المؤلف - ماورد فى الإصحاح السادس عشر من قول المسيح عليه السلام : (لكننى أقول لكم الحق أنه خير لكم أن أنطلق ، لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء ذاك ، فهو يوبخ العالم على خطية وعلى بر وعلى حكم) إلى أن يقول : (وإذا جاء روح الحق ذاك - فهو يعلمكم جميع الحق - لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى ، وهو يمجدنى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم جميع ما هو للأب فهو لى ، فن أجل هذا قلت إن مما هو لى يأخذ ويخبركم) .

والنص واضح العبارات - قوى الدلالة على ما أراده المؤلف لاسيما إذا لاحظنا ما مهدنا به لبشارات العهد الجديد .

ولقد وجد المنصفون من النصارى فى ثنايا أناجيلهم ورسائلهم ما يحملهم حملا على قبول الإسلام والإذعان لرسوله .

وإذا كنا لا نزال نذكر قصة إسلام (عبد الله بن سلام) كحبر من أحبار اليهود عرف الحق - فسارع باتباعه - فلابد أن نشير هنا إلى قصة إسلام (الجارود بن العلاء) كعالم من علماء النصارى تبين الطريق - فحرص عليه .

فقد جاء (الجارود) إلى رسول الله ﷺ فقال : (والله لقد جئت بالحق ،

ونطقت بالصدق ، والذى بعثك بالحق نبياً لقد وجدت وصفك فى الإنجيل ، وبشر بك ابن البتول ، فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك ، لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين ، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم آمن قومه)[1] .

وعلى الرغم من وضوح الشواهد وكثرة البشارات التى تؤكد نبوة (محمد) ﷺ والتى لا تزال قائمة إلى اليوم بين أسفار العهد القديم والعهد الجديد فإن المكابرين من اليهود والنصارى يرفضون الاعتراف بها والإذعان لها .

ولا بد أن نضع فى الاعتبار - أن الأحبار المعاصرين لصدر الإسلام قد تناهى إليهم أمر الآيات القرآنية التى تفيد ورود الحديث عن (محمد) ﷺ فى التوراة والإنجيل من نحو قوله سبحانه « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل » فلم يتصد لمعارضتها أحد ، ولو لم يكن لهذا الحديث ورود فى التوراة والإنجيل لسارع الأحبار بتكذيب القرآن والسخرية من محمد وهى فرصة مناسبة تماما لشفاء نفوسهم المريضة وإراحة قلوبهم الحاقدة ولن يكلفهم ذلك أكثر من إثبات خلو التوراة والإنجيل مما نسبه إليهما القرآن .

وهكذا يصير القرآن الكريم نفسه بشارة مؤكدة لبشارات الكتابين السابقين بنبى الإسلام ﷺ .

وفى ذلك يقول (أبو الحسن أحمد بن الحسين الزيدى) : بعد أن ذكر الآيات التى تفيد تبشير التوراة والإنجيل بالنبى الخاتم (محمد) ﷺ : « فلو لم تكن هذه الآيات من عند الله عزّ وجل ، ولو لم يكن اسمه مكتوبا فى كتبهم ولم يكن

---

(١) إظهار الحق ص ٥٤٠ .

أحبارهم عالمين بذلك . لم يكن ﷺ وعلى آله يورد عليهم ذلك لأنه لا يزيدهم إلا نفاراً عنه وتحقيقاً لتقوله حاشاه من ذلك)(١) .

على أن بنى اسرائيل قد يسلمون بصحة ما ورد فى كتبهم عن النبى الخاتم ويرفضون فى الوقت نفسه أن يكون (محمد) ﷺ هو هذا النبى الذى تحدثت عنه الأسفار المقدسة ، بل هو نبى لم يأت زمانه بعد .

يورد الشيخ (أبو الحسن الزيدى) هذا الإشكال ويرد عليه فيقول : (فإن قيل : هذا الذى حكيته من كتب الأنبياء - صلوات الله عليهم - صحيح ، وهذه الصفات موجودة فى تلك الكتب ، إلا أن الموصوف بها لم يجىء بعد بتة .

قيل له : أرأيتم إن جاء من تدعونه ، ثم أنكره منكر ما يكون برهانكم عليـــه ؟

فإن قيل : إذا جاء أتى بالمعجزات ، فهما قالوا فى ذلك فهو جوابنا .

ثم يقال لهم : إذا من أتى من توجد فيه الأوصاف المذكورة فيجب أن نعلم أنه هو الذى بشرت به الأنبياء - صلوات الله عليهم - لأنه لا يجوز أن يعرفنا نبى من الأنبياء أنه يأتيكم رجل حاله كذا وصفته كذا .

فإذا أتاكم فافعلوا به كذا من تصديق أو تكذيب ثم يأتينا رجل بتلك الصفة ولا يكون هو مرادا بذلك الخبر بل يكون المراد غيره والمقصود سواه لأنه لو كان ذلك كذلك كان ضربا من التلبيس ويجب أن يمنع الله عز وجل منـــه)(٢) .

---

(١) إثبات نبوة النبى ، ص ١٦٧ .
(٢) إثبات نبوة النبى ، ص ١٦٨ .

والذى يمكننا أن نخلص إليه فى النهاية - هو أن أحبار بنى إسرائيل قد عرفوا مضمون البشارات التى أنطوت عليها أسفار العهدين ولكنهم وقفوا من النبى ﷺ موقفين مختلفين .

ففريق لم يسعهم إلا الإيمان به والإذعان له امتثالا لما عندهم من العلم .

وفريق آخر منهم حملهم الحقد على التكذيب - فناصبوا النبى ﷺ العداء متجاهلين مافى كتبهم المقدسة من البشائر والنبوءات .

ويشير القرآن الكريم إلى هؤلاء المكابرين السفهاء فيقول :

« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون »[١] .

---

(١) سورة البقرة ١٠١ .

المبحث الثـــانى

قضيـــة التحريف

أنزل الله الكتب السماوية على بنى إسرائيل ترسم لهم أقوم السبل وأهداها وتأخذ بأيديهم إلى أشرف الغايات وأسماها نورا يبدد فى أنفسهم ظلمات الحيرة ويحدد فى مسيرتهم معالم الطريق (« وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان »[1] .

« إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أســلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء »[2] .

وكان حريا ببنى إسرائيل أن يلتزموا تجاه هذه الكتب بما ينبغى لهـــا من الرعاية والتقديس عرفانا بفضل الله عليهم واستبقاء لنعمته فيهم ، بل قل كان حريا بهم أن يجنوا ثمار هذه الهداية الربانية سموا فى أخلاقهم، ورشادا فى سلوكهم، وصوابا فى تصورهم الأمور وحكمهم على الأشياء. ولكن هذا لم يحدث ، وإنما الذى حدث هو ـ أنهم تجرأوا على هذه الكتب فجرت أيديهم فيها بالتحريف والتزييف مسايرة لأهوائهم الطائشة وتحقيقا لمنافعهم القريبة .

---

(١) آل عمران ، ٣

(٢) المائدة ، الآية ٤٤

وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فضحا لبنى إسرائيل الذين لا يفتأون يباهون الأمم بأنهم أهل الكتاب .

يقول سبحانه : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »[١] .

ثم يقول : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »[٢] .

ويقول أيضا : « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »[٣] .

ويقول جل شأنه : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون »[٤].

ويقول : من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه »[٥] .

ويقول سبحانه : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به »[٦] .

ويقول تبارك وتعالى . « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على

---

(١) البقرة ، الآية ٧٥

(٢) البقرة ، ٧٩

(٣) آل عمران ، ٧٨

(٤) نفس السورة ، ١٨٧

(٥) النساء ، ٤٦

(٦) المائدة ، ١٣

بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون »[1] .

والذى يتبين من هذه الإشارات القرآنية ومن تتبع أحوال علماء بنى إسرائيل أيضا ، أن ما يحملهم على تحريف كتبهم إما الرغبة فى تحقيق كسب مادى سريع وهو ما أشرنا إليه فى حديثنا عن الفرق اليهودية والمسيحية .

وإما إرضاء ميل نفسى غير مشروع كإباحة مرغوب تحرمه الكتب المقدسة ، أو كتمان حقيقة مزعجة تشيع فى ثنايا هذه الكتب ، ومن شواهد هذا ، أمر التبشير بنبينا محمد ﷺ .

ويعترف المسلمون بوحى من دينهم بثلاثة كتب سماوية نزلت لبنى إسرائيل وهى :

١ — التوراة التى أنزلها الله على (موسى) عليه السلام متضمنة أحكام الشريعة بالتفصيل .

٢ — الإنجيل ، وقد نزل على (عيسى) عليه السلام كما قال تعالى :
« ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل »[2] .

٣ - الزبور ، وقد نزل على (داود) عليه السلام كما قال سبحانه :
« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا »[3] .

---

(١) الانعام ، الآية ٩١
(٢) سورة الحديد ، الآية ٢٧
(٣) الإسراء : ٥٥

وبما أن الإنجيل ليس له وجود الآن ، فإن من يتصدى لإثبات التحريف من المسلمين يكفيه أن يكشف عما فى التوراة والزبور من ذلك ، وغنى عن البيان أن من تجاسروا على التحريف فى كتابين منزلين وإضاعة كتاب ثالث لا يبعد أن يحرفوا كتباً أخرى ، ومع ذلك ـ فإن الباحثين المسلمين لم يكتفوا بإثبات التحريف فى هذين الكتابين ، وإنما تناولوا بالدراسة أسفار العهدين القديم والجديد ، واستطاعوا أن يظفروا بشواهد التحريف فى أســـفار العهدين على السواء .

ولعل أهم من اشتغلوا بإثبات قضية التحريف من هؤلاء الباحثين (ابن حزم) الأندلسى إمام أهل الظاهر فى كتابه (الفصل) والشيخ (رحمت الله الهندى) صاحب كتاب (إظهار الحق) .

ونحاول الآن أن نلقى الضوء على صور التحريف وشواهده فى كل من العهدين القديم والجديد .

(أولا) فى العهد القديم :

يقسم الشيخ (رحمت الله) التحريف اللفظى إلى ثلاثة أقسام :

لأحدها ـ التحريف بالتبديل أى بوضع لفظ مكان لفظ .

والثانى ـ التحريف بالزيادة أى بزيادة لفظ أو عبارة فى بعض النسخ أو فى بعض الترجمات .

والقسم الثالث من أقسام التحريف اللفظي ـ هو التحريف بالنقصان أى بإسقاط لفظ أو أكثر فى بعض الترجمات .

وقد قارن الشيخ بين الأصول الثلاثة للتوراة (العبري والسامري واليوناني)

كما قارن بين التراجمات المختلفة والطبعات المتعددة للعهد القديم مستأنساً بكلام الشراح والمفسرين ، واستطاع أن يظفر بعشرات الشواهد للتحريف بأقسامه الثلاثة ، ولكنى أكتفى هنا بعرض ثلاثة شواهد فقط لكل قسم ، وذلك على سبيل المثال .

القسم الأول :

التحريف بالتبديل :

عرفنا أن التحريف بالتبديل هو وضع لفظ مكان لفظ آخر ، وقد شاع هذا اللون من التحريف فى التوراة وفى سائر أسفار العهد القديم كما سيتبين من الشواهد التالية .

الشاهد الأول : فى الإصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية الآية الرابعة النسخة العبرانية (فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم أوصيكم فى جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييداً) .

وفى النسخة السامرية (فانصبوا الحجارة التى أنا أوصيكم فى جبل جرزيم) وعيبال ، وجرزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الآيتين الثانية عشرة ، والثالثة عشرة من هذا الإصحاح ، ومن الآية التاسعة والعشرين من الإصحاح الحادى عشر من هذا السفر .

فالنسخة العبرانية تفيد — أن (موسى) عليه السلام قد أمر ببناء الهيكل فى جبل (عيبال) ، بينما تفيد النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبـــل (جرزيم) .

وبين اليهود العبرانيين والسامريين نزاع مشهور حول هذه النقطة حيث تدعى كل طائفة أن الآخرين قد حرفوا فى التوراة .

وكذلك — وقع الخلاف بين البروتستانت حول نفس النقطة ، فالمحقق (كنيكات) يدعى صحة السامرية ، والمحققان (بارى) و (درشيور) يدعيان صحة العبرانية .

ويرى (آدم كلارك) استقامة رأى السامريين فإن جبل (جرزيم) ذو عيون وحدائق ونباتات كثيرة ، و (عيبال) جبل يابس لا شىء عليه من هذه الأشياء ، ومن ثم يكون الجبل الاول مناسباً لإسماع البركة ، والثانى اللعن[1] .

الشاهد الثانى : فى الإصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين النسخة العبرانية : (ونظر بئراً فى الحقل وثلاثة قطعان وغنم رابضة عندها لأنّ من تلك البئر كانت تشرب الغنم وكان حجر عظيم على فم البئر فقالوا ما نستطيع حتى تجتمع الماشية) .

فقى الآية الثانية والثامنة وقع لفظ قطعان غنم ولفظ الماشية ، والصحيح لفظ الرعاة كما فى النسخة السامرية واليونانية والترجمة العربية لـ (والتن)[2] .

الشاهد الثالث : أن الزمان من خلق آدم عليه السلام على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦ . وعلى وفق اليونانية — ألفان ومئتان واثنتان وستون سنة ٢٢٦٢ ، وعلى وفق السامرية — ألف وثلاثمائة وسبع سنين ١٣٠٧[3] .

---

(١) إظهار الحق ص ٢٠٩ .
(٢) إظهار الحق ص ٢١٠ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٠٦ .

وقد وقع مثل هذا الخلط فى تقدير الفترة من الطوفان إلى ولادة (إبراهيم) عليه السلام .

القسم الثانى :

التحريف بالزيادة :

أحصى الشيخ (رحمت الله) ستة وعشرين شاهداً للتحريف بالزيادة فى العهد القديم نكتفى منها بالشواهد التالية :

الشاهد الأول : الآية الحادية والثلاثون من الإصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين (وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل) .

ولا بد أن تكون هذه الآية قد كتبت بعد وفاة (موسى عليه السلام بعهد طويل إذ هى تتحدث عن مملكة قائمة لبنى إسرائيل . ومن المعروف تاريخياً — أن أول ملك لبنى إسرائيل هو (شاول) ، وأنه كان بعد (موسى) بثلاث مائة وست وخمسين سنة .

الشاهد الثانى : تقول الآية السابعة من الإصحاح السابع عشر من سفر القضاة (وكان غلام من عشيرة يهوذا وهو لاوى متغرب هناك) ، ولا يعقل أن يكون من يهوذا ويكون فى نفس الوقت لاويا — لأن سبط (يهوذا) غير سبط اللاويين فيظهر أن عبارة (وهو لاوى) عبارة مزيدة .

الشاهد الثالث . فى الآية التاسعة عشرة من الإصحاح السادس من سفر صموائيل الأول : (وأهلك الرب أهل بتشمس لأنهم فتحوا صندوق الرب ورأوه — فأهلك منهم خمسين ألفا وسبعين إنسانا) .

وقد استبعد (آدم كلارك) أن يصل العدد إلى هذا الحد — إذ لا يمكن أن تقسع قرية صغيرة لأكثر من خمسين ألفاً يعملون بالزراعة ، وأن يروا جميعاً الصندوق دفعة واحدة — ولهذا فقد رجح أن يكون لفظ (خمسين ألفاً) مزيداً وهو ما مال إليه (يوسيفوس) الذى حدد عدد الهالكين بسبعين إنساناً فقط [١] .

القسم الثالث :

التحريف بالنقصان :

أورد صاحب (إظهار الحق) خمسة عشر شاهداً للتحريف بالنقصان نختار منها ما يأتى :

الشاهد الأول: الآية الثانية عشرة من الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين :

(وقيل له أعلم علماً أن نسلك سيكون ساكناً فى غير أرضهم ويستعبدونهم ويضيقون عليهم أربعمائة سنة) .

ويدل السياق على أن المقصود بالذين يستعبدونهم ويضيقون عليهم — هم أهل مصر ، وتقول الآية الأربعون من الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج :

(فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل فى أرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة) ، فبين الآيتين اختلاف ، فإما أسقط من الآية الأولى لفظ ثلاثين ، وإما زيد فى الثانية [٢] .

---

(١) إظهار الحق ص ٢٣١ .
(٢) إظهار الحق ص ٢٤٣ .

الشاهد الثانى :

وقع بعد الآية الثالثة من الزبور الرابع عشر من الترجمة اللاتينية هـذه العبارة (حلقومهم قبر مفتوح وهم يغدرون بألسنتهم وسم الثعابين تحت شفاههم وأفواههم مملوءة من اللعن والمرورة وأقدامهم مسرعة لسفك الدم والتهلكة والشقاء فى طريقهم ولم يعرفوا طريق السلامة وخوف الله ليس بموجود أمام أعينهم) ولا توجد هذه العبارة فى النسخة العبرانية[1] .

الشاهد الثالث :

الآية الخامسة من الإصحاح الاربعين من سفر (أشعياء) تقول حسب النسخة العبرانية : (فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم) وفى الترجمة اليونانية هكذا :

(ويظهر جلال الرب ويرى كل بشر معاً نجاة إلهنا لأن فم الرب قاله) فعبارة (نجاة إلهنا) ساقطة فى النسخة العبرانية[2] .

هذه هى أقسام التحريف اللفظى كما وقع فى أسفار العهد القديم ، ويلاحظ أن كلا من هذه الأقسام لا يتضح إلا بالمقارنة بين نسختين مختلفتين ، وأن تسمية نوع التحريف قد تكون من الأمور النسبية ، فقد يسمى التحريف تحريفاً بالزيادة بالنسبة إلى نسخة ما ، ويسمى فى نفس الوقت تحريفاً بالنقصان بالنسبة إلى نسخة أخرى وتكون التسميتان صحيحتين .

على أن أمر التحريف لم يقف عند مجرد وضع لفظ مكان آخر ، ولا عند

---

(١) اظهار الحق ص ٢٤٨ .

عبارة تسقط هنا وتثبت هناك - وذلك فى حد ذاته إثم عظيم ... وإذا نجد أسفارا كاملة تحوم حولها الشكوك والشبهات يعترف بها بنو اسرائيل أحيانا - فيعتبرونها من جملة أسفار العهد القديم، وينكرونها أحيانا فيسقطونها من حسابهم ويستبعدونها من أسفارهم المقدسة .

وقد سبقت الإشارة فى الحديث عن مصادر الفكر اليهودى إلى وقـــوع الخلاف حول عدد أسفار العهد القديم ، وأن الأمر قد استقر على اعتبار تسعة وثلاثين سفرا من مجموع الأسفار التى كانت معروفة آنذاك وهى ستة وأربعون سفـــرا .

ويعطينا الشيخ (رحمت الله) الهندى بعض التفصيل حول موضوع اعتبار الأسفار من العهد القديم أو إسقاطها منه وفقا لقرارات خاصة تصدرها المجامع الدينية ، وأنا هنا - أقدم تلخيصا لما قاله فى الموضوع :

حامت الشكوك حول ثمانية أسفار من العهد القديم هى :

١ - سفر أستير :

٢ - سفر باروخ .

٣ - سفر طوبيا .

٤ - سفر يهوديت .

٥ - سفر وزدم .

٦ - سفر ايكليزياستيكس .

٧ - السفر الأول للمكابيين .

٨ - السفر الثانى للمكابيين .

وفى سنة ٣٢٢ م انعقد مجلس دينى برياسة السلطان (قسطنطين) للتشاور حول هذه الأسفار ، وقد أنتهى المجلس إلى إقرار سفر يهوديت وبقيت الأسفار السبعة الأخرى مشكوكا فيها .

وفى سنة ٣٦٤ أنعقد مجلس دينى آخر سلم بصحة سفر (أستير) .

(وفى سنة ٣٩٧ م أنعقد مجلس ثالث — فأقر صحة الأسفار الباقية غير أنه اعتبر سفر باروخ جزءا من سفر أرمياء — لأن (باروخ) عليه السلام كان بمنزلة نائب لأرمياء .

ولم تزل هذه الأسفار مسلمة — إلى أن حدثت ثورة البروتستانت الذين استبعدوها ثانية من العهد القديم فيما عدا بضعة إصحاحات من سفر (أستير)[١]

بل أن أسفار التوراة نفسها لم يتصـــل سندها إلى (موسى) عليه السلام ولاصح تواترها عنه .

وتؤكد أحداث التاريخ — أن بنى إسرائيل قد أرتدوا ثم آمنوا بعد وفاة (موسى) عدة مرات ، وأنهم تعرضوا لكثير من ألوان القمع والاضطهاد ، وأن أسفار التوراة قد ضاعت فى خضم هذه الأحداث ، ثم أعاد كتابتها لهم (عزرا) فى القرن الأول الميلادى ، أو فى القرن الأول قبل الميلاد .

وبنو إسرائيل يعتبرون (عزرا) من أنبيائهم ، ويقررون أن الله ألهمه هذه الأسفار فكتبها بعد أن كان الجميع قد نسوها ، كما كتب لهم أيضاً سفرى أخبار الأيام الأول والثانى بمساعدة (حجى) و (زكريا) عليه السلام[٢] .

---

(١) اظهار الحق ص ٢٢١ .
(٢) نفس المصدر ص ٨٤ .

وبينما يعتبر الشيخ (رحمت الله الهندى) (عزرا) من أنبياء بنى إسرائيل بل ويقرن اسمه بعبارة (عليه السلام) ـ نجد لابن حزم موقفا آخر يختلف تماما عن هذا الموقف .

فعزرا عنده ليس أكثر من وراق أفاق افق أسفار التوراة تلفيقا وزيف ما فيها من عقائد وشرائع .

يقول (ابن حزم) فى تعليقه على أحد نصوص التوراة :

(واعمرى لو ضل بتصديق هذا المهووس الفاجر واحد واثنان لكان عجبا فكيف أن يضل به عالم عظيم وجيل بعد جيل مذ أزيد من ألف وخمسمائة عام مذ كتب لهم عزرا الوراق هذا السخام الذى أضلهم به ؟)(١) .

وقد ترتبت على تحريف التوراة وغيرها من أسفار العهد القديم أمور كثيرة أهمهـــا :

١ ـ وقوع التعارض والتضارب بين هذه الأسفار ، بل بين إصحاحات السفر الواحد أحيانا فى الحديث عن المسألة الواحدة .

٢ ـ مجافاة الحقيقة الدينية أو الابتعاد عن روح الدين ويبدو هذا واضحا فى الحديث عن الذات الإلهية وعرض أحوال الأنبياء عليهم السلام .

٣ ـ التورط فى الأخطاء العلمية الجسيمة لا سيما إذا تعلق الأمر بالتواريخ والأرقام، ذلك لأن الأسفار تميل غالباً إلى ذكر التفاصيل المملة وتحرص على تحديد تواريخ الأحداث وأماكن وقوعها وتصنيف الأشياء وحصر أعدادها ثم يقع

---

(١) الفصل ، الجزء الأول صـ ١٤٠ .

الخلط والتشويش ومخالفة ما ينتهى إليه العلم من حقائق وما تسفر عنه الكشوف من نتائج الأمر الذى يشكك فى قدامة هذه الأسفار ويؤكد أنها من وضع أناس يمتازون بقلة الورع وسوء الضبط ونقص الدراية .

ونكتفى بعرض ثلاثة شواهد لهذا النوع من الأخطاء .

الشاهد الأول :

يتعلق بتحديد عمر (موسى) عليه السلام — فقد ذكرت التوراة أنه خرج من مصر وهو ابن ثمانين سنة ، ثم كانت فترة التيه التى استمرت أربعين سنة بعد سنة وشهر من مغادرة مصر ، فلما أنتهت فترة التيه ـ استعاد بنو إسرائيل قوتهم بقيادة (موسى) عليه السلام ـ فحاربوا ملوكا وأخذوا أرضا وبسطوا أيديهم على بعض البلاد ، ثم مات (موسى) عليه السلام وهو ابن مائة وعشرين سنة .

ويعلق « ابن حزم » على ذلك ـ فيقول :

« هذا كذب فاحش ، وقد قلنا إن الذى عمل لهم التوراة التى بأيديهم كان قليل العلم بالحساب ثقيل اليد فيه جدا ، أو عياراً ماجنا مستخفا لا دين له سخر منهم بأمثال التيوس والحمير ، لأنه إذا خرج وله ثمانون سنة وبقى بعد خروجه سنة وشهرا ، ثم تاهوا أربعين سنة ، ثم قاتلوا ملوكا عدة وقتلوهم وأخـــذوا بلادهم وأموالهم ، فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيادة على المائة والعشرين سنة أكثر من سنة ولا بد ، والأغلب أنهما سنتان زائدتان فكذب فى سن موسى إذ مات ، أو كذب الوعد الذى أخبر عنه الله تعالى بتيهيهم أربعين سنة ، حاش

لله تعالى أن يكذب أو أن يغلط فى دقيقة أو أقل ، وحاش لنبيه ﷺ من مثل ذلك وصح أنها مولدة موضوعة »[1] .

الشاهد الثانى :

يتعلق بعدد بنى إسرائيل الخارجين مع (موسى)عليه السلام من مصر ، فقد حدد سفر العدد فى أول إصحاحاته عدد القادرين على القتال منهم ممن بلغوا سن العشرين فصاعـــدا بست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين مقاتلا ٦٠٣٥٥٠ ، هذا عدا النساء والأطفال والشيوخ والمرضى ممن لا يستطيعون قتالا ولا يقدرون على حمل السلاح مع ملاحظة أن كل هذه الأعداد الرهيبة هم أحفاد سبعين فقط من بنى إسرائيل دخلوا مصر وأقاموا بها على عهد (يوسف) عليه السلام .

وعلينا أن نفترض بعد ذلك اتساع الأرض المقدسة - وهى بقعة محدودة جداً - لكل هذا الطوفان البشرى إن لم نفترض أضعاف هذه الأعداد تبعا لمعدلات هذا التكاثر المريع .

يقول (ابن حزم) معلقا على ذلك فى سخريته المعهودة :

(فاعجبوا لهـــذا الكذب المفضوح وهذا المحال الممتنع أن تكون المسافة المذكورة تقسم أرضها على عدد يكون أبناء العشرين منهم فصاعدا خاصة أزيدمن ستمائة ألف فأين من دون العشرين ؟ وأين النساء ؟ والكل بزعمهم أخذ سهمه من الأرض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها ، واعلموا أنه لا يمكن ألبتة أن تكون فالمساحة المذكورة على أن تكون مساحة كل قرية ميلافى ميل مزارعها ومشاجرها

---

(١) الفصل ، الجزء الأول ص ١٤٥ .

إلا ستة الاف قرية ومئتا قرية ، هذا على أن يكون جميع العمل المذكور عمرانا متصلا لا مرج فيه ولا شجر ولا أرض مهجرة لا تعمر ولا أرض مرملة كذلك ولا سبخة ملح كذلك ، وهذا محال أن يكون .

فعلى هذا يكون يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مائة رجل أو نحو ذلك سوى من هو دون العشرين بينهم ، وسوى النساء ، ولاسبيل ألبتة على هذا أن يدركوا فيها المعاش ، وهذا كذب لا خفاء به ، أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح فى قول الله تعالى حاكيا عن فرعون أنه قال إذ تبع بنى إسرائيل « إن هؤلاء لشرذمة قليلون »)(١) .

الشاهد الثالث :

يتعلق بعمر الإنسان على الأرض .

فقد تحدث سفر التكوين عن خلق الإنسان وتسلسل أعمار الأشخاص من آدم إلى ابراهيم عليهما السلام .

وقد استنبط مفسروا التوراة بالرجوع إلى نسخها الثلاث — أن أقصى مايمكن أن يقال فى تقدير عمر الإنسان من آدم إلى ميلاد المسيح — هو ٥٥٨٩ سنة .

وقد أثبت علماء الآثار منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ـ أن الآثار المصريات ترجع إلى ماقبل ذلك بكثير ، وظل الصراع قائماً بين هؤلاء العلماء وبين رجال الكنيسة الذين يؤكدون صدق التوراة إلى حوالى سنة ١٨٨٠ حيث

---

(١) الفصل ، الجزء الاول ص ١٢٢ .

اضطر رجال الكنيسة إلى تأويل نصوص التوراة بحيث لاتتعارض مع نتائج الكشوف الأثرية المتلاحقة .

وفى السنوات الأخيرة - تبين للعالم من خلال الدراسات العلمية الجادة وعمليات الحفر والتنقيب والتحليل والمقارنة أن عمر الإنسان على الأرض إنما يقاس بمئات الألوف من السنين وربما أكثر على خلاف ما كان يؤكده شراح التوراة ورجال الكهنوت .

ولا يمكن أن تعزى هذه الأخطاء إلى الكتاب الذى نزل على (موسى) عليه السلام من السماء ، بل لابد أن تكون هذه الأخطاء دليلا قويا على مالحق بالتوراة من تزييف الكهنة وتحريف الرواة .

وقس على ذلك بقية أسفار العهد القديم على فرض صحة إسنادها إلى السماء أو نسبتها إلى الأنبياء .

وننتقل الآن إلى الحديث عن التحريف فى العهد الجديد .

ثانيـــاً :

فى العهد الجديد :

وقع التحريف فى العهد الجديد ، وذلك بأقسامه الثلاثة التى مر بيانها فى العهد القديم .

وقد ساق الشيخ (رحمت الله الهندى) شواهد هذه الأقسام على نحو ماصنع فى إثباته التحريف فى العهد العتيق كما يفضل هو أن يطلق عليه .

بيد أننا نلاحظ - أن الشواهد هذه المرة قليلة جدا بالقياس إلى الشواهد التى تصيدها الشيخ من أسفار العهد القديم .

وربما كان منشأ ذلك - هو كثرة أسفار هذا العهد وتنوعها ، وانطواء الأسفار الخمسة الأولى منها على كثير من العقائد والشرائع والتعاليم الاخلاقية .

ولا ننسى أيضا طول الفترة الزمنية التى تغطيها هذه الأسفار وما جد فيها لبنى إسرائيل من التحولات الهائلة ووقع لأجيالهم خلالها من الأحداث الجسام ، كل هذا جعل المجال أكثر مناسبة لمحاولات التزييف والتحريف .

ونختار الآن الشواهد الخاصة بأقسام التحريف اللفظى فى العهد الجديد على نحو مافعلنا من قبل .

القسم الأول :

التحريف بالتبديل :

الشاهد الأول :

فى الآية الثامنة والعشرين من الإصحاح العشرين من سفر أعمال الرسل .

(لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه) ، ولفظ (الله) غلط ، والصحيح لفظ (الرب) .

الشاهد الثانى :

فى الآية الثالثة عشرة من سفر الرؤيا . (ثم نظرت وسمعت ملكا طائراً) ، ولفظ (الملك (غلط ، والصحيح لفظ العقاب .

الشاهد الثالث :

في الآية الحادية والعشرين من الإصحاح الخامس من رسالة بولس إلى أهل

أفسوس . (وليخضع بعض لبعض لخوف الله) ، ولفظ (الله) غلط والصحيح لفظ (المسيح)[١] .

القسم الثانى :

التحريف بالزيادة :

الشاهد الأول :

الآية الثالثة من الإصحاح الرابع عشر من إنجيل متى تقول .

(فإن هيرودوس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه) .

وتشير إلى هذه الواقعة بنفس الأسماء المذكورة كل من الآية السابعة عشرة من الإصحاح السادس من إنجيل مرقس والآية التاسعة عشرة من الإصحاح الثالث من إنجيل لوقا ، ولفظ (فيلبس) غلط يقينا فى الأناجيل الثلاثة إذ لم يثبت فى كتاب من كتب التاريخ أن اسم زوج (هيروديا) كان (فيلبس) ، بل ذكر أن إسمه كان (هيرودس أيضا) ، وقد اعترف (هورن) بخطأ الأناجيل الثلاثة فى ذلك ولكنه عزا هذا الخطأ إلى الكاتبين[٢] .

الشاهد الثانى :

تقول الآية التاسعة من الإصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى . (وحينئذ كمل قول النبى أرمياء حيث قال فقبضوا الدراهم الثلاثين ثمن المثمن الذى ثمنه بنو

---

(١) اظهار الحق ، ص ٢٢٠ .
(٢) اظهار الحق ، ص ٢٢٣ .

إسرائيل) . ولفظ أرمياء مزيد فى هذه الآية إذ لم يرد هذا القول ولا مضمونه فى سفر (أرمياء)[1] .

الشاهد الثالث :

ورد فى الآيتين السابعة والثامنة من الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى . (فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد) ، والآية الأولى من هاتين الآيتين مزيدة أضافها القائلون بالتثليث إلى الإصحاح كما نقل ذلك رحمت الله الهندى عن محقق المسيحية[2]

القسم الثالث :

التحريف بالنقصان :

ساق الشيخ رحمت الله الهندى خمسة شواهد فقط على التحريف بالنقصان .

بل إن المرء ليحس فى بعض هذه الشواهد قلقا وتكلفاً يكشفان عن صعوبة فى تصيد هذه الشواهد .

وأعرض هنا أقوى ماقدمه من شواهد .

الشاهد الأول :

جاء فى الآية السابعة من الإصحاح السادس عشر من سفر أعمال الرسل . (فلم يأذن لهم الروح) ، وقد نقل عن (كريسباخ) و (شولز) .

---

(١) اظهار الحق ص ٢٢٣ .

(٢) إظهار الحق ص ٢٣٥ .

أنهما ذكرا أن الصحيح هو . (فلم يأذن لهم روح يسوع) ، فعلى إقرارهما سقط لفظ يسوع[1].

الشاهد الثانى :

يؤكد الشيخ (رحمت الله) أن (متى) كتب إنجيله الخاص باللغة العبرانية ، بخلاف الأناجيل الأخرى فقد كتبها أصحابها بادىء ذى بدء باللغة اليونانية ، وينقل عن دائرة المعارف البريطانية ما يقوى هذا الرأى .

وبما أن النص العبرانى ليس له وجود - فلابد أن يكون النصارى قد حرفوه أولا ، ثم أسقطوه من الأناجيل ليحلوا محله ترجمة مشوهة لا تمت إلى الأصل بسبب قريب[2] .

هذه هى أنواع التحريف اللفظى فى أسفار العهد الجديد كما عرضها الشيخ (رحمت الله) - ولعل أهمها وأخطرها - أن يوجد سفر كامل ينسب إلى (متى) ثم يكشف التحقيق العلمى الذى يقوم به علماء المسيحية عن زيف هذه النسبة .

ولا يقتصر الأمر على إنجيل (متى) ، فإن إنجيل (يوحنا) أيضا لم تثبت نسبته إلى صاحبه بشكل مقنع لقد شهد القرن الثانى الميلادى موجة عاتية من الإنكار تنفى أن يكون (يوحنا) هو الذى كتب الإنجيل المنسوب إليه فلم يتصد أحد للرد على ذلك - حتى (رونوس) الذى كان يعلم عن (يوحنا) كثيرا من التفاصيل الدقيقة عن طريق أستاذه (بولو كارب) أخلص تلاميذ (يوحنا) لم يتصد هو أيضا للرد على المنكرين بإثبات صحة نسبة الإنجيل المذكور إلى

---

(١) إظهار الحق ، ص ٢٤٩ .

(١) المصدر السابق ص ٢٥٠ .

صاحبه ، بل إن هذا الإنجيل نفسه لينطوى على مايدعم الشك في صحة نسبته ، وإلى ذلك يشير (رحمت الله) الهندى إذ يقول :

(إن الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح الحادى والعشرين من هذا الإنجيل هكذا : « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ويعلم أن شهادته حق » فقال كاتبه فى حق يوحنا هذه الآية « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وشهادته بضمير الغائب » وقال فى حقه « نعلم » على المتكلم ، فعلم أن كاتبه غير (يوحنا) والظاهر أن هذا الغير وجد شيئا من مكتوبات (يوحنا) فنقل عنه الزيادة والنقصان والله أعلم)[1] .

فاثنان من الأناجيل الأربعة إذن توجه إليهما الشك أو الإنكار ، والإنجيلان الآخران كغيرهما من الأسفار والرسائل المسيحية وقع فيهما التحريف اللفظى بصوره المختلفة على نحو ما مر بيانه .

وقد نشأت عن هذا التحريف اللفظى أمور خطيرة أهمها .

١ ـ وقوع التضارب بين أسفار العهد الجديد فى الحديث عن الواقعة الواحدة بشكل يشكك فى قيمة هذه الأسفار كأساس للمعرفة الصحيحة .

ومن أبرز الشواهد التى قدمها (ابن حزم) لهذا النوع من التضارب نختار هذين الشاهدين .

الشاهد الأول :

عرضت الأناجيل للحديث عن احدى معجزات المسيح عليه السلام حيث دعاه أحد الأشراف لإحياء ابنته ، فبينما يذكر إنجيل (متى) أن البنت كانت قد ماتت إذ بإنجيل (لوقا) وإنجيل (مرقص) يذكران أنها كانت مريضة[2] .

---

(١) إظهار الحق ص ٩٩ .

(٢) الفصل ، الجزء الثانى ص ٢٦ .

الشاهد الثانى :

أشارت أناجيل (متى) ، (ومرقص) ، (ولوقا) إلى تنبؤ المسيح عليه السلام بنهايته فذكرت أنه أعلم تلاميذه بأنه سيقتل ويصلب ويدفن ويقوم فى اليوم الثالث ولكن الأناجيل الأربعة حين عرضت للحديث عن تلك النهاية ذكرت أنه قام من قبره فى الليلة الثانية ، فإنه دفن مع دخول ليلة السبت ، وقام ليلة الأحد قبل الفجر[1].

٢ - نشأة الأخطاء المتعلقة بتصور حقيقة المسيح، وهذه الأخطاء تعد سمات أساسية للتحول المتطرف الذى قام به (بولس) فى المسيحية .

يقول الدكتور (محمد أبو الغيط الفرت) مشيراً إلى طبيعة هذا التحول المتطرف :

(على أنه ليس من جزاف القول إذا قلنا إن المسيح فى نظر حوارييه ابن الإنسان وموته عندهم ليس بالتضحية التكفيرية ولم يتفقوا على وصفه بابن الله بل هو عندهم خادم الله وعبد الله .

أما عند بولس فكان المسيح ابن الله الذى مات من أجل خطايا البشر ، وقد طور بولس هذه العقيدة ونماها إلى المفاهيم التى تقوم عليها اليوم)[2].

أما عن منشأ التحريف الواقع فى أسفار العهد الجديد فإن الشيخ (رحمت الله) الهندى يعزوه إلى عدم تواتر هذه الأسفار أو إلى عدم اتصال سندها بحيث ينتهى إلى أصحابها الحقيقيين ، فالتحريف إذن من نساخ الأناجيل وليس من واضعيها .

---

(١) الفصل ، الجزء الثانى ص ٤٨ .

(٢) بولس والمسيحية ، ص ٣٩ .

أما (ابن حزم) - فيربط التحريف بأشخاص واضعى الأناجيل أنفسهم ، فهم فى رأيه ليسوا من الحواريين الذين يوثق بكلامهم ويطمأن إلى نقلهم ، وإنما هم أربعة من الفساق الأنذال الكذابين الكفار لا يتحرون الصدق فيما حدثوا به وما كتبوه [1] .

ومهما يكن من شىء - فقد وقع التحريف فى أسفار العهد الجديد كما وقع فى أسفار العهد القديم .

ونجح المحققون من المسلمين فى إثبات القضية بشواهد من أسفار العهدين ، وأقر بها المحققون من اليهود والنصارى على السواء .

---

(١) أنظر على سبيل المثال صفحات ٣٦ ، ٤٩ ، ٦٠ ، ٦٧ من الجزء الثانى من كتاب الفصل .

المبحث الثالث

مجالات للمقارنة

يذكر القارىء الكريم ولا شك أننى كنت أغتنم الفرص المتاحة فى التعقيب على الموضوعات لهذه المقارنات السريعة بين الإسلام من جهة ، وكل من اليهودية والمسيحية من جهة أخرى،ولكنى أريد فى هذا المبحث أن أركز على المقارنات بشكل أكثر وفاء كيما تتضح ملامح الصورة التى أود تقديمها لهذا الموضوع الدقيـــق .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : كيف تعقد المقارنة بين دين موثوق بحقيته كالإسلام ، وآخر ثبت تحريفه كاليهودية أو المسيحية على نحو ماتبين فى المبحث السابق ؟

والجواب - أن هذا النوع من المقارنات يؤكد ثقة المسلم فى دينه منمقومات الأفضلية والامتياز .

أما بالنسبة إلى غير المسلم من أبناء الدينين الآخرين - فهو طريق إلزامى له أهميته البالغة فى إثبات تفوق الإسلام على هذين الدينين واستئثاره من دونهما بعناصر الصلاحية .

فعقد المقارنات بين الأديان الثلاثة إذن لا يقـــل أهمية فى إثبات حقية الإسلام عن طريقين آخرين عرضت لهما فى المبحثين السابقين هما .

تبشير الكتب السماوية السابقة بنبى الإسلام .

وإثبات وقوع التحريف فى هذه الكتب أو الأسفار .

ويلوح سؤال آخر يمكن أن يعرض على النحو التالى .

مادامت أسفار العهدين القديم والجديد محرفة فكيف نستدل بنصوص منها على التبشير بمحمد ﷺ ؟

ماقيمة أى خبر يقدمه لنا نص نعرف يقيناً أنه محرف ؟

والواقع - أن هناك أكثر من جواب عن هذا السؤال الهام - إذ يمكن أن يقال :

أننا لا نقول بتحريف أسفار العهدين تحريفاً كلياً بمعنى تحريف كل فقرة وكل عبارة فى هذه الأسفار ، وإنما نقول بالتحريف الجزئى على نحو ما مر بيانه بالتفصيل فى المبحث السابق ، وعلى هذا تكون فى أسفار العهدين نصوص كثيرة لم تمسسها يد التحريف ؛ ومن ثم يجوز الاستدلال بها أو التعويل عليها .

وهناك طريق آخر فى الجواب - إذ يمكن أن يقال أيضاً .

أن السفر المحرف كشاهد الزور ، لا تقبل شهادته لمن يبادلونه الود وتقبل شهادته عليهم على أساس مودتهم له وثقتهم به . وهم حينئذ بين موقفين :

فأما أن يلتزموا بشهادته .

وأما أن يطرحوا ثقتهم به ويقولوا مع القائلين بتزويره .

ومعنى ذلك - أن الأسفار المقدسة حين يثبت تبشيرها بمحمد ﷺ . فإن على الذين يقدسون هذه الأسفار أن يؤمنوا بنبوته تمشيا مع مقتضيات

القداسة ، أو أن ينصرفوا عن تقديسها ويعترفوا بتحريفها حتى لا يلزمهم ما فيها من دلائل التبشير .

على أننا - نحن المسلمين - لسنا بحاجة إلى بشارات هذه الأسفار لنؤسس إيماننا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وإن كانت هذه البشارات تزيدنا إيمانا به وتسليما له .

ونعود إلى موضوع المقارنة بين الأديان الثلاثة فنذكر :

أن مقاييس المفاضلة بين الأديان مختلفة وأسس التمييز بينها متفاوتة تبعاً لاختلاف المشارب وتفاوت الأذواق .

فالعقليون يفاضلون بينها على أساس ما فيها من حقائق ، فأكثر الأديان اشتمالا على الحقائق هو أكثرها حظا من الفضل .

والعلماء يفاضلون بينها على أساس ما فيها من المعارف العلمية .

والصوفية يقيسون فضل الدين بما فيه من المواجد الروحية .

وأحدث مقياس فى هذا الشأن - ما يحتكم إليه البراجماتيون فى المقارنة ، فقد فسروا الحق بـ (النافع ، والعملى) ، وعلى هذا - يكون أفضل الأديان هو أكثرها نفعاً للناس وحثاً على العمل .

بيد أن هذا الاتجاه البراجماتى ليس جديداً تماماً ، فإننا نجد له جذورا عميقة فى فلسفة الفيلسوف الأندلسى (ابن رشد) .

لقد حدد (أبو الوليد بن رشد) وظيفة الدين الأساسية وهى عنده حث الناس على الأعمال الصالحة والأخـــلاق الفاضلة التى تحقق لهم السعادة فى الدارين .

وعلى ذلك ـ فأفضل الأديان هو ماكان بنصوصه وطقوسه أكثر نهوضاً بهذه الوظيفة الجوهرية الخالدة .

فليس عجيباً إذن أن يكون الدين الإسلامى هو أفضل الأديان جميعاً ، لأنه بفضل مافيه من رموز وتمثيلات يعتبر بحق أقوى دفعاً إلى العمل ، وأشد تأثيراً فى القلوب .

فالصلاة فى الشريعة الإسلامية مثلا ـ هى أتم وأكمل من سائر الصلوات فى سائر الشرائع ، وذلك لما شرط فى عددها وأوقاتها وأذكارها ووجوب الطهارة لها مما يتيح لها حقا أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر وتقوده إلى سبيل الخير والفضيلة .

ويمكن أن ينطبق هذا الكلام على كل مافى الإسلام من وظائف وشعائر إذا قورن بينها وبين نظائرها فى الديانات الأخرى[1] .

وأنا أرى ـ أن الباحث يمكنه أن يستخدم فى المقارنة كل المقاييس التى من شأنها إظهار امتياز دين على آخر دون أن يقف عند مقياس بعينه ، وهـــذا ما سأحاول عمله فى المقارنة بين الإسلام وكل من اليهودية والمسيحية

وستكون المقارنة بشكل عام فى ثلاثة مجالات أساسية هى :

١ ـــ مجال العقيدة .

٢ ـــ مجال الشريعة .

٣ ـــ مجال الأخلاق .

بيد أننى أستميح القارىء العزيز عذرا عن عدم استقصاء القضايا التى يمكن أن تكون موضوعا للمقارنة ، بل وعن عدم الدخول فى تفاصيل كل قضية من القضايا

---

(١) راجع فكرة ابن رشد فى كتابه (تهافت التهافت) ، ص ٨٦٩ ، ٨٧٠

المعروضة - فذلك فيما أظن يحتاج إلى كتاب كامل ، فلأكتف من ذلك كله بتقديم الصورة التي تغني القارىء في هذا الموضوع .

وتيسيراً للدراسة - فسأعرض لمقارنة الإسلام بكل من الدينين الآخرين على حدة ، وذلك في المجالات الثلاثة المذكورة ، ويقتضي ذلك أن تنعقد المقارنة في مقامين :

الأول - بين الإسلام واليهودية .

والآخر - بين الإسلام والمسيحية .

ويستطيع القارىء متى شاء أن يراجع القضايا موضوع المقارنة في مواضعها الأصلية من هذا الكتاب .

(أولا) الإسلام واليهودية

١ - فى مجال العقيدة :

تدور العقائد الدينية حول ثلاثة محاور أساسية هى :

(أ) الألوهية .

(ب) النبوات .

(ج) المعاد .

وهناك عقائد أخرى أقل أهمية من هذه العقائد الثلاث ، ومن ثم - يسوغ لنا أن نكتفى بعقد المقارنة فيها بين هذين الدينين .

١ - الألوهية : بين التشبيه والتنزيه :

لقد رسمت التوراة لـ (ياهو) إله اليهود صورة هزلية مضحكة .

واللون السائد بين ألوان هذه الصورة - هو تشبيهه بالبشر فيما يعرض لهم من تقلبات النفس ونقائصها وآفات الجسد وشواغله .

صحيح أنه تفرد بخلق العالم كله فى ستة أيام ، لكنه ما إن فرغ من ذلك حتى أدركه الإعياء الشديد الذى اضطره إلى أخذ اليوم السابع إجازة عارضة من مهام منصبه وشئون وظيفته .

وصحيح أنه قوى غالبا ، ولكنه مفتون بقوته إلى حد الإسراف فى القسوة فهو يصب جام غضبه على المدن العامرة فيدمرها تدميرا ، ويأخذ الأبرياء من الأجيال المتعاقبة بذنوب الآباء والأجداد فيلعنهم لعنا .

تخذله أحيانا قوة الجسم ـ فينهزم أمام خصومه ، وتخطئه أحيانا حكمة الرأى فيتطرف فى إصـــدار حكمه فإذا نبه إلى خطئه رجع فى حكمه وعدل عن قراره .

والغريب ـ أنه قد تخفى عليه ذنوب عباده ـ فإذا صارحوه بها أرغى وأزبد وتوعد بأشد العقاب .

وننتقل الآن إلى الصورة التى تستشرف آفاقها نفس المسلم فى جلال مهيب ـ إنه الله جل عن الند ، وتنزه سبحانه عن الشبيه .

ليدرك الحس ما شـــاء من الصور ، ليستوح العقل ما استطاع من المثل ، ليضرب الخيال ما شاء فى شعاب الكون ، أو ليطر بأجنحته فى آفاق الوهم ـ فهيهات أن يكون بين جميع المدركات ما يدنو منه سبحانه فى كماله الأزلى ـ (كل ما خطر ببالك ـ فالله بخلاف ذلك) .

هذا ما تقتضيه طبيعة الفرق بين المحدود الهالك ، واللا محدود الأبدى .

(ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)[1] .

بقدرته الكاملة وإرادته الشاملة ـ خلق الكون كله بأرضه وسمائه ، ببره ومائه ، بأشيائه وأحيائه ـ فما مسه شىء من نصب ولا ناله حظ من فتور (ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا لغوب)[2] .

بل إن الكون الكبير أمام قدرته الشامخة لأيسر من ورقة صغيرة يقبضها

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١

(٢) سورة ق ، الآية ٣٨

أحدنا بشماله أو يطويها بيمينه (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه)[١] .

رحيم فى قوته فلا يشوب قوته شىء من قسوة ، قوى فى رحمته فلا يمازج رحمته شىء من ضعف ، منتقم إذا شاء ، ولكن غلب رضاه غضبه وسبقت رحمته عذابه فهو يعفو بفضله ، أو يقتص بعدله (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب [٢] .

(إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم)[٣] .

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)[٤] .

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليـــه المصير)[٥] .

لا يفوته شىء من أمور خلقه وأحوال عباده ولا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء) (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[٦] .

(يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج عنها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير)[٧] .

---

(١) سورة الزمر ، ٦٨
(٢) سورة الرعد ، الآية ٦
(٣) فصلت ، الآية ٤٣
(٤) الزمر الآية ، ٥٣
(٥) غافر ، الآية ٣
(٦) الملك ، الآية ١٤
(٧) الحديد ، الآيه ٦

(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين)[١] .

هذا هو الله فى قرآنه - كمال لا يدركه الواصفون .

وذلك هو ياهو فى توراتهم على نحو ما تصوره المحرفون .

فما أعظم بين الكتابين . وما أبعد البون بين الصورتين !.

(فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون)[٢] .

(ب) النبوات ، بين الخطيئة والعصمة :

لا تزال تزكم الأنوف تلك الرائحة الكريهة التى تشيع فى كلمات العهد القديم وهو يقص علينا أقوال الأنبياء ويعرض وقائع سيرتهم وأخبار حياتهم وإنها لرائحة تبعث على التقزز والغثيان ، فلنعف أنفسنا من إعادة هذا السخف المنتن ، ولنلتمس الصورة الرائعة فى كتاب الإسلام الخالد

الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه هم سفراء الله إلى خلقه وصفوته من عباده (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس)[٣] .

إنهم قمم الكمال البشرى ، ومصابيح الهداية الدينية ، ومواضع القدوة لمن شاء أن يستقيم (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا

---

(١) الأنعام ، ٥٩
(٢) يونس ، ٣٢
(٣) الحج ، ٧٥

مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هـــدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا)(١) .

(أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٢) .

لقد طهر الله ساحتهم عن الرجس ونزههم عن الخطيئة وعصمهم من كبائر الذنوب ، فإن نسب إلى بعضهم شيئا من ذلك - فهى الهفوة الهينة تذكر لغيرهم وتعظم فى حقهم من باب (حسنات الأبرار سيئات للقربين) .

ويعرض القرآن الكريم للحديث عن الأنبياء الذين نسبت إليهم أسفار العهد القديم كبائر الإثم - فاذا نجد ؟

هذا هو إبراهيم عليه السلام وقد صوره سفر التكوين متاجرا بالشرف متهاونا فى الفضيلة يصوره القرآن مستهينا بكل صعب مضحيا بكل عزيز فى سبيل كلمة الحق .

فالحق أعز عليه من أبيه ، لذلك فهو يواجهه (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا)(٣) .

والحق أعز عليه من ولده ، لذلك فهو يواجهه (يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ما ذا ترى)(٤) .

والحق أعز عليه من أهله ، فهو يسكنهم فى غير مسكن امتثالا لأمر الحق الذى

(١) سورة مريم ، ٥٨
(٢) سورة الأنعام ٨٩ ، ٩٠
(٣) سورة مريم ، ٤٢
(٤) سورة الصافات ، ١٠٢

يضرع إليه فيهم (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من النـــاس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)[١] .

بل إن الحق لأعز عليه من نفسه ـ فهو يعرضها لأشد ألوان الأذى والتعذيب مبتدرا قومه بالتوبيخ الساخر : (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)[٢] .

هذا هو إبراهيم فى قوة إيمانه وصفاء قلبه ونقاء ضميره

هذا هو إبراهيم فى ولائه للحق واستمساكه بالعقيـــدة واستقامته على الطريق .

ابتلاه الله فصبر ، وأنعم عليه فشكر ، فاستحق أن يكون الناس إماما وارب الناس خليلا : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما)[٣] .

(واتخذ الله إبراهيم خليلا)[٤] .

(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين)[٥] .

---

(١) إبراهيم ، ٣٧

(٢) الأنبياء ، ٦٧ ، ٦٨

(٣) البقرة ، ١٢٤

(٤) النساء ، ١٢٥

(٥) النحل ، ١٢٠ : ١٢٢

وموسى عليه السلام الذى زعمت الأسفار المقدمة أنه قتل أخاه (هارون) غيرة منه وحقدا عليه ـ لم يحدث قط أن خمد فى نفسه الإحساس برابطة الأخوة ولا سكنت فى أعماقه عاطفتها السامية ، كيف وقد عبر عن هذه العاطفة النبيلة أصدق تعبير على الرغم من عى كلماته وضعف بيانه وذلك حين انتشى بأول فترات الوحى الإلهى وكلف بدعوة فرعون وقومه إلى الإيمان :

(وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون)[١] .

(قال رب اشرح لى صدرى ۝ ويسر لى أمرى ۝ واحلل عقدة من لسانى ۝ يفقهوا قولى ۝ واجعل لى وزيرا من أهلى ۝ هارون أخى ۝ اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ۝ كى نسبحك كثيرا ۝ ونذكرك كثيرا ۝ إنك كنت بنا بصيرا)[٢] .

إن ما يروجه اليهود عن (موسى) عليه من قتله لأخيه ، أو حقده عليه إن هو إلا إتهام زائف ليس له أساس إلا فى أسفارهم الباطلة وليس له وجود إلا فى خيالهم السقيم ، ولهذا ـ يبرىء الله ساحة نبيه ويحذر المسلمين من مثل هذا الضلال الفاحش وهذا التطاول السفيه :

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)[٣] .

ونذكر ـ أن (هارون) نفسه لم يبرأ من افتراء التوراة عليه ، فقد اتهمته بصنع العجل والاشتراك فى عبادته مع المارقين .

---

(١) القصص ، ٣٤ ،

(٢) طه ، ٣٢ : ٣٥

(٣) راجع تفسير الآية فى الجزء الثاني من تفسير الكشاف ، ص ٥٥١

والقرآن الكريم ينسب الجريمة إلى صاحبها الحقيقي ويضع الاتهام فى مكانه المناسب .

فإن من صنع العجل واشترك فى تأليهه — هو (هارون السامرى) وليس (هارون) النبى .

وهذا هو الحوار الذى دار بين (موسى) عليه السلام وبين السامرى بهذا الشأن كما نقله عنهما القرآن :

(قال فما خطبك يا سامرى ● قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى ● قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا)[١] .

فصانع العجل إذن مشرك مسرف على نفسه وعلى قومه خسر دنياه وآخرته ذلك هو الخسران المبين)[٢] .

ولا يمكن أن يكون ذلك هو عاقبة نبى كريم كـ (هارون) فقد ذكره الله سبحانه ضمن قائمة مباركة من الأنبياء أتبعها بقوله سبحانه :

(ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) إلى أن يقول : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)[٣] .

وهذا هو (داود) عليه السلام صوره سفر صموائيل ملكا عربيدا لا يقف

---

(١) طه ، ٩٥ ، ٩٧

(٢) الجزء الثانى من الكشاف ، ٢١٢

(٣) الأنعام ، الآيات ٨٣ : ٩٠

تعلقه بالنساء عند حد فهو فى سبيل إشباع شهواته النهمة يستحل الزنى والكذب والتآمر ضد حياة زوج برىء . فكيف صوره القرآن ؟

يطالعنا القرآن بهذه الصورة المشرقة عن (داود) بأنه نبى كريم وملك حكيم يذكر الله فتردد الطير ذكره ، ويسبحه فتردد الجبال تسبيحه وهو فى كل أحواله لا ينسى عبوديته لله عز وجل ، يقول سبحانه فى ذلك :

(اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ه إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ه والطير محشورة كل له أواب ه وشددنا وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)[١] .

و (سليمان) عليه السلام لم يكن كما صورته أسفار العهد القديم غرا متكاسلا ضعيف العقيدة حتى تفتنه زينة الملك عن الذهاب إلى الهيكل أو يحمله حبه لأزواجه المشركات على التقرب إلى آلهتهن - حاشا لو أحد من أنبياء الله أن يكون كذلك ولو لحظة يسيرة من حياته .

فقد عهدناه من خلال تصوير القرآن له نبيا حكيما كأبيه لا تشغله النعمة عن شكر المنعم ، ولا يصرفه الخلق عن ذكر الخالق :

(ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ه وورث سليمان داود وقال يا أيها النـــاس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين)[٢] .

وحين رأى (سليمان) ملكة سبأ تسعى اليه يسبقها عرشها العظيم .

---

(١) سورة ص ١٧ : ٢٠

(٢) سورة النمل ، ١٥ ، ١٦

لم ينسه ذلك كله واجب الشكر للمنعم الكريم ، فهو يقول :

(هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم)[1]

بل لقد نفى القرآن تهمة الكفر عن نبيه الحكيم صراحة ليقطع ألسنة السفهاء ويكشف زيف المحرفين .

يقول سبحانه : (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان)[2] .

وتشير آيات من سورة سبأ إلى أن (سليمان) عليه السلام ظل على شكره لربه حتى وافاه أجله المحتوم .

لقد سخر الله له الجن يعملون له ما يشاء إعجازه . وكان (سليمان) كسائر آل داود الذين يعبرون عن شكرهم لله بالعمل كما يعبرون عنه بالقول والعبادة .

وقد ظل (سليمان) إلى النهاية مستخدما الجن فى الأعمال المختلفة شكرا لله ولم تتبين الجن موته حتى أكلت الأرضة عصاه التى كان يتكىء عليها فخر على الأرض وفى ذلك كله يقول سبحانه :

(يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ، فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين)[3] .

---

(١) النمل ٤٠

(٢) البقرة ، ١٠٢

(٣) سورة سبأ ، الآيتان ١٣ ، ١٤ ، راجع تفسيرهما أيضا في الكشاف ، الجزء الثانى . ص ٥٥٦ ، ٥٠٧

فلو صح ما نسبه إليه العهد القديم من تنكر أواخر حياته ما بقى متمتعا بنعمة تسخير الجن إلى آخر هذه الحياة بل لما اعتبر من فريق الشاكرين إذ الأليق به حينئذ أن يكون من الخاسرين على حد قوله تعالى لخاتم رسله :

(لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(١) .

(سليمان) عليه السلام إذن عاش مؤمنا ومات مؤمنا وكان بين ذلك خالص العبودية لله كثير الأوب إليه ، وصدق الله العظيم إذ ينوه به فى قرآنه قائلا :

(ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب)(٢) .

واكتفى بالنماذج المتقدمة لبيان الفرق بين حديث القرآن الكريم عن الأنبياء عليهم السلام ، وحديث العهد القديم عنهم .

والخلاصة - أن أنبياء بنى إسرائيل قد نالوا من تكريم القرآن أكثر ألف مرة مما نالوه من تكريم العهد القديم ، ناهيك بغيرهم من الأنبياء .

ويبدو - أن بنى إسرائيل قد خلعوا على الأنبياء من ذوات أنفسهم فهبطوا بهم إلى مستوى الخطيئة .

أما القرآن - فقد عرض الحقيقة الخالصة التى تعكس واقع هؤلاء الأنبياء من جهة ، وتتفق مع منطق الأشياء من جهة أخرى ، إذ ما دام الله قد اصطفاهم ليكونوا سفراءه إلى الناس - فينبغى أن يمتازوا عن سائر الناس بالعصمة .

(ج) المعاد بين العبث والحكمة :

عرفنا - أن التوراة وما تلاها من أسفار العهد القديم قد خلت من أى إشارة

---

(١) الزمر ، ٦٥

(٢) سورة ص ، الآية ٣٠

إلى حياة بعد الموت، وأن سفر (دنيال) - وهو من الأسفار المتأخرة - هو الذى تضمن لأول مرة هذه الإشارة ، وأن هذا التحول مرتبط بالظروف الإجتماعية لبنى إسرائيل .

أما فيما قبل هذا السفر - فقد كانوا - ولمدة قرون طويلة - يعتقدون أن جزاء العمل رهن بهذه الحياة الدنيا سواء كان العمل خيراً أو شراً .

ولكن ليست هناك أى ضرورة تحتم أن ينال المرء فى هـــذه الحياة جزاءه المناسب عن عمله ، بل إن الواقع المشاهد ليؤكد أن كثيرا من الناس يفعلون الخير ولا يجدون فى دنياهم إلا شقاء موصولا وهما مقيما ، بينما يعيش آخرون متمين سعداء على الرغم من ممارستهم للشرور ومقارفتهم الآثام . فلو كان الموت هو خاتمة الرواية ولا شىء بعده - لكانت الحياة فى جملتها عبثا لا يحتمل وجحيما لا يطاق .

ومن ثم تبرز ميزة الإسلام الذى يرفع الستار عن فصول أخرى بعد الموت يستوفى فيها الناس أجزيتهم عما قدموه فى حياتهم الأولى ، وبهذا تتحقق المفاضلة بين الأخيار والأشرار ، وتتضح التفرقة بين الصالحين والطالحين .

وهكذا تصبح الحياة ذات قيمة أكيدة ، ويتسق الأمر كله مع الحكمة الإلهية اتساقا تاما :

(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون)[١] .

(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل

---

(١) الجاثية ، ٢١

الذين كفروا من النـــار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار)(١) .

(أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون)(٢) .

فالحياة الدنيا كما تعرضها التوراة والأسفار المتقدمة من العهد القديم صراع لا طائل تحته وعبث لا معنى له .

بينما هى فى ظل المفهوم القرآنى مزرعة الآخرة وفرصة سانحة لبلوغ السعادة الابدية .

(١) ص ، ٢٧ ، ٢٨

(٢) السجدة ، ١٨ : ٢٠

(٢)

فى مجـــال الشريعة

(أ) نظام الأسرة بين الآلية والقصد :

يتفق الإسلام واليهودية فى الحث على الزواج والترغيب فيه ، ثم لا يلبث أن يقع بينهما الخلاف فى عدة نقاط أعرض لأهمها فيما يأتى :

١ — تعتبر اليهودية الزواج فرضا يأثم تاركه إن بلغ العشرين مع القدرة عليه - بينما يظل الأمر فى الإسلام متعلقا بالرغبة ، فمن استطاع القيام بتكاليف الزواج والنهوض بتبعاته ولم تتجه رغبته إليه لا يعد آثما مادام محتفظا باستقامته وعفافه ، فالأمر يتعلق بالقدرة والرغبة وليس له سن معينة ، على خلاف اليهودية التى توشك أن تحول الزواج إلى ضريبة قومية هدفها تكاثر السلالة اليهودية .

٢ — يستتبع الزواج فى اليهودية عاما كاملا من التراخى والكسل ، ولست أدرى ماذا يمكن أن يكون لو أحدث الرجل فى كل عام زواجا جديدا أيكون العمر كله كسلا وتراخيا واستسلاما للراحة والدعة ، أم أن ذلك رهن بالزواج الأول فقط ؟ إذن فما ذنب الزوجات الأخريات اللاتى يلين الزوجة الأولى ؟

أما الإسلام - فلا يعرف هـــذا النوع من الدعة والخمول لأنه يحرص على استثمار كل لحظة من لحظات العمر ونفع المجتمع بكل طاقة من طاقات أبنائه ، حتى شهر العسل نفسه ليس شأنا شرعيا من شؤون الزواج ، وإنما هو مجرد تقليد اجتماعى من تقاليد البيئة المعاصرة .

٣ - حرمت اليهودية زوجة الأخ المتوفى إذا أنجبت منه ، ولكنها تجعل ذلك أمراً مطلوباً إذا لم تنجب منه - على أن ينتسب بكرها من أخى زوجها إلى زوجها المتوفى حرصاً على بقاء ذكره فى إسرائيل ، فإذا امتنع أخو زوجها عن زواجها - اعتبرته الشريعة اليهودية ساقط الهمة ذاهب المروءة لأنه أبى أن يقيم لأخيه اسماً فى إسرائيل .

فاليهودية هنا لا تلاحظ - أن الزواج ينبغى أن يقوم على أساس من الرغبة المشتركة والتراضى التام ، بل إنها لا تبالى بأن يقوم الزواج بين شخصين يمتد بينهما جدار سامق من النفرة والجفاء ، المهم أن تصنع ذرية وهمية لرجل ميت تمشياً مع هدف التكاثر اليهودى .

فأين هذا الموقف الغريب من موقف الإسلام الذى يحتم أن يقوم الزواج على أساس الإيجاب والقبول ولا يعترف بأى زواج لا يقوم على هذا الأساس ليس هنـــاك أى داع لتحريم زوجة الأخ منجبة كانت أو غير منجبة ، المهم أن يتم ذلك - إن تم - تعبيراً عن الرغبة والقصد دون إكراه من تقاليد البيئة أو إملاء من هدف قومى .

ثم ما معنى نسبة الأولاد إلى غير آبائهم الحقيقيين :

ما عسى أن يكون شعور الرجل الذى يتزوج مكرهاً ، وينسب ولده إلى غيره ؟

إن الإسلام يحرص أشد الحرص على أن ينتسب الأولاد إلى آبائهم الحقيقيين فإن تعذر ذلك - فإنه رفض نسبتهم إلى غير آبائهم ، وفى ذلك يقول سبحانه : (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم)[1] .

---

(١) سورة الأحزاب ، ٦ .

٤ - وننتقل إلى موضوع تعدد الزوجات - فنذكر أن اليهودية قد أباحته دون قيد أو حد . بينما منعته المسيحية منعا باتا فيما فهمه القسس من الأناجيل.

ويطالعنا الإسلام بوسطيته المعتدلة بين الإباحة المطلقة والتقييد المطلق فهو يبيح التعدد مثنى وثلاث ورباع دون الزيادة على ذلك ، ويشترط أيضا القدرة على تبعات التعدد وإقامة العدل الممكن بين الزوجات - يقول سبحانه :

(وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة)[1] .

٥ - رأينا كيف منعت اليهودية الطلاق فى حالة ما لو ادعى الزوج - أنه لم يجد زوجته عذراء إذا أبطل أهل الزوجة إدعاءه .

ورأينا أيضا - كيف أبدت اليهودية الطلاق إذا تزوجت المطلقة ثم طلقها الزوج الثانى أو مات عنها ، فإنها لا تعود إلى الزوج الأول بحجة أنها قد تنجست بزواجها الثانى .

وتلوح عدة أسئلة حول أبدية الزواج وأبدية الطلاق فى هاتين الصورتين ، من ذلك .

(أولا) كيف تستقيم أمور الحياة بين زوجين حدث بينهما الخلاف منذ الأيام الأولى من الزواج وحول موضـــوع فى غاية الخطورة كموضوع الشرف ؟

(ثانيا) كيف تعد المرأة متنجسة بزواج يتم على سنن الدين ووفق أحكامه،

---

(١) سورة النساء ، ٣

ومن الواضح أن ذلك بالنسبة إلى الزوج الأول فقط ، فكيف تعد المرأة متنجسة بالنسبة إلى رجل - غير متنجسة بالنسبة إلى غيره من الرجال ؟

لا أظن أن فى اليهودية إجابات مقنعة عن هذه التساؤلات .

أما الإسلام - فإنه يقر الطلاق ويقدمه إذا اتجهت إليه نية الزوج وقد تعذرت محاولات التوفيق والإصلاح ، فذلك خير من بقاء رابطة لا معنى لها ولا روح فيها بل فإن ذلك خير من استمرار حياة يسودها القلق والشك والتوتر .

« وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته »[1] .

أما عدم إباحة مراجعة المطلقة إذا تزوجت ثم طلقها الزوج الثانى أو مات عنها بحجة تنجسها بزواجها الثانى - فأمر يدعو إلى الدهشة حقا ، فإن هذا الزواج الثانى الذى انتهى نهاية غير سعيدة - حرى أن يهيىء فرص التوفيق لاستئناف العلاقة الزوجية مع الزوج الأول ، فإن رصيد الزوجين من التجربة يساعدهما ولا شك على تفادى ما وقع فى زواجهما الأول من أخطاء .

ولهذا - يجعل الإسلام ذلك الزواج الثانى هو الطريق الوحيد لتحليل المطلقة البائن بينونة كبرى ، يقول سبحانه :

« فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله »[2] .

٣ - يشكل موضوع الميراث أحد مواطن الإختلاف الأساسية بين اليهودية والإسلام ، ويقع الاختلاف بينهما فى عدة نقاط نورد منها ما يأتى :

---

(١) سورة النساء ، ١٣٠

(٢) سورة البقرة ، ٢٣٠

(أولا) تحرم اليهودية من الميراث البنت الصغيرة التى تقل سنها عن الثانية عشرة ، بينما تمنح الابن الأكبر سهمين .

ولكن الإسلام لا يعطى مسألة السن أدنى إعتبار فى تقسيم الأنصبة بين الورثة ، بل إنه ليؤجل تقسيم التركة إذا كان هنالك حمل مستكن ، فإذا تمت أشهر الحمل ونزل الجنين حيا أخذ نصيبه المفروض على قدم المساواة مع إخوته الكبار وهذا هو الأنسب لحال الصغير ذكرا كان أو أنثى والأليق بضعفه .

فحرمان الصغيرة من مال أبيها ، وكذا اختصاص الولد الأكبر بنصيب أكبر من نصيب أحد أخوته الذكور يوشك أن يكون تقيدا جاهليا يتنافى مع أبسط مظاهر الرحمة والعدل .

(ثانيا) أيلولة التركة إلى من يضع يده عليها عنـــد عدم وجود أحد من أصول الميت وفروعه ـ نقطة أخرى يختلف فيها الإسلام مع اليهودية ، فقد يكون هذا الحائز الطفيلى غنيا فيزداد بذلك غنى على حين يوجد فى المجتمع كثير من ذوى الفاقة الشديدة ، فاقتضت حكمة الإسلام ـ أن تئول التركة فى مثل هذه الحالة إلى بيت مال المسلمين الذى ينفق على الأغراض العامة للأمة ويخصص جزءا من دخله للإنفاق على الفقراء .

هذه هى أهم النقاط المتعلقة بنظام الأسرة والتى يختلف فيها الإســـلام مع اليهودية .

والذى يبدو من استعراضها :

(أولا) أن الإسلام يفسح مجالا مناسبا للرغبة أو القصد فى مسائل الزواج والطلاق ، بينما تضحى اليهودية كثيرا بهذا المبدأ إما لسبب قومى ، وإما لغير سبب على الإطلاق .

(ثانيا) وضع المرأة فى ظل الشريعة اليهودية سيء للغاية ، فهى مثلا ملزمة بخدمة بيت الزوجية بنفسها أو بخدم تحضرهم معها من بيت أبيها ، وهى لا ترث زوجها إن ترملت ، ولا تستحق نفقة إن طلقت بل ولا ترث أباها إن تركها صغيرة .

وموقف الإسلام على النقيض من ذلك كله ، ومن ثم - فإن وضع المرأة فى ظل نظامه لا غبار عليه . بل يدعو إلى الإعجاب والتقدير .

(ب) فى الجنايات والحدود :

يذكر القارىء أننى عرضت ثلاثة شواهد بهذا الخصوص وهى :

١ - الزنى ، ٢ - القتل ٣ - السرقة .

ولكننى سأكتفى هنا بعقد المقارنة بين الإسلام واليهودية فى موضوع الزنى ، وذلك على سبيل المثال .

جعلت اليهودية حد الزنى هو الرجم دون التفرقة بين المحصن وغير المحصن .

بينما يفرق الإسلام فى تقدير الحد بينهما ، حيث يجعل الرجم هو عقوبة الزانى المحصن ، ويجعل الجلد مائة جلدة عقوبة غير المحصن .

وفى موقف الإسلام - كما لا يخفى - تقدير حكيم للظروف النفسية الدقيقة لكل من هذين الصنفين وهى ظروف ينبغى أن يكون لها الاعتبار الأول فى تقدير العقوبة .

فغير المحصن تقوده الرغبة المشبوبة إلى لذة لا عهد له بها ولا خبرة له فيها وهى فى الوقت ذاته أقوى اللذات تسلطا على النفس واجتذابا لها ، ومن ثم تكون ظروفه النفسية ظروفا مخففة على حد تعبير رجال القانون .

وبهذا تتبين قوة الشريعة الإسلامية التى لا تعتد بمثل هذا الاعتبار الواهى فى إقامة الحدود على النقيض من اليهودية .

ونقطة ثالثة وأخيرة يختلف فيها الإسلام مع اليهودية .

فعلى الرغم من تشدد اليهودية فى تقدير عقوبة الزنى حيث لم تفرق بين المحصن وغير المحصن فى ضرورة حد الرجم - إلا أنها تتهاون فى بعض الحالات حتى لتفقد العقوبة ما ينبغى لها من الزجر والتخويف .

ولعلنا نذكر فى هذا الصدد عقوبة الزنى بفتاة غير مخطوبة - فقد عاقبهما سفر التثنية بأن يتزاوجا زواجا أبديا لا طلاق فيه فهل يمكن أن يكون الزواج عقابا رادعا .

أما يكون الزنى والوضع هكذا هو أيسر طريق إلى الزواج خصوصا إذا كان أهل الفتاة يرفضون مثل هذا الزواج حيث يجدون أنفسهم أمام الأمر الواقع الذى لا بديل له ولا مفر منه ؟

ومن ناحية أخرى - كيف يكون الزواج عقابا أساسه الإثم والخطيئة وفرض الأمر الواقع وقد شرعه الله ليكون رابطة مقدسة بين الزوجين أساسها المودة والرحمة ؟

ما كان أحكم منطق القرآن حين عبر عن هذه الرابطة فى قوله سبحانه :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[1] .

---

(١) سورة الروم ، ٢١

على أن مشكلة الحدود في بني إسرائيل كانت بشكل عام - تكمن في عدم تطبيقها إلا على الفقراء والخاملين .

أما علية القوم من ذوى الثروة والجاه - فكانوا بمنجاة من هذه الحدود مهما ارتكبوا من جرائم وباشروا من منكرات .

وهذا هو ما كان يشير إليه الرسول ﷺ حين قال :

(إنما أهلك من كان قبلكم - أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد - والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) .

وربما يستأنس لهذا بما نسبته أسفار العهد القديم إلى الأنبياء عليهم السلام وكبار أتباعهم وخاصة أهليهم من جنايات تستوجب حدوداً ما مع عدم إقامة هذه الحدود عليهم مراعاة لما لديهم من الشرف والجاه[1] .

(ج) في العبادات والقرابين :

تكثر القرابين في اليهودية كثرة ظاهرة ، فهناك ذبائح الإثم ، والسلامة ، والولادة ، وقرابين المواسم والأعياد .

ومن الواضح - أن كل هذه القرابين تتكرر مرارا بتكرار أسبابها الموجبة ومناسباتها الخاصة ، وهذا كله فيما عدا الزكاة المفروضة والنذور التي يفرضها المرء على نفسه فتصير مفروضة عليه شرعا .

---

(١) كنسبة القتل إلى موسى عليه السلام ، والزنى إلى إبنتى (لوط) عليه السلام ، وكنسبة الزنى والقتل إلى (داود) عليه السلام وقد سبق تفصيل كل هذا عند الحديث عن النبوات في اليهودية .

والملاحظ — أن جميع القرابين إنما يتحتم تقديمها إلى كهنة الهيكل من اللاويين الذين فرضوا على الناس وصايتهم ومنحوا أنفسهم سلطة غفران الذنوب .

وهكذا أصبح الكهنوت أقصر الطرق إلى الثراء الفاحش والنفوذ الشعبى الذى لا مسوغ له من عقل أو دين .

ونذكر بهذه المناسبة — أن فكرة (صكوك الغفران) التى نقلها الكاثوليك عن اللاويين وأدخلوا عليها التطوير اللازم لتحقيق المزيد من الكسب — نذكر أن هذه الكفارة كانت فى مقدمة الأسباب التى حملت (مارتن لوثر) على حركته الإصلاحية ضد نظام الكنيسة .

ومسألة الوصاية على قلوب العباد . أو الوساطة بينهم وبين خالقهم العظيم مرفوضة تماما فى الإسلام ، حتى النبى — ﷺ — نفسه لا تتعدى وساطته مهمة وساطته مهمة التبليغ الذى لا ينتظر عليه من الناس أجرا ولا يرتقب عليه منهم شكرا « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى »(١) .

وقد نص القرآن الكريم على مصارف الصدقة الثمانية والتى يمكن أن تكون أيضا مصارف لسائر القربات المالية فاذا هو يذكر فى مقدمتها الفقراء والمساكين على اعتبار أنهم الشريحة الإجتماعية الجديرة بالرعاية الخاصة من القادرين ، يقول سبحانه فى تحديد هذه المصارف أو تعيين هذه الأصناف :

«إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »(٢) .

---

(١) سورة الشورى ، ٢٣

(٢) سورة التوبة ، ٦٠

فلم يشرع الله تعالى لرسوله شيئا من هذه الصدقات ولا لأحد من القائمين بالخدمة الدينية على نحو ما قررت اليهودية لكهنة الهيكل - بل على العكس من ذلك تماما - فقد نزه مقام نبيه وآله عن قبول شيء من الصدقة وحبب الرسول ﷺ ذلك إلى منتهجي نهجه ومتبعي سنته إلا من ألجأته الحاجة الملحة والعسر الشديد مع عدم القدرة على العمل المنتج والكسب الشريف .

ومعنى ذلك كله - أن القرابين فى الإسلام وسيلة إلى التكافل الإجتماعى .

أما فى اليهودية - فهى وسيلة إلى ثراء الكهنة الذين يستمرئون الكسل والخمول وابتزاز أموال العامة بادعائهم السلطان الإلهى .

وقد كشف القرآن الكريم حال هؤلاء الكهنة ونعى على المعتقدين فيهم من السذج فى نحو قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله »(١) .

وقوله « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله »(٢) .

وجدير بالإشارة قبل مغادرة هذه النقطة ، أن بيت المال فى الإسلام ليس مؤسسة دينية متخصصة فى الإنفاق على شؤون الخدمة الدينية كما قد يتوهم ، ولكنها مؤسسة اجتماعية تقوم على أمور المسلمين ومن فى رعايتهم ممن لا يدينون بالإسلام .

وما دمنا نقارن بين الإسلام واليهودية فى مجال العبادة والقرابين فإن هناك نقطة هامة تستحق التنويه .

---

(١) سورة التوبة ، ٣٤

(٢) التوبة ، ٣١

ذلك أن اليهودية تحصر الوظائف الدينية والإشراف على شؤون الهيكل فى اللاويين بحيث لا يجوز لأحد سواهم أن يباشر هذه الوظائف.

هى إذن الطبقية الدينية التى تحتكرها عائلة واحدة وتتوارثها أجيالها المتعاقبة جيلا عن جيل.

أما الإسلام، فيختلف مع اليهودية اختلافا تاما فى هـــذه النقطة، فإنه يجعل هذه الوظائف واجبات شرعية يقوم بها القادرون عليها من المسلمين.

فالمهم فى ممارسة هذه الوظائف، هو الكفاية والأهلية، وليس الإنتماء إلى طبقة معينة أو عائلة خاصة.

وقد أسند الرسول، ﷺ، الأذان، وهو الوظيفة الدينية الثانية بعد الإمامة، إلى (بلال)، رضى الله عنه، وهو عبد حبشى، ولم يسندها إلى شريف قرشى إقراراً لمبدأ الكفاية، ورفضا لفكرة الطبقية.

وبهذا يتضح الفرق بين اليهودية والإسلام فى موضوع العبادة والقرابين.

فاليهودية تتيح الفرص لإثراء الكهنة وطبقية رجال الدين.

والإسلام يوظف القرابين لأهداف اجتماعية عامة ويبطل فكرة الطبقية الدينية بل إنه لا يعترف بما يسمى رجل دين.

(د) فى المواسم والأعياد: بين القومية والدين:

ترتبط المواسم والأعياد فى اليهودية بالمناسبات القومية البارزة فى التاريخ اليهودى اللهم إلا السبت الذى يستند عندهم إلى عقيدة باطلة هى عقيدة استراحة الرب بعد فراغه من خلق الكون، ومن ثم، تكون هذه المواسم والأعياد عاملا أساسيا فى ترسيخ الإحساس بالعنصرية لدى اليهود.

أما فى الإسلام ، فالأمر على العكس من ذلك .

فالمواسم الدينية تنحو منحى روحيا خالصا وترتبط بمعان إنسانية عامة .

فرمضان ، طاعة روحية خالصة توثق ارتباط المسلم الكامل المطلق وهو لله ، وتوثق ارتباطه فى الوقت ذاته بالقيم المطلقة كالصبر والبر والقناعة والتعاون والعفاف .

وعيد الفطر ، تعبير عن الشكر على التوفيق إلى هذه الطاعة .

وعيد الأضحى ، تذكرة بقصة الفداء العظيم المتمثل فى نبى لا يتردد فى ذبح ولده الوحيد طاعة لله . وفى غلام لا يتردد فى بذل نفسه طاعة لله أيضا .

بل إن عاشوراء لا تعنى أكثر من إحياء ذكرى هى أحب الذكريات إلى الشعب اليهودى نفسه وهى ذكرى خروجهم من مصر وهلاك عدوهم فرعون .

لم تشرع الأعياد فى الإسلام إذن إحياء لمناسبات خاصة فى تاريخ العرب أو تاريخ المسلمين كما ارتبطت الأعياد اليهودية بالمناسبات القومية لليهود ، وإنما كان هدف الأعياد الإسلامية هو دعم ارتباط المسلم بالله عن طريق دعم ارتباطه بالقيم الإنسانية العامة .

أما فيما يتعلق بالعيد الأسبوعى فى كل من الدينين ، فقد رأينا أن اليهود يربطون تقديسهم للسبت بعقيدة غاية فى البطلان .

أما المسلمون ، فإنهم يحتفلون بيوم الجمعة استجابة مباشرة للتوجيهات الإسلامية دون أن يربطوا ذلك بأساس عقدى .

ومن جهة أخرى ، فإن إحياء السبت كما طلبت اليهودية يتمثل فى الراحة والكسل والخمول .

أما إحياء الجمعة فى الإسلام فيتمثل فى أداء شعائرها التى تستغرق وقتا قصيرا يتوجه عقبه المصلون إلى أعمالهم إلتماسا للرزق الحلال والكسب المشروع ، وفى ذلك يقول سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »[1] .

بهذا تنتهى المقارنة بين الإسلام واليهودية فى مجال الشريعة . ولعل الفرق بين الشريعتين فيما تؤكده المقارنة ، هو أن اليهودية وقفت عند الأشكال والرسوم ، بينما غاصت الشريعة الإسلامية إلى الجوهر واللباب .

---

(١) الجمعة ٩ ، ١٠

(٣)

فى مجال الأخلاق

عرفنا - أن النبرة الحادة فى الأخلاق اليهودية - هى العنصرية التى تعد بحق مقوما أصيلا من مقومات الشخصية اليهودية ، بل هى أبرز هذه المقومات وأقواها على الإطلاق .

أما الإسلام - فإن الذى يتبين بوضوح من مبادئه وتوجيهاته هو أنه دين عالمى يتجاوز بسموه ونقائه حدود البيئة والعقيدة والعصبية العرقية .

فإذا كانت اليهودية تزعم إمتياز السلالة الإسرائيلية على غيرها من سلالات الجنس البشرى ، فإن الإسلام يقرر وحدة الأصل الإنسانى فلا تفاضل بين بنى آدم إلا على أساس التقوى والعمل الصالح ، يقول الرسول الكريم :

(كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح) .

بيد أن التقوى ليست تظاهرا وادعاء أو نفاقا ورياء - لأن محلها هو القلب الذى لا اطلاع عليه إلا لمن يعلم خفايا الصدور .

وإذا كانت اليهودية تتخذ من اختلاف السلالات أساسا للصراع ، فإن الإسلام يتخذ من اختلاف الأمم والشعوب أساسا للتعرف :

« ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »(١) .

---

(١) الحجرات ، ١٣

وإذا كانت اليهودية تعتبر المخالفين فى العقيدة أعداء ألداء يتحتم العمل للقضاء عليهم تقربا إلى إلههم الدموى ، فإن الإسلام لا ينهى أبناءه عن الإحسان إلى مخالفيهم فى العقيدة ما لم يبدأوا هم بالعدوان :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »(١)

وإذا كانت اليهودية تمنع التزاوج بين اليهود وغيرهم على اعتبـــار أن غير اليهود وثنيون أنجاس فإن الإسلام لا يمنع زواج المسلم من الكتابية إذا آتاها صداقها أسوة بالمسلمة :

« اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان »(٢) .

وإذا كان العدل فى اليهودية لا يتسع لغير اليهود حتى ليعد استحلال أموال غير اليهود ودمائهم من صميم العدل ، فإن العـــدل الإسلامى يتطلب الترفع عن العواطف الشخصية بحيث يعامل العدو على قدم المساواة مع القريب :

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون »(٣) .

---

(١) الممتحنة ، ٨ ، ٩

(٢) المائدة ، ٥

(٣) المائدة ، ٨

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا »[1] .

هذا هو الفرق بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق اليهودية .

سمو رفيع يشمل بحنوه الرحب كل الآخرين بما فى ذلك المخالفون فى جانب . وعنصرية معقدة تتميز حنقا على الآخرين وتتربص بهم فى الجانب الآخر .

بذلك - يتم لنا ما أردناه من وراء المقارنة بين الإسلام واليهودية فى المجالات الثلاثة (العقيدة والشريعة والأخلاق) .

فإذا أردنا أن نلخص ما انتهينا إليه من نتائج المقارنة بين الإسلام واليهودية فإننا نستطيع إجمالها على النحو التالى :

١ - وصفت اليهودية الله بما لا يليق بذاته المقدسة ونسب الإسلام اليه ما ينبغى له من مظاهر القداسة ومعانى الكمال

٢ - نسبت اليهودية الى الأنبياء من القبائح والمنكرات ما لا يليق بذواتهم الشريفة ، ووصفهم الإسلام بالعصمة التى يقتضيها جلال النبوة .

٣ - أغفلت اليهودية المعاد فى معظم أسفارها فجعلت الحياة عارية عن أى قيمة حقيقية ، وجعله الإسلام إحدى عقائده الأساسية فربط الحياة بالحكمة الإلهية السامية .

٤ - وقفت الشريعة اليهودية عند الأشكال والرسوم فعجزت عن سياسة

---

(١) النساء ، ١٣٥

..

الإنسان وتنظيم حياته ، وغاصت الشريعة الإسلامية إلى حقيقة الإنسان وعاشت واقعه النفسي فنجحت في تنظيم علاقاته وحل مشكلاته .

٥ - تطرفت اليهودية في عنصريتها فأوشكت أن تعـــزل اليهود عن المجتمع الإنساني ، وتسامى الإسلام في مبادئه فشمل الجميع بإخائه .

وبعد هذا العرض السريع لبعض شواهد المقارنة بين الإسلام واليهودية - أنتقل إلى المقارنة بين الإسلام والمسيحية في المجالات الثلاثة كذلك .

ثانيــــاً

الإسلام والمسيحية

لن تطول وقفتنا فى المقارنة بين الإسلام والمسيحية - لأن التركيز سيكون فقط على ما تضمنه العهد الجديد من إضافات إلى اليهودية وهى فى حد ذاتها قليلة جداً - إذ لم تهتم المسيحية بتشعب الجزئيات وكثرة التفاصيل ومن ثم - فلن يجد الباحث فى المسيحية نقاطاً كثيرة يمكنه المقارنة بينها وبين نظائرها فى الإســـلام .

وإنما هى نقاط محددة أعرض لها فيما يأتى :

(١)

فى مجال العقيدة

(أ) الالوهية بين التثليث والتوحيد :

تعد المسيحية بتثليثها خروجا صريحا على إجماع الأديان السماوية حيث اتخذت التوحيد أساساً تصدر عنه وتنتهى إليه ، فما عرفنا ديناً سماوياً قط يخرج عن التوحيد ويقول بالثنائية فضلا من التثليث .

ولقد عرض علينا القرآن دعوات الأنبياء السابقين فإذا أساس هذه الدعوات هو التوحيد .

فأبناء يعقوب يعاهدون أباهم على التوحيد وهو فى اللحظات الأخيرة من حياته « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون »[١] .

ويوسف عليه السلام يجهر بها فى استنكار ساخر « ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار »[٢] .

وكان أول ماألقى به من حقائق الدين إلى موسى عليه السلام .

---

(١) البقرة ١٣٣ .

(٢) سورة يوسف ٣٩ .

« إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى »(١) .

ويحكى القرآن الكريم عن (نوح ، وهود ، وشعيب ، وصالح) أنهم كانوا يدعون أقوامهم قائلين : « أعبدوا الله مالكم من إله غيره » .

وبالجملة - مامن نبي تصدى للدعوة إلى الله إلا كان أساس دعوته التوحيد :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »(٢) .

فالمسيحية بما فيها من التثليث إذن تعد نشازاً بين الديانات السماوية الأمر الذى يؤكد أن عقيدة التثليث دخيلة على المسيحية الحقيقية وأن مصدرها وثنى لا صلة له بتعاليم السماء .

والواقع - أن أحرار الفكر من علماء المسيحية لم يقتنعوا قط بعقيدة التثليث بل لعلهم نزعوا إلى معارضتها تمهيداً لاسقاطها من ديانتهم لولا أن تدخلت السياسة للإبقاء عليها بقوة السلطان .

ومن شواهد ذلك - ماحدث فى مجمع (نيقيا) سنة ٣٢٤ ، فقد انعقد هذا المجمع للنظر فى بعض الشئون المسيحية تحت رياسة الإمبراطور (قسطنطين) الذى كان وثنياً شديد التعصب لوثنيته وإن قبل رياسة المجمع كمظهر من مظاهر العمل السياسى ، أو قل إن شئت كمظهر من مظاهر التدخل فى شئون المسيحية تحت ستار السلطة السياسية .

وقد ناقش المجمع فيما ناقشه موقف المسيحية من عقيدة التثليث والتوحيد فى الألوهية ، وقد انقسم الأعضاء تجاه هذه المسألة فريقين :

---

(١) سورة طه ١٤ .
(٢) الأنبياء ٢٥

أحدهما ـ يقرر ضرورة الأخذ بعقيدة التوحيد كأساس من أسس المسيحية وكان هـــذا الفريق يمثل أكثرية الأعضاء إذ كان يضم ١٧٣٠ قساً على رأسهم (أريوس) .

والفريق الثانى ـ يناهض هذا الاتجاه ويرفض القول بالتوحيد ؛ وكان هذا الفريق يمثل الأقلية إذا كان يضم ٣١٨ قسا على رأسهم (أثناسيوس) .

وقد انحاز (قسطنطين) إلى هذه الأقلية وحكم على (أريوس) بالطرد والحرمان[1] .

وهكذا نشأت عقيدة التثليث أساسا فى ظل الاتجـــاه إلى تلقيح المسيحية بعقائد الشعوب ضمانا لانتشارها وحرصا على عالميتها، ثم فرضت استمرارها قداسة الإرث الدينى من جهة ، وقوة السلطان السياسى من جهة أخرى .

ولم يزل المسيحيون حتى اليوم عاجزين تماما عن فهم هذه العقيدة أو تصورها وإن كانوا يعدون الخروج عليها إلحادا صريحا يستوجب اللعن والطرد على نحو ما علمتهم الكنيسة .

ويقول القس (توفيق جيد) : (إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها فى كفه)[2].

ويحاول الأستاذ (عوض سمعان) : (إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والادراك ، ولكنه يتوافق مع كمال الله كل التوافق)[3] .

---

(١) المسيحية الرابعة للدكتور (رؤوف شلبي) صـ ١٢١ : ١٢٦ .
(٢) الله واحد أم ثالوث صـ ٧١ .
(٣) الله واحد أم ثالوث صـ ٧١

أما القس (بوطر) - فإنه يعترف بما عليه عقيدة التثليث من غموض وتعقيد إلى حد استعصائها على الفهم وتعذرها على الإدراك ، ولكنه يحلم باليوم الذى تنكشف له فيه هذه المسألة حين يمن الله عليه بمفاتيح أسرار الكون ، يقول القس (بوطر) :

(وقد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء فى المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل مافى السموات والأرض ، وأما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه الكفاية)[١] .

ويضيف الأستاذ (محمد مجدى مرجان) بعد أن أورد هذه الأقوال ونحوها مما يؤكد صعوبة فهم الثالوث .

(ولقد قمت بنفسى بمناقشة كثير من الأخوة المسيحيين فى مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة تارة حين كنت محسوباً فى الجماعة المسيحية وتارة بعد انسلاخى عنها - وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولوننى ثقتهم ويصدقوننى الحديث - فأخبرونى أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس ، وأن كثيرين منهم يعيشون فى صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم ، وحين ناقشت فى ذلك مع بعض الآباء الكهنة أخبرونى أنه يجب الإيمان بالثالوث دون أى تمحيص أو تفكير ، وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثى تسليما مطلقا أى تسليماً أعمى فعلى المسيحى أن يؤمن ويعتقد أولا فى الثالوث المقدس ، ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقد ، فإذا لم يفلح فى ذلك - فإنه خير له أن يلغى عقله ولا يلغى عقائد الآباء وتراث الأجداد وتعاليم القسس)[٢] .

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص ٧١ .

ويسوق الشيخ (رحمت الله) الهندى مثلا طريفاً يوضح إلى أى حد تتنافى عقيدة التثليث مع منطق العقل واستقامة الفطرة فيقول :

(نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث ـ وكانوا فى خدمته فجاء محب من أحباء هذا القسيس وسأله عن تنصر ؟ فقال : ثلاثة أشخاص تنصروا ، فسأل هذا المحب : هل تعلموا شيئاً من العقائد الضرورية ؟ فقال : نعم، وطلب واحداً منهم فسأله عن عقيدة التثليث فقال : إنك علمتنى أن الآلهة ثلاثة .

أحدهم الذى هو فى السماء .

والثانى تولد من بطن مريم العذراء .

والثالث ـ الذى نزل فى صورة حمامة على الإله الثانى بعد ما صار ابن ثلاثين سنة ، فغضب القسيس وطرده .

ثم طلب الثانى وسأله، فقال : أنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة ، وصلب واحد منهم ، فالباقى إلهان ، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده .

ثم طلب الثالث ـ وكان ذكياً بالنسبة إلى الاولين ـ فسأله ، فقال : يامولاى حفظت ماعلمتنى حفظاً جيداً وفهمت فهما كاملا بفضل الرب المسيح ـ أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ولا إله الآن ، وإلا يلزم نفى الاتحاد)[1] .

وهكذا ـ يتبين أن منشأ الغموض الشديد فى عقيدة التثليث إنما هو التنافى الحاد بين هذه العقيدة والاتجاه إلى التوحيد الذى يليق بذات الإله .

---

(١) إظهار الحق ص ٣٢٧ .

وأن محاولة الجمع بينهما فى عقيدة واحدة هو محاولة لإلغاء وظيفة العقل بإكراهه على قبول الجمع بين النقيضين متمثلا فى وصف الله بالواحد والمتعدد .

ومن ثم - يمكن القول أن الصيغة المختارة للعبادة المسيحية ليست أكثر من ألفاظ مرصوصة فقدت دلالاتها اللغوية وتماسكها المنطقى يرددها القساوسة فى الكنائس ترديدا آليا دون أن يفقه عقل أو يحضر قلب فما بالك بأتباعهم المساكين الذين يلزمهم الوقوف عند حد ترديد الترانيم الكنسية دون التجاسر على مجرد السؤال - وإلا كان نصيبهم مهانة الطرد وذل الحرمان .

وفيما يلى - هذه الصيغة التى اتفق عليها أساقفة مجمع (نيقيا) الأول كصيغة للصلاة وقانون للإيمان :

(نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى ، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ، كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه انقضاء نعم نؤمن بالروح القدس ، الرب المحيى المنبثق من الآب ونسجد له ونمجده مع الآب والابن الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، ونتنظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى ، آمين)[1] .

---

(١) الله واحد أم ثالوث ص ٢٠ .

أين هذا الخبط فى العقيدة والخلط فى العبادة من استقامة الإسلام فى عقيدته وعبادته على السواء ؟

إن الوحدانية فى الإسلام — هى أول مايجب أن يثبت لله من صفات بعد صفة الوجود : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم »[1] .

« هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم »[2] .

بل إن على المسلم — أن يرتقى فى عقيدته عن مستوى الإيمان بالواحدية إلى مستوى الإيمان بالأحدية وهى الوحدة المطلقة فى الذات والصفة والفعل فليس له — سبحانه نظير فى ذاته ولا شبيه فى صفاته ولا شريك فى أفعاله ، وليس له جزء ولا جهة ولا صاحبة ولا ولد ولا كفؤ ولا والد لاتعتريه حاجة ولايعوزه غرض وإنما يضرع إليه جميع خلقه بحوائجهم فيجيب من شاء برحمته ويمهل من شاء بحكمته .

وفى القرآن الكريم سورة تسبق ألفاظها الميسورة إلى لسان المسلم فإذا هى نشيد رائع يلقى فى وجدانه هذه الدفقات الروحية الخالصة عن معبوده العظيم : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

---

(١) سورة آل عمران ، ١٨ .
(٢) سورة الحشر ، الآيات ٢٢ : ٢٤ .

وتتأكد هذه العقيدة فى نفس المسلم دائما بفضل ما يمارسه من ألوان العبادة وشعائر الدين ، فى عبارات الآذان والإقامة ، وفى مناسك الحج والعمرة ، وفى أعمال الصلاة مفروضة كانت أو مسنونة .

وهكذا - يختلف الإسلام مع المسيحية فى قضية الألوهية اختلاف الفطرة السوية مع التعقيد الكهنوتى ، والمنطق المستقيم مع التقليد الأعمى الذى يقاوم كل منطق ويعارض كل استقامة :

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١) .

وعلى الرغم من تألق التوحيد فى الإسلام ووصـــوله إلى أرق مستوياته وأنقاها كما رأيت .

وعلى الرغم من تصدى الإسلام لهدم كل مظاهر الشرك وإثبات حقيقة التوحيد بكل ما يمكن من أنماط الأدلة وأنواع البراهين على نحو ماتقدم فى بيان موقف الإسلام من الوثنيين ، على الرغم من كل هذا - وجد من يدعى أن الإسلام يشبه المسيحية فى القول بالتثليث .

ذلك أن النصارى حين عز عليهم أن يفهموا التثليث فضلا عن أن يقنعوا به غيرهم استسهلوا أن يجروا المسلمين معهم إلى ساحة الاتهام ، وكأنهم يريدون أن يقولوا . إن كنا قد ضللنا فإن لنا شركاء فى الضلال .

والقصة هى - أن القس (باسيليوس اسحق) ألف كتابا سماه (الحق) أدعى فيه - أن الإسلام يقول بالتثليث الذى تقول به المسيحية .

---

(١) سورة الروم ٣٠ .

وقد أورد عدة أدلة على هذه القضية الغريبة أو على هذا الزعم الفاسد .

فقد ذكر أن المسلم يبدأ صلاته بقوله بسم الله الرحمن الرحيم ، كما يبـــدأ المسيحى صلاته : بسم الآب والابن والروح القدس .

وإذا أقسم المسلم قسما مغلظا ، قال : والله العظيم ثلاثا ، أى أنه يقسم بالآب والابن والروح القدس .

وإذا طلق المسلم زوجته طلقة بائنة بينونه كبرى : طلقها ثلاثا .. أى أنه يطلقها بسم الآب والابن والروح القدس ، وهذه كلها من أدلة إيمان المسلمين بالتثليث .

وقد علق الأستاذ (محمد عبد اللطيف الخطيب) على هذا اللغو السخيف قائلا :

(هذا كلام كما ترى غير قابل للرد عليه إطلاقا لتفاهته ووضوح بطلانه ، ونسى من التثليث عند المسلمين قوله تعالى (فصيام ثلاثة أيام) وقوله (ثلاثة قروء) ، وقوله عز سلطانه (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ، وقوله تعالى (تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام) ، وقوله جل شأنه (وكنتم أزواجا ثلاثة) ، وقوله عز وجل (فعدتهن ثلاثة أشهر) ، وهكذا فإن فيه الكثير من التثليث .

أخزاه الله تعالى وزاده جهلا ولو أن جهله لا يقبل المزيد [1] .

أما الأستاذ (محمد مجدى مرجان) فيرد على استدلال القس (باسيليوس) بالبسملة الإسلامية على عقيدة الثالوث عند المسلمين فيقول :

---

(١) هذا هو الحق، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(ونحن إذا تابعنا هذا الرأى فإنه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث بل أيضاً على التسبيع ووجود سبعة آلهة وليس ثلاثة وذلك بما ورد فى أول سورة غافر « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب وقابل التوب الله شديد العقاب ذى الطول » .

بل يمكن أيضاً أن يحرفنا الزيغ والضلال فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلهاً وذلك بما ورد فى آخر سورة الحشر التى ورد بها سبعة عشر إسما وصفة من الصفات التى يتصف بها الرحمن والتى لا يحصيها بيان .

ومع ذلك فإن قسيسنا الفاضل القمص (باسيليوس اسحق) يتمادى فى ادعائه ويقوم باستجلاب بعض الألفاظ الدارجة التى يتلفظ بها العامة أحياناً ، ثم يقوم بتحميل تلك الألفاظ فوق ما تحتمل أو تطيق رغبة منه فى إلصاق تهمة التثليث بها وهى بريئة منها براءة الحملان)[1] .

والواقع أن (القس باسيليوس) قد تجاهل عامداً الفرق الهائل بين القول بثلاثة أقانيم كل منها إله — وهو مايدين به النصارى — والقول بإله واحد من كل وجه وله صفات كثيرة تدل على كماله — وهو مايدين به المسلمون .

ولم يكن هذا الفرق ليخفى عليه ولا على غيره — فقد جرى العرف فى كل اللغات على وصف شخص ما بعدة صفات دون أن يؤدى ذلك إلى القول بكثرته أو تعدده فالعجب من ادعاء أن التسمية الإسلامية تعبر عن عقيدة التثليث .

---

(١) الله واحد أم ثالوث ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

أما استشهاده على دعواه الغريبة بما يجرى على ألسنة العامة فى أيمانهم - فتكلف فى غاية السخف كما أشار الأستاذان (الخطيب ومرجان)

وفى مقدور أى مسلم سطحى الثقافة أن يكشف مافيه من زيف وتضليل .

وتبقى فى النهاية الحقيقة التى تفرض نفسها وهى أن المسيحية دين الثالوث الغامض .

أما الإسلام - فهو دين التوحيد الخالص الصريح .

(ب) النبوات بين بنوة البشر لله وبشرية الأنبياء :

يتفق النصارى مع اليهود فى تقديس أسفار العهد القديم، ومن ثم - ينسبون إلى أنبياء بنى إسرائيل ما تنسبه إليهم هذه الأسفار من ممارسة الكبائر وإتيان المنكرات ، وبالتالى - يمكن أن توجه إليهم نفس الملاحظات التى توجه إلى أسلافهم فى الضلال .

ولكن الجانب الهام الذى يرتبط بالنصارى وحدهم - هو ما يتصل باعتقادهم فى المسيح عليه السلام ، فإنهم لم يقفوا به عند وصف النبوة بما تقتضيه من وجوه الكمال البشرى وهو مقام الصفوة الممتازة من عباد الله وإنما صعدوا به إلى مستوى آخر صنعه خيالهم الجنح وأوهامهم الطائشة وذلك حين تصوروا أنه ابن الله وحاول أقومهم رأياً أن يمزجوا فيه بين الناسوت واللاهوت بعبارات أقرب إلى الهذيان .

على أن فى كلام المسيح نفسه ما كان يجب أن يبعد هذا الوهم السخيف عن مجرد التصور ، فإنه لم يزل يردد فى حياته أنه ابن الإنسان وأن البنوة المجازية لله أفق رحب يتسع للجميع دون أن يكون له استئثار به ولكنهم أبوا

إلا أن يسيروا مع الوهم إلى آخر الشوط غير آبهين لهداء العقل الملح ونصوص النقل الصريح .

والغريب - أن الأناجيل التى وصفت المسيح أحياناً بأنه ابن الله - وصفته أحياناً أخرى بأنه حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم[1] .

وقد كان ينبغى أن تفهم هذه الأوصاف على أنها من مجاز التعبير لا على أنها من أصول الاعتقاد .

وعلى أى حال - فإن الإسلام يختلف مع المسيحية اختلافاً شديداً فى هاتين المسألتين :

١ - بنوة أحد من الخلق لله على المعنى الحقيقى .

٢ - تحمل أحد من الخلق خطايا سواه تحت أى اسم من الأسماء ، أو تحت أى ظرف من الظروف .

أما فيما يتعلق بالمسألة الأولى - فإن القرآن وصف محمداً عليه السلام بالخلق العظيم والسراج المنير واعتبر رسالته ختاما للرسالات ورحمة للعالمين ، ولكنه مع ذلك ركز بشكل حاسم على جانب البشرية فيه .

فهو عليه السلام يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، وهو يموت ويبعث تماما كغيره من الأنبياء ، بل كغيره من بنى البشر جميعا :

« وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق »[2] .

---

(١) الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا .
(٢) سورة الفرقان ٧

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق »[١] .

« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون »[٢] .

« إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون »[٣] .

وقد حسب المشركون ذات يوم أن النبوة ينبغى أن تمنح النبى طاقة التصرف فى أمور الكون والتحكم فى نواميس الوجود فقدموا إلى محمد ﷺ مطالبهم السخيفة التى علقوا عليها إيمانهم به

ويعرض القرآن الكريم هذه المطالب معقبا عليها بما يحدد على وجه الدقة وظيفة (محمد) ﷺ ومكانته ، فيقطع بذلك طريق الغلو المتطرف فى تقديسه والمبالغة المجاوزة فى الولاء له ، يقول سبحانه :

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا »[٤] .

---

(١) الفرقان ٢٠ .
(٢) الأنبياء ٣٤ .
(٣) الزمر ٣٠ ، ٣١ .
(٤) الإسراء الآيات ٩٠ : ٩٣

هذا هو منتهى القول فيه (بشر ، رسول) ، لا تغض البشرية من رسالته ، ولا تجرده الرسالة من بشريته .

فمن حجبته بشرية الرسول عن ملاحظة رسالته ، فقد كفر .

ومن بهرته نبوة الإنسان فقال بتأليهه ، فقد أشرك :

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجـو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[1] .

ومما هو جدير بالتنويه — أن معجزة الإسلام الكبرى إنما هى وحى إلهى لا فضل لمحمد فيه إلا أمانة التبليغ ، وليس إنجازاً ماديا خارقا يمكن أن يصرف عامة المسلمين عن السماء إلى الأرض ، ويشغلهم عن المرسل بالرسول فيرتفعوا به إلى مقام ليس له .

ولهذا — لم يقل أحد من المسلمين قط بألوهية (محمد) صلى الله عليه وسلم مع أن منهم من قال بألوهية بعض أتباعه كما هو اعتقاد غلاة الشيعة فى (على) رضى الله عنه .

بل إن القرآن لا يفتأ يجسد أخطاء النبى الكريم ويذكر بمواضع ضعفه وقصوره تأكيداً لجانب البشرية فيه .

على العكس من الأناجيل والرسائل الكاثوليكية التى تلح على إبراز الجانب البطولى فى شخص المسيح تمهيداً للقول بألوهيته أو بنوته لله عز وجـل .

---

(١) الكهف ١١٠ .

أما فيما يتعلق بالمسألة الثانية وهى عدم تحمل أحد من الخلق خطايا سواه ـ فنحن نذكر أن المسيحية قد حلت بنى آدم خطيئة أبيهم بأكله من الشجرة المحرمة ، ثم كفرت عن هذه الخطيئة الموروثة ببذل الله ولده الوحيد حيث صلب وقتل فداء لبنى الإنسان .

وعلى الرغم مما فى هذا البذل من منافاة صريحة لمنطق الاعتزاز بالابن الوحيد كما أشرنا فى تعقيب سابق على المسيحية ، إلا أن فيه أيضا منافاة صريحة للعدل الإلهى ، إذ يتحمل البشر خطيئة لم يرتكبوها ، ويتلقى المسيح قصاصا لا يستحقه .

أما فى الإسلام ـ فترتبط المسئولية بالفعل والعمل بالجزاء بحيث لا يسأل أحد عما لم يفعل ولا يعاقب على ما لم يعمل :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »[1] .

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى »[2] .

وأكتفى بهذا القدر فى المقارنة بين الإسلام والمسيحية فى مجال العقيدة .

ولن أتعرض لقضية المعاد لأن الدينين متفقان فى أساس القضية وإن زاد الإسلام بعرض من التفاصيل المتصلة بيوم الحساب .

غير أن ثمة إشارة ضرورية فى هذا الصدد إلى نقطة جوهرية يفترق فيها الدينان .

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان ٧ ، ٨ .

(٢) سورة النجم ٣٩ ، ٤١ .

وهى :

أن المسيحية تـكل الحساب والدينونة إلى (عيسى) عليه السلام .

بينما يعد ذلك فى الإسلام من شئون الله عز وجل .

بيد أن هذه المسألة لا تستحق وقفة طويلة ، إذ ما دامت المسيحية قد ارتفعت بالمسيح إلى مستوى الألوهية ـ فإن لها أن توزع الاختصاصات العليا بين أفراد الثالوث كما تشاء .

فلنتجاوز هذه النقطة إذن ، ولننتقل الآن إلى المقارنة فى مجال الشريعة .

(٢)

فى مجال الشريعة

نقل إنجيل متى عن المسيح عليه السلام أنه قال :

(لا تظن أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لانقض بل لأكمل فانى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات)[1] .

وقد فهم الباحثين أن هذا النص انما يؤكد الإلتزام التام الدقيق بشريعة التوراة بحيث لا يكون ثمة أدنى مجال للتغيير .

ـ فى هذه الشريعة ، ولكن النص فيما أظن لا يعطى هذا المعنى ، إذ الأقرب إلى المعقول ـ أن يكون المقصود هو نفى الاتجاه إلى النقض الكلى للناموس ، أوعدم معارضة الروح العام للشريعة ، وإلا ـ فإن هناك مسألة واحدة على الأقل خالف فيها (عيسى) ـ عليه السلام ـ شريعة التوراة وهى مسألة العمل فى السبت ، فقد حرمته التوراة وجعلت عقوبته القتل ، بينما أحله (عيسى) فيما تنقله عنه الأناجيل .

وربما كانت الإشارة إلى هذه المسألة فى نحو قوله تعالى على لسان المسيح :

---

(١) الإصحاح الخامس .

« ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم »[1] .

على أن الأمر فى المسيحية لا يتوقف على دور (عيسى) عليه السلام وحده .

فهناك واضعوا الأناجيل ونساخها ومفسروها .

وهناك أيضا (بولس) الذى قام بالدور الأكبر بإدخال تغييرات جذرية عميقة على المسيحية .

ومن أبرز ما يتصل بالشريعة من هذه التغييرات - تحريم الختان - فقد كان الختان هو شريعة (عيسى) عن (موسى) عليهما السلام فحرمه (بولس) - لأنه لا يتفق مع تقاليد اليونان الذين يحرص على نشر المسيحية بينهم [2] .

وقد كانت هذه التغييرات تؤذى مشاعر الحواريين الخاص الذين امتلئوا ولاء المسيحية الأصيلة .

نلمس هذه المشاعر بوضوح فى مقدمة إنجيل (برنابا) - وهو إنجيل لا يعترف به المسيحيون ولا يعدونه ضمن أسفار العهد الجديد .

يقول (برنابا) أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمته عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثير بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر به دائما مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم أيضا .

---

(١) آل عمران ، ٥٠

(٢) الدكتور رؤوف شلبى ، المسيحية الرابعة ، ص ٨١

بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا) .

ومهما يكن من شىء - فالمسيحية رغم كل ما دخل عليها من إضافات لا تزال نشيدا أخلاقيا تسوده فى أعطافه نبرة الحب .

وربما أمكن تحديد ما تضمنته من التشريعات الجديدة المتعلقة بالنظام الإجتماعى فى مسألتين اثنتين :

المسألة الأولى - هو منع تعدد الزوجات خلافا لما عليه كل من اليهودية والإسلام .

والمسألة الثانية - هى تحريم الطلاق إلا فى حالة الخيانة الزوجية خلافا للإسلام الذى يجعل الطلاق حقا مباحا للزوج مع الكراهة ، وخلافا لليهودية أيضا التى جعلت الطلاق هو القاعدة العامة التى لا تتخلف إلا فى إستثناءات قليلة .

وقد كفانا أحرار الفكر من النصارى أنفسهم مؤونة المقارنة بين الإسلام والمسيحية فى هاتين المسألتين .

فقد لاحظ هؤلاء الأحرار - أن الأخذ بالشريعة المسيحية فيهما قد أدى إلى مشكلات خطيرة زادت الواقع الاجتماعى تعقيدا ، ومن ثم - لم يعد لديهم شك فى ضرورة الأخذ بالنظام الإسلامى الذى يعد النظام الأمثل لتفادى هذه المشكلات .

وأكتفى هنا بعرض مثالين إثنين لهذا الموقف الجديد :

أحدهما - يتصل بتعدد الزوجات .

والآخر يتصل بمسألة الطلاق .

المثال الأول : فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وجدت ألمانيا نفسها أمام إحدى المشكلات المزعجة ، وهى وجود عدد رهيب من الأرامل اللاتى فقدن أزواجهن فى الحرب .

ووجود هذا العدد يشكل ولا شك عبئا على الإقتصاد القومى - لأن أكثر هؤلاء الأرامل لم يتعودن الخروج للعمل وكسب الرزق ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى - فإن وجود مثل هذا العدد من الأرامل يسبب مفاسد أخلاقية لا سبيل إلى تجاهلها أو الإغضاء عنها .

هذا فضلا عن أن فقد زهرة الشباب الألمانى فى الحرب إنما ينذر بوجود عدد آخر من العوانس الأمر الذى يترتب عليه مزيد من الفوضى والانحلال

وقد اجتمع البرلمان الألمانى - فتدارس هذا الموقف الخطير ، ونظر فى الحلول المقترحة لهذه المشكلة .

وانتهى الاجتماع الذى استمر عدة جلسات إلى ضرورة الأخذ بنظام تعدد الزوجات والعدول عما تفرضه الشريعة المسيحية من الاكتفاء بزوجة واحدة .

المثال الثانى : إجتمع البرلمان البرازيلى للنظر فى قانون الطلاق المستمد من المذهب الكاثوليكى ، وقد انتهى فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٧٧/٦/١٦ إلى ضرورة إباحة الطلاق للزوج . وفى الظروف التى يراها موجبة لذلك ، وإلغاء القانون المشار إليه وهو القانون الذى يحظر الطلاق حظرا تاما ، وذلك بأغلبية ١٩٠ عضوا ضد ٥٦ عضوا .

وهكذا - يقترب العالم إلى الشريعة الإسلامية كلما انقشع الهوى والتعصب وأحسن تصور الأمور والحكم عليها .

وأى شرع أحكم من شرع ارتضاه الله الإنسانية إلى يوم الدين ؟

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »[1] .

ولابد من التذكير بأن تعدد الزوجات ليس مباحا فى الإسلام على إطلاقه وإنما له قيوده وحدوده التى سبقت الإشارة إليها عند المقارنة مع اليهودية .

أما الطلاق - فهو فى الإسلام أشبه شىء بالعملية الجراحية التى لا يلجأ إليها الطبيب إلا إذا فشلت شتى الوسائل الممكنة .

وإلى الوسائل التى ينبغى التدرج فيها قبل الوصول إلى هذه العملية الحرجة المسماة بالطلاق - يشير قوله تعالى :

« واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ه وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا »[1] .

فإن فشلت كل هذه الوسائل وتعذر الإصلاح فى كل تلك المراحل - فقد صار الطلاق هو الضرورة المتعينة التى لا بديل لها ولا خيار فيها :

« وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما »[3] .

ويبقى الطلاق فى النهاية هو أبغض الحلال إلى الله كما يقول الحديث الشريف.

---

(١) المائدة ٣٠

(٢) النساء ، ٣٤ ، ٣٥

(٣) النساء ، ١٣٠

فخلاصة الموقف إذن ، أن المسيحية سلبت حرية الرجل فى التعدد والطلاق شكا منها فى أهليته لهذه الحرية .

بينما أعطاه الإسلام حقه الطبيعى فى ذلك مقترنا بمسئوليته الكاملة عن سوء استخدام هذا الحق .

فالفرق بين المسيحى والمسلم فى المثالين ، هو الفرق بين العبودية المقهورة والحرية المسئولة ، بين الغريزة المحبطة خوفا من جنوحها ، والعقل المخير ثقة بتمييزه ، بين القصور الصبيانى الذى لا قدرة له على التصرف ، والرجولة الكاملة التى استجمعت مقومات القيادة . فما أعظم الفرق ، وما أبعد المسافة .

(٣)

فى مجال الأخلاق

عرفنا - أن المسيحية فى جوهرها نمط من التعاليم الأخلاقية التى تحاول أن تحيى فى القلوب مشاعر المحبة والسلام .

وقد كان المجتمع الإسرائيلى إبان ظهور المسيح عليه السلام فى أشد الحاجة إلى أناس يعتنقون هذه التعاليم لبحث نوع من التوازن مع ما كان سائداً من القسوة والوحشية والعنصرية والحرص المسرف على جمع المال .

ومع ذلك - فلا بد من القول بأن الأخلاق المسيحية الجـــديدة كانت تتم بالتطرف الروحى الشديد فى مقابلة التطرف المادى الشديد الذى كانت تتسم به الأخلاق اليهودية السائدة .

أى أن الشخصية المسيحية قد استعلت برومانسيتها الحالمة على الإنسان بينما هبطت الشخصية اليهودية بماديتها الآثمة إلى مستوى الحيوان .

وتبرز شخصية المسلم بوسطيتها الرائعة بين تطرف أولئك وتطرف هؤلاء تطامن من قسوة اليهودى بروحانيتها الشفيفة . وتشد خول المسيحى بقوتها الصامدة .

إن المجتمع الإنسانى لا يتألف من ملائكة أطهار ، ولا من شياطين جبابرة فعلى المرء إذن أن يحمل فى يمينه سيف القوة ، وفى يساره غصن الزيتون .

ولهـــذا الإمتياز الرائع فى شخصية المسلم أبرز الله تعالى منه فى توراته

جانب الرحمة ، وأبرز منه فى إنجيله جانب القوة ، وعبر عن ذلك كله فى قرآنه حيث قال :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما »[1] .

فإذا أردنا للمقارنة أن نقف عند نقاط محددة من الأخلاق المسيحية فإن من أوضح هذه الأخلاق شيوعا فى الأناجيل : ١ - الزهد ٢ - السلام .

وسأخص كلا من الخلقين بكلمة قصيرة .

١ - الزهـــد :

الزهد فى المسيحية ، مقاومة عنيفة للميول الطبيعية فى الإنسان ، وقد نشأ عنه نظام الرهبانية الذى يحرم الزواج على الرهبان .

ولم يطق الرهبان صبرا على هذا الكبت الذى يتصادم مع الطبيعة الإنسانية فبدأوا يتصلون بالراهبات اتصالا آثما إنطلقت فيه غرائزهم المكبوتة ورغباتهم المحبطة ، وقد أطلقوا على هذا اللون من الاتصال إسم (المساكنة الروحية) .

ولعل ذلك النظام التعسفى الذى لم يطيقوا الصبر عليه ، هو المشار إليه فى قوله سبحانه متحدثا عن أتباع المسيح عليه السلام :

« وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها

---

(١) سورة الفتح ، ٢٩

عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون »[1] .

وقد ذكرنا ، أن هذا الفساد الأخلاقي الذى نشأ عن نظام الرهبانية كان أحد الأسباب المباشرة لحركة الإصلاح الدينى التى قام بها (مارتن لوثر) .

فإذا ما انتقلنا إلى الزهد الإسلامى ، لم نجد فيه هذا القهر القاسى لميول النفس ولا هذه المقاومة العنيفة لرغباتها المشروعة ، ذلك لأن النظرة الإسلامية تقيم الزهد على أساس التفرقة بين المشروع والممنوع أو بين الحلال والحرام وهى نظرة تضع فى اعتبارها دائما المطالب الملحة للطبيعة البشرية والحدود الضرورية للمجتمع الآمن ، ومن ثم ، كان المقصود بالزهد فى الإسلام ، هو الزهد فيما ورد بتحريمه نص أو حامت حوله شبهة .

أما ما وراء ذلك ، فلا بأس أن ينال المرء منه ما يشاء مع مراعاة القصد حفاظا على صحة البدن قبل أى اعتبار آخر .

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون « قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »[2] .

إن استيفاء المرء نصيبه من طيبات الحياة لا يتنافى مع زهده ، بل ولا يعوقه عن بلوغ الدرجة القصوى فى تقوى الله تعالى وخشيته .

---

(١) سورة الحديد ، ٢٩

(٢) سورة الأعراف ، الآيات ٣١ : ٣٣

ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : أن أخذ النفس بما لا تطيق من ألوان الزهد في الحلال ـ ربما ألقى بالمرء إلى طريق غير طريق المسلمين .

فقد انطلق ثلاثة إلى بيت النبي ﷺ ـ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، فقالوا : ما لنا ورسول الله ﷺ ـ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثاني : وأما أنا ـ فأقوم الليل ولا أنام .

وقال الثالث : أما أنا ـ فلا أتزوج النساء .

فلما بلغ أمرهم رسول الله وإمام الزاهدين ـ قال لهم : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، قالوا نعم ، قال : أما والله إني أتقاكم لله ولكني أصوم وأفطر وأصلي من الليل وأنام ، وأتزوج النساء ـ فمن رغب عن سنتي فليس مني .

فالزهد الإسلامي إذن ـ تسام ميسور عند المسلم لا مكان فيه للقلق والتوتر والعقد النفسية .

أما الزهد المسيحي ـ فيقتصر الطريق إلى ذلك كله بكبت العواطف الطبيعية وإحباط الرغبات المشروعة ريثما تتاح لها فرصة المساكنة الروحية .

٢ ـ السلام :

السلام في المسيحية ـ نوع من البطولة الرواقية الزائفة ، أو الصبر البوذي المهين .

إنه السلام الذليل الذي يفرض على المسيحي أن يقابل إساءة أعدائه بثغر باسم ويتلقى طعناتهم القاسية بالصفح والإحسان .

سلام يسلب المسيحي ملكيته حتى لثوبه ورداءه ، ويسلبه حريته حتى

فى اختيار طريقه وتوجيه خطواته ، ويسلبه حقه حتى فى حماية بدنه وحفظ كرامته : (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن نازعك ثوبك فأعطه الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا فسر معه ميلين) .

ولم يكن الإسلام ليضيع الفرصة كاملة أمام البغاة وقطاع الطريق ويشجع المعتدين على هذا النحو فيزدادوا عدوانا وإثما .

لم يكن ليقبل مهانة الشرفاء وذل الأتقياء على هذا النحو المزرى بدعوى الموادعة أو السلام ، فإن الإنسان ليس جهازا آليا تملى عليه الأوامر فلا يملك إلا الطاعة ولا يستطيع إلا التنفيذ ، ولكنه كيان نفسى فائر بالمشاعر والأحاسيس ، ومن حقه - أن تحترم مشاعره وتصان كرامته .

من حقه - بل ومن حق المجتمع أيضا - أن تكفل له الدولة الفرصة المناسبة للقصاص من ظالمه : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »(١).

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »(٢) .

ومع ذلك - فلا يزال الإسلام يرغبه فى أن يتسامى باختياره المطلق وحريته الكاملة فوق إرادة الثأر وشهوة الانتقام فيعفو عن ظالمه عفو القادرين لا عفو العاجزين محتسبا أجر عفوه عند من لا يضيع أجر المحسنين :

« وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »(٣) .

---

(١) البقرة ، الآية ١٩٤

(٢) سورة البقرة ، ١٧٩

(٣) سورة آل عمران ، ١٣٣ ، ١٣٤

« وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين »[1].

« والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور »[2].

وهكذا يخير الإسلام المظلوم بين مبدأى العدل والفضل ، فإن شاء أخذ بحقه عزيزا عادلا ، وإن شاء تنازل عنه كريما متفضلا .

هذا سلام القادرين القادرين على صد الظلم ودرء العدوان .
القادرين فى الوقت نفسه على إصدار العفو وفعل الإحسان .

فأين منه سلام العاجزين الذين شلت المسيحية أيديهم عن حماية أنفسهم وصيانة كرامتهم ، وشلت ألسنتهم أمام ظالميهم إلا أن تهتف فى همس ذليل بكلمة شكر زائف على الحق الضائع والشرف المهان .

عند هذا الحد تنتهى مقارنتنا بين الإسلام والمسيحية فى مجالات (العقيدة والشريعة والأخلاق) ومنها نستطيع أن نخلص إلى النتائج العامة التالية :

١ - شذت المسيحية عن سائر الأديان السماوية بخروجها عن مبدأ التوحيد وتقريرها الثالوث الإلهى ، وحرص الإسلام على تأكيد ما قررته الأديان السماوية السابقة من أمر التوحيد .

---

(١) سورة النحل ، ١٢٦
(٢) سورة الشورى ، الآيات ٣٩ : ٤٣

٢ - إرتفعت المسيحية بنبيها عن مستوى البشرية حيث زعمت بنوته لله عز وجل ، ووائم الإسلام فى نبيه بل وفى سائر الأنبياء عليهم السلام بين النبوة ومقام البشرية الخالصة .

٣ - قررت المسيحية - أن (عيسى) عليه السلام هو الذى سوف يحاسب الناس يوم القيامة وذلك إمعانا منها فى تأليهه ، ووكل الإســـلام ذلك إلى الله سبحانه بناء على علمه وقدرته وعدله وحكمته .

٤ - نحت المسيحية فى حظر الطلاق وتعدد الزوجات منحى غير واقعى يقوم على أساس الشك فى أهلية الرجل لممارسة حقه الطبيعى ، وكانت نظرة الإسلام واقعية حكيمة تحقق خير الأسرة والمجتمع على السواء .

٥ - تجاهلت المسيحية دوافع الفرد وحاجاته النفسية ، وأولت الأخلاق الإسلامية تلك الدوافع والحاجات ما تستحقه من الرعاية والاهتمام .

فإذا أضفنا هذه النتائج إلى النتائج التى سبق استخلاصها من المقارنة بين الإسلام واليهودية ظهر لنا إلى أى حد بلغ الإسلام من العظمة والشموخ ومن الأصالة والمواءمة وتأكد لدينا - أن هذا الدين بمبادئه القويمة وقيمه السامية هو الطريق الأمثل لتحقيق خير الفرد والجماعة وسعادة الدنيا والآخرة :

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »[1] .

---

(١) سورة الأنعام ، ١٥٣

خاتمـــة

لن يطفئوا النـــور

هأنت أيها القارىء العزيز قد طفت معنا بين الأديان وتبين لك ـ أن الإسلام هو الدين الحق ـ فتعين هذا الدين سبيلا للنجاة وطريقا للخلاص .

وقد كان أهل الكتاب أجدر الناس جميعا بالإقبال على هذا الدين والولاء له، وذلك لما تأكد من مراجعة كتبهم المقدسة من حقيقة هذا الدين .

بل لقد كان فى موقف الإسلام نفسه من أهل الكتاب ما ينبغى أن يجتذبهم إليه ويؤلفهم حوله . ولكن الذى حدث كان على العكس تماما ، فقد تحينوا كل فرصة مناسبة للتآمر ضده والنيل منه .

لقد امتد نور الإسلام إلى أقطار شتى وأمم مختلفة فحضر أناسا لا شأن لهم بالحضارة وطبق آفاقا لا عهد لها بالنور .

لقد انتشرت المآذن الشاهقة هنا وهناك حتى أوشكت أن تهز بكلمة التوحيد ثالوث فرنسا وتزلزل وثنية الصين .

وفى طريق زحفه الجـــائح غزا أفئدة رانت عليها اليهودية بماديتها الصفيقة أو صقلتها المسيحية بروحانيتها الحالمة ، وبين هذه وتلك ـ أفئدة تحطمت على صخر عنادها السافر وأخرى دفعت أصحابها إلى اللياذ بكهوف الأمان فى هدوء .

ولم يكن آمن لهؤلاء الكتابيين من التستر بالإسلام ، أو التظاهر بالمسالمة فإن ذلك وحده كاف الرفق بهم والإحسان إليهم إستجابة لأمر الله وأمر رسوله .

وهؤلاء الهاربون بأنفسهم من وجه الزحف العظيم - المتمسون أمنهم في كهوف الصمت ومغاور المماثمة هم الذين خططوا للنيل من الإسلام وحلموا بالقضاء عليه .

وكان نشاطهم يعتصم بالخفاء غالبا ويتبجح بالظهور أحيانا ، وهذا يتوقف على يقظة المسلمين أو غفلتهم ، وعلى قوتهم أو ضعفهم .

وقد قام اليهود والنصارى بأدوار متفاوتة في هذا النشاط وإن غلبت على النشاط اليهودي سمة التخطيط السري ، وغلبت على النشاط المسيحي سمة المواجهة السافرة .

ونستطيع أن نجمل المظاهر البارزة لهذا النشاط بشكل عام على النحو التالي:

١ - حركة إدخال الإسرائيليات في الثقافة الإسلامية .

٢ - توجيه المطاعن إلى الإسلام .

٣ - تشجيع الجماعات الخارجة على الإسلام .

٤ - إذكاء العصبية الدينية ضد الإسلام .

وسنخص كلا من هذه المظاهر الأربعة بكلمة قصيرة .

١ - إدخال الإسرائيليات في الثقافة الإسلامية :

وقف اليهود في وجه الإسلام يقاومون مده الزاحف إلى الحواضر والبوادي ونوره الدافق في الأفئدة والقلوب - مرة بسيوف حفزها لهب الكراهية ، وأخرى بألسنة تقطر منها بذاءة السفهاء .

ولكن النور الدافق لم يزدد إلا تألقا ، والزحف المبارك لم يزدد إلا تقدما وانطلاقا .

ولم يجد أولئك الحاقدون بدا من أن ينصرفوا عن ميدان المواجهة بعد أن سقطت فيه رؤوسهم المتعجرفة وخرست ألسنتهم السليطة .

فلاذت البقـــايا المقهورة بالصمت وهى ترتقب أنسب الفرص لاستئناف سعيها الخبيث .

وانبعث شعاع الأمل الآثم بين ركام الأحقاد المنتنة والعداوات الموروثة . بعد مقتل (عمر) رضى الله عنه .

فقد تبدلت حال الخلافة من شدة وحزم إلى تسامح ولين .

وتبدل الطابع العام فى الأمة الإسلامية من الحرص على دين الله والتمسك بهدى نبيه إلى الرغبة فى زخارف الدنيا والإقبال على متع الحياة .

وانطلق خفافيش الظلام يستأنفون سعيهم الخبيث ضد الإسلام ، ولكنهم كانوا قد تعلموا من السنوات التى أربت على الثلاثين ـ أنه لا قبـــل لأمثالهم بالمواجهة العلنية للدين الجديد ، فما كانوا أقوى شوكة من الفرس ولا أعز جندا من الروم ، وقد سقطت قلاع الدولتين تباعا فى أيدى المسلمين حتى لكأنهم مع النصر على ميعاد .

أقوم السبل إذن ـ أن يلجئوا إلى الدس الخفى والتدبير المحكم والتخطيط المرحلى المحسوب ـ وهى أساليب أجادها اليهود أكثر من غيرهم وشهد لهم التاريخ فى اصطناعها بسعة الباع ورسوخ القدم .

وكان أخطر ما أسفرت عنه مؤتمراتهم ومؤامراتهم ـ أن أقحموا على السنة الشريفة كثيراً من الإسرائيليات الهدامة التى صارت مع الأيام جزءاً من السنة يصعب تمييزه من الأحاديث الصحيحة .

وسرعان ما تسللت هذه الإسرائيليات إلى كتب العقيدة والتفسير وصارت

جزءاً لا ينفصل من عقليتنا العربية الممتدة أو من ثقافتنا الإسلامية الموروثة ، وانعكس أثرها على طرق تفكيرنا وأساليب حياتنا فبعد بنا قليلا أو كثيراً عن جوهر ديننا الأصيل .

وقد تم ذلك كله عن طريق بعض اليهود الذين تظاهروا باعتناق الإسلام وأخذوا يمارسون دورهم الخطير دون أن تحوم حول نزاهتهم شبهة أو يرقى إلى ورعهم اتهام .

على أن الدائرة لم تلبث أن اتسعت لتشمل بعض المسيحيين الذين أسهموا في هذا النشاط الهدام بوعى كامل ، وبعض المسلمين الذين أسهموا فيه أيضا دون وعى بطبيعته ولا بصر بنتائجه .

ولعل في رسوخ عقيدتى رفع (عيسى) عليه السلام إلى السماء بجسده وروحه، ونزوله آخر الزمان على نحو ما بيناه في موضعه من هذه الدراسة ـ لعل في رسوخ هاتين العقيدتين في أذهان المسلمين ما يمثل شاهدا قريبا لتسلل الإسرائيليات إلى الثقافة الاسلامية .

٢ — توجيه المطاعن إلى الإسلام :

اهتم المستشرقون والمبشرون بدراسة الإسلام لا نشدانا لما فيـــه من معالم الحق ، ولا التماسا لما تضمنه من أسباب الهداية ، وإنما محاولة لتصيد بعض النقاط التى يمكنهم من خلالها الطعن على الإسلام ، وذلك باصطناع وجوه غريبة من التفسير الذى لا يتفق مطلقا مع الفهم المستقيم لمبادىء الإسلام .

ومن أشهر المطاعن التى وجهت إلى الإسلام والتى تنم عن كثير من سوء الفهم وكثير من سوء القصد أيضا ـ نذكر ما يأتى :

(أ) لم يلتزم الإسلام فى دعوته بمنطق الحوار الحر والاقناع العقلى ، وإنما أكره الناس بقوة السيف على قبول مبادئه ، ولولا ذلك ما أتيح له شىء من الانتشار .

(ب) كان نبى الإسلام رجلا مكبا على شهواته غارقا فى ملذاته ، وأقوى الأدلة على ذلك أنه لم يكتف بزوجة واحدة ولا حتى بأربع زوجات كما شرع لأتباعه وإنما جمع فى عصمته بين أكثر من عشر زوجات فى وقت واحد .

(ج) مبدأ تعدد الزوجات فى الإسلام ، وكذا مبدأ إباحة الطلاق عبث بكرامة المرأة واستمساك بعهد الحريم ـ فضلا عما فى المبدأين من إطلاق العنان لشهوات الرجل ونزواته .

ولا نطيل بالاسترسال فى عرض هذه الدعاوى السخيفة التى لا تستند إلى حجة ولا تقوم على أى أساس غير أساس الكراهية المسرفة والحقد الشديد ، ولكننا نود فقط الإشارة إلى بعض أمثلة هذه الحملات المسعورة :

فن ذلك ـ مقالات الكاتب الفرنسى (هانوتو) وهى مقالات اشتهر أمرها فى مصر أوائل هذا القرن .

ومن ذلك أيضا ـ لقاءات القساوسة بالشيخ (رحمت الله الهندى) حيث أوردوا إعتراضـــاتهم الآثمة على الإسلام ، وقد لخص الشيخ ما دار فى هذه اللقاءات فى الصفحات الأخيرة من كتابه (إظهار الحق) .

ولا ننسى حملة القس (باسيليوس إسحق) فى كتابه المسمى بالحق وقد سبقت الإشارة إلى شىء من إفتراءاته على الإسلام .

٣ ـــ تشجيع الجماعات الخارجة على الإسلام :

تعاقبت في العالم الإسلامي الحركات الهــــدامة التي تقوم بها جماعات ضالة

تتستر بالإسلام وتدعو باسمه إلى مبادىء غريبة ليست من الإسلام فى شىء ، بل إنها لتناقض صراحة تعاليمه ومبادئه

فإذا ما ذهبنا نلتمس تعليلا مقبولا لظهور هذه الجماعات وتألق دعواتها ولو فى حيز محدود من الأرض ولحين قصير من الزمان - فإن أقوى ما يطالعنا من ذلك سببان أساسيان :

السبب الأول - سوء معرفة المسلمين بدينهم وضعف صلتهم به الأمر الذى يشكل التربة المناسبة لزراعة الاتجاهات الشاذة والمبادىء الهدامة باسم الإسلام .

أما السبب الثانى - وهو الذى يهمنا هنا - فهو وقوف أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وراء هذه الجماعات الضالة وتأييدهم لها بكل ما تحتاج إليه من ألوان الدعم المادى والأدبى .

ونذكر من هذه الجماعات على سبيل المثال جماعتين لا يزال لهما نشاطهما الخطير إلى اليوم وهاتان الجماعتان هما :

(أ) البهائية[1] .

(ب) القديانية .

---

(١) ظهرت هذه الفرقة أول الأمر فى مدينة شيراز الإيرانية ، وتدين بآرائها لثلاثة شخصيات هامة هى :

(أ) ميرزى على بن محمد بن رضا البزاز الملقب بالباب والمولود سنة ١٨١٩ وقد قتل سنة ١٨٤٧

(ب) الحسين بن الباب الملقب بالبهاء ومات سنة ١٨٩١

(ج) عباس بن الحسين الملقب بعبد البهاء ومات سنة ١٩٢٢

(ا) البهائية :

اتجهت البهائية منذ بدايتها إلى طمس حقيقة الاسـلام بتقرير مجموعة من المبادىء الفاسدة فى مجالات العقيدة والشريعة والأخلاق .

فالإله يتجسد فى أشخاص الانبياء ، بل وفى أشخاص أئمة البهائيين كذلك على نحو ما يقرره مذهب الحلول .

والغيبيات حقائق مرموزة ينبغى إستنباطها من وراء العبارات . فانفطار السماء هو نسخ الأديان السابقة ، والدجال - هو ((يحيى)) أخو البهاء ومنافسه بغير حق ، وتكوير الشمس وانكدار النجوم - هو إضلال العلماء واحتجابهم الحقائق الدينية بالأوهام ، وصحف الأعمال - هى الصحف السيارة ، والقيامة قيامتان صغرى وكبرى فالصغرى هى حلول الروح الإلهى فى هيكل بشرى بظهور أحد الأنبياء ، أما الكبرى فهى ظهور الباب بدعوته سنة ١٨٤٣

والعبادات فى البهائية وضع يختلف كثيراً عن وضعها فى الاسلام .

فالصلاة - تسع ركعات فى اليوم والليلة ، ونصاب الزكاة مائة مثقال من الذهب أو ما يساويها من الفضة وعلى من يملكها أن يخرج تسعة عشر مثقالا ، والصوم تسعة عشر يوما فى العام ، والحج إلى قصر إمام البهائية فى حياته وإلى قبره بعد وفاته ، وقد أوصى البهائية بهدم الكعبة وهدم جميع مزارات الانبياء والأولياء .

وتبيح الشريعة البهائية - أن يتزوج الرجل بنته أو أخته أو عمته أو خالته أو ما شاء من المحارم فيما عدا الأم ، والطلاق تسعة عشرة طلقة .

ومن اقترف ذنبا لا تقبل توبته إلا إذا هجر زوجته شهرا كاملا ، والشهر تسعة عشر يوما ، كما أن السنة تسعة عشر شهرا .

وكفارة الزنى - تسعة مثاقيل تدفع إلى بيت العدل وهو أحد المنشآت البهائية.

وتجيز البهائية الربا بلا تحديد أو تقييد.

إلى آخر هذه المبادىء المسرفة فى الشطط والضلال.

ويهمنا هنا - أن نشير إلى العلاقة بين هذه الجماعة وبين اليهود. وربما ظهر ذلك من ملاحظة إتفاق البهائية مع اليهودية فى بعض المبادىء.

على أن البهائية قد فضحت نفسها وكشفت عن قوة هذه العلاقة وعمقها وذلك حين نادى (عبد البهاء) بضرورة التفاف العالم كله حول دين واحد بهدف القضاء على الصراعات الدينية، وقد اختار (عبد البهاء) اليهودية من بين جميع الأديان لتكون هى دين العالم كله.

بل إن (عبد البهاء) نفسه قد تنبأ بقيام الدولة اليهودية فى فلسطين. فلما قامت دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ - هلل البهائيون لذلك واعتبروه معجزة من معجزات (عبد البهاء).

(ب) القديانية(١) :

ادعى القديانى النبوة، وزعم أنه هو الذى بشر به المسيح فيما حكاه عنه القرآن حين قال: «ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد». وفسر القرآن تفسيراً غريبا يتفق مع دعواه الفاسدة.

من ذلك - تفسيره الخاتم فى قوله تعالى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» بالزينة.

---

(١) تنسب القديانية إلى مؤسسها (مرزى غلام أحمد) الذى عاش فى قديان التابعة لاقليم (بنجاب) بالهند، وقد ولد سنة ١٨٣٩ ومات سنة ١٩٠٨

فمحمد لم تختم به الأنبياء - إذ النبوات فضل من الله ، وبما أن فضل الله لا ينتهى فكذلك النبوات لا تنقطع من بنى آدم - وغاية ما يقال عن محمد هو أنه زينة الأنبياء كما أن الخاتم زينة اليد وهذا هو ما تشير إليه الآية فيما يزعم القديانى .

بل لقد ادعى القديانى أنه قد أوحى إليه بكتاب خير من القرآن وهو كتاب (البيان) .

وقد أبطل ذلك المأفون فريضة الجهاد وقرر ذلك أن الحج إنما هو إلى قديان لا إلى الكعبة .

وله كتب كثيرة ، كما استطاع أن يصدر عددا من الصحف والمجلات تنشر تعاليمه وتروج لمبادئه .

كذلك أنشأ عدة مراكز لنشر القديانية فى آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو : كيف استطاع القديانى بموارده المحدودة جداً أن يمول هذه الحركة الواسعة ويهيء لها سبل الانتشار السريع على هذا النحو ؟

والجواب على هذا السؤال الهام فى غاية اليسر ، فلقد كانت الحكومة الإنجليزية - هى أكبر مصدر للتمويل إعتمدت عليه القديانية سواء فى حياة القديانى أو بعد وفاته .

والقديانى نفسه لا يسعه إلا الاعتراف بهذه الحقيقة فيما ينشره من كتب وما يلقيه من خطب ، فهو يقول مثلا : (لقد ألفت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردية أثبت فيها أنه لا يحل الجهاد أصلا ضد الحكومة الإنجليزية

التي أحسنت إلينا ، بل بالعكس من ذلك يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص .

وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالا كبيرة ، أرسلتها إلى البلاد الإسلامية وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً عظيما فى أهل هذه البلاد — الهند — وقد كون أتباعى جماعة تفيض قلوبهم إخلاصا لهذه الحكومة ، والنصح لها) .

ومعنى ذلك — أن (إنجلترا) المسيحية هى التى احتضنت القديانية وشجعتها كما شجع اليهود والصهيونية العالمية الحركة البهائية ، فلا عجب أن سبح القدياني بحمد الانجليز — كما سبح (عبد البهاء) بحمد اليهود .

والغرض الأساسى لهذا التشجيع فى الموقفين واحد وهو إضعاف المسلمين وتشويه معالم الإسلام .

٤ — إزكاء العصبية الدينية ضد الإسلام :

بالرغم من تسامح الإسلام مع اليهود والنصارى ودعوته الدائمة إلى الرفق بهم والإحسان إليهم كما مر بيانه، بالرغم من كل هذا - فإنهم يغتنمون كل فرصة سانحة لإثارة المشاعر الدينية ضد الإسلام وأبنائه ، وربما خلقوا هذه الفرصة إن لم تكن موجودة بالفعل .

وكلنا يذكر أيضا أن الحروب الصليبية على الشرق الاسلامى التى استمرت أكثر من قرنين كان وراءها إحساس حاد بالعنصرية الدينية .

وكلنا يذكر — أن قيام دولة إسرائيل كان علـى أساس من العنصرية الدينية المتطرفة وأن تعامل هذه الدولة مع جيرانها ورعاياها من المسلمين قائم على هذا الأساس من التطرف الديني .

وما يحدث فى الفلبين من إضطهاد المسيحيين المسلمين وإيذائهم لهم - مثل آخر لهذا الشعور المتطرف بالتعصب الدينى .

بل إن بعض الأقليات المسيحية أو اليهودية فى البلاد الاسلامية تحاول أن تكتل نفسها ضد الاسلام وتخطط للإيقاع به والقضاء عليه .

وفى مصر رغم التزام المسلمين بمقتضيات الوحدة الوطنية ومعاملتهم للأقلية المسيحية بما تمليه عليهم تعاليم دينهم من الكرم وحسن المعاشرة - إلا أنه تحدث أحيانا من هذه الأقلية بعض التجاوزات التى لا تتفق مع هذه المعاملة الكريمة من قبل المسلمين .

وقد نقل الأستاذ (محمد عبد اللطيف الخطيب) مضمون خطاب ألقاه البابا (شنودة) فى الكنيسة المرقسية الكبرى يكشف عن حقيقة المشاعر العدوانية تجاه المسلمين ، فقد أذاع البابا فى هذا الخطاب ضرورة تحريم تحديد النسل على الأقباط وإذاعة حله بين جمهرة المسلمين - لأنه يريد أن يزداد عدد المسيحيين ، ويقل عدد المسلمين .

وطالب البابا فى خطابه أيضا بأن تكون لهم ثمانى وزارات يملؤها مسيحيون دون المسلمين ، وأن يكون للبابا مركز خاص فى البروتوكول بعد رئيس الجمهورية مباشرة وقبل رئيس وزراء هذه الأمة المسلمة وأن يخصص للمسيحيين ربع القيادات العليا فى الجيش والبوليس ، وأن يكون لهم أيضا ربع المراكز القيادية المدنية : كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين ووكلاء الوزارات والمديرين العامين ورؤساء مجالس المدن ، وأن يستشار البابا عند شغل هذه النسبه : فى الوزارات والمراكز العسكريه والمدنيه ويكون له حق ترشيح بعض العناصر والتعديل فيها .

وقد أعلن فى ختام خطابه - أن أمامهم الأكبر هو عودة البلاد والأراضى إلى أصحابها من الغزاة المسلمين[1] .

ويذكر الأستاذ الخطيب - أن لديه نص الخطاب ولكنه يكتفى بعرض المضمون خشية الإطالة .

وبعد - فهذه هى أهم المحاور التى تدور بينها محاولات أهل الكتاب القضاء على الإسلام .

ولكن الله يقيض فى كل عصر من يأخذون على عاتقهم كشف هذه المحاولات وحماية دينه مما يحاك له من شر ويراد به من نكر .

فالاسرائيليات - يتصدى لها علماء أفذاذ ينبهون عليها ويحذرون منها .

كما فعل المرحوم الدكتور (الذهبى) فى كتابه الاسرائيليات فى التفسير .

والمطاعن على الرغم من تهافتها وضعفها تجد من يرد عليها ويكشف زيفها كما فعل الشيخ (رحمت الله) فى رده على القساوسة . والشيخ (محمد عبده) فى رده على (هانوتو) بكتاب سماه (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) .

وكما فعل أيضا الشيخ (محمد عبد اللطيف الخطيب) فى رده على القس (باسيليوس إسحق) بكتابه المسمى (هذا هو الحق) .

والفرق الإسلامية الضالة يعلو أمرها حينا ، ثم لا يلبث أن يئول إلى هبوط واضمحلال .

---

(١) هذا هو الحق ، ص ٢٨ ، ٢٩

أما العصبية الدينية التى يلجأ أقطاب اليهود والنصارى إلى إذكائها رهبة فى الوعامة - فجذوة لا تكاد تتقد حتى يطفئها التسامح الإسلامى الذى يذكر بكلمة السيد المسيح : (أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم) .

ولكنه هنا - تسامح القادرين الشرفاء ، لا تسامح العاجزين الأذلاء .

وبهذا التسامح الإسلامى الرائع - تنقشع الغيوم الداكنة ، والقلوب الغث العمياء . وتخفق رايات الأخوة من جديد .

وما كان أصدق قول الحق فى كتابه العزيز :

« إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »[1] .

وتمضى المحاولات الحاقدة ، ولكن دين الله طود راسخ لا تنال منه صروف الليالى وأحداث الزمان ، ونور ساطع لا يحجبه غبار الباطل ولا يطفئه نفخ الأفواه .

وسيبقى النور ساطعا حتى يبدد كل ظلمة، وسيبقى الطود راسخا حتى تتحطم عليه معاول الحق وتدمى أكف الحاقدين ،

لقد وعد الله - ومن أصدق من الله وعدا - لو كانوا يعقلون ؟

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[2] .

---

(١) سورة فصلت ، ٣٤

(٢) سورة الحجر ، آية ٩

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[١] .

(١) سورة التوبة ، الآيتان ٣٢ ، ٣٣

المراجع

١ - القرآن الكريم .

العهد القديم

٢ - التوراة .

٣ - مجموعة أخرى من أسفار العهد القديم .

العهد الجديد

٤ - إنجيل متى .

٥ - إنجيل مرقص .

٦ - إنجيل لوقا .

٧ إنجيل يوحنا .

٨ - رسائل بولس .

٩ - الرسائل الكاثوليكية .

١٠ - سفر أعمال الرسل ، للوقا .

١١ - سفر الرؤيا ، ليوحنا ،

الدكتور إبراهيم بسيونى

١٢ - نشأة التصوف الإسلامى ، دار المعارف المصرية ، ١٩٦٩ .

أحمد أمين بالاشتراك مع الدكتور زكى نجيب محمود

١٣ - قصة الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، السلسلة

أبو الحسن أحمد بن الحسين الزيدى

١٤ - إثبات نبوة النبى (ﷺ) .
تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج ، دار التراث العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٩ .

الدكتور أحمد شلبى

١٥ - اليهودية .
مكتبة النهضة المصرية ، ٩ شارع عدلى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ .

١٦ - المسيحية .
النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٣ .

١٧ - أديان الهند الكبرى .
النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ .

الدكتور أحمد عبد القادر الجمال

١٨ - دراسات فى النظم الاجتماعية والسياسية .
النهضة المصريه ، الطبعه الأولى ، ١٩٥٦ .

البيرونى - محمد بن أحمد أبو الريحان

١٩ - الفلسفه الهنديه .
راجعه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود ، عثمان عبد المنعم يوسف .

ابن حزم الأندلسى

٢٠ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل .
مكتبه محمد على صبيح وأولاده ، ميدان الأزهر بالقاهرة ، ١٩٥٤ .

الدكتور حسن ظاظا وآخرون

٢١ - الصهيونيه العالميه وإسرائيل .
الهيئة العامة للكتب والأجهزة العلمية سنة ٢٩٧١ .

الدكتور رؤوف شلبى

٢٢ - المسيحيه الرابعه .
مكتبه الأزهر ، ١٣٠ شارع جوهر القائد بالقاهرة ،الطبعه الأولى ١٩٧٩

الشيخ رحمت الله بن خليل الهندى

٢٣ - إظهار الحق .
تقديم وتحقيق وتعليق - الدكتور أحمد حجازى السقا . دار التراث العربى للطباعه والنشر ، ميدان المشهد الحسينى بالقاهرة ، ١٩٧٧ .

ابن رشد

١٤ - تهافت التهافت .
تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، ذخائر العرب .

الزمخشرى

٢٥ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل .
مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة .

سعيد حوى

٢٦ - الرسول ﷺ ، الجزء الأول .
مكتبة وهبه ، ١٣ شارع الجمهوريه بعابدين القاهرة .

سبينوزا

٢٧ - رسالة فى اللاهوت والسياسه .

ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفى ، مراجعه الدكتور فؤاد زكريا ، الهيئه المصريه العامه للتأليف والنشر ، سنة ١٩٧١ .

الشهرستانى

٢٨ - الملل والنحل .

تخريج محمد بن فتح الله بدران . مكتبه الانجلو المصريه ، ١٦٥ شارع محمد فريد بالقاهرة ، الطبعه الثانيه .

شوقى عبد الناصر

٢٩ - بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود .

دار التعاون للطبع والنشر .

عبـــاس العقاد

٣٠ - الله .

دار المعارف بمصر ، الطبعه السادسه ١٩٦٩ .

٣١ - حياة المسيح فى التاريخ وكشوف العصر الحديث .

دار الهلال .

٣٢ - عبقريه المسيح .

دار نهضه مصر للطبع والنشر ، الطبعه الثالثه ١٩٧٣

عبد الله حسين

٣٣ - المسألة اليهوديه بين الامم الغربيه والاجنبيه

مطبعه أبو الهول ، ١ درب الهنيه ، شارع محمد على بالقاهرة

الدكتور على عبد الواحد وافى

٣٤ - الأسفار المقدسه فى الأديان السابقه للإسلام
دار نهضه مصر للطبع والنشر ، الفجالة بالقاهرة سنه ١٩٧١

القرطبى — محمد بن أحمد الانصارى

٣٥ - التفسير الجامع لأحكام القرآن
دار الشعب .

ابن كثير — الحافظ عماد الدين

٣٦ - تفسير القرآن العظيم .
دار الفكر العربى ببيروت .

الشيخ محمد أبو زهرة

٣٧ - مقارنات الأديان القديمة .
دار الفكر العربى ١٩٦٥ .

الدكتور محمد أبو الغيط الفرت

٣٨ - بولس والمسيحيه .
الطبعه الأولى سنه ١٩٨٠

الدكتور محمد جابر عبد العال الحينى

٣٩ - فى العقائد والأديان .
الهيئه المصريه العامه للتأليف والنشر ١٩٧١

الشيخ محمد الخضرى

٤٠ - نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين
المكتبه التجاريه الكبرى بمصر ، الطبعه الرابعه والعشرون سنه ١٩٦٩

محمد خليفه التونسى

٤١ - الخطر اليهودى بروتوكولات حكماء صهيون
تقويم عباس محمود العقاد .
دار الكتاب العربى ببيروت ، الطبعه الرابعة .

الدكتور محمد خليل هراس

٤٢ - فصل المقال فى رفع عيسى عليه السلام حيا وفى نزوله وقتله الدجال .
الطبعه الأولى ١٩٦٩

محمد رشيد رضا

٤٣ - تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير المنار
دار المنار ، شارع درب الجماميز بالقاهرة ، ١٢٢٤

محمد عبد اللطيف الخطيب

٤٤ - هذا هو الحق رد على مفتريات كاهن كنيسة
المكتبة المصرية ، سوق الأوقاف بأرض شريف بالقاهرة ، الطبعه الثانية
١٩٧٩

الدكتور محمد غلاب

٤٥ - الفلسفه الإغريقية
الأنجلو المصريه ، الطبعة الثانية

محمد مجدى مرجان

٤٦ - الله واحد أم ثالوث .

دار النهضة العربية ، ٤٤ شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة ، ١٩٧٢

الدكتور محمود محمد مزروعة

٤٧ - دراسات فى الملل والنحل ، ١٩٧١

ولـــز

٤٨ - معالم تاريخ الإنسانية

ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد

لجنه التأليف والترجمه والنشر ، الطبعه الثالثه ، ١٩٧٢ .

تصويب

الصواب	الخطأ	رقم السطر	رقم الصفحة
ومن هنا نعلم سر جريان	ومن هنا نعلم جريان	٩	٢٣
أربعاً من النسوة	أربعة من النسوة	١٧	٢٨
للذلك	لذلكم	١	٣١
(سفرا أخبار الأيام) (أسفار عزرا)	(أسفاراً أخبار الأيام) (سفرا عزرا)	٣	٤٧
وقد استطاعت	فقد استطاعت	١٨	٥١
مسارح هزلية	مسارح هزيلة	١٢	٧٥
مع	مرجع	١٣	٨٤
أأنت	تألفت	٢	٩٨
فليس له ، أين يسند رأسه ؟	فليس له ابن يسند رأسه	٣	١٢٢
التوفيق بينهما .	التوفيق بينهما	١٥	١٢٦
باب البحث فى الدين تماما فهو يقول	الباب أما فهو يقول	١٣	١٧٦
الدهريون	الدهريين	٥	١٧٩
مناقضة بياناته	مناقضة بيانه	٥	١٩٢
الانجليزى المعروف وليم شكسبير على	الانجليزى المعروف على	٨	٢٠٦
أحدهما	فأحدهما	١٥	٢٧٤
عليه السلام إلى الطوفان على وفق	عليه السلام على وفق	١٤	٢٧٦
المصرية	المصريات	١٧	٢٨٥
السعادة	المعادة	١٩	٢٩٦
أعظم الفرق بين	أعظم بين	٦	٣٠٢
حاشى لأحد	حاشالو أحد	١١	٣٠٧
أكات	أكلات	١٣	٣٠٨
من معينة	من معونة	٩	٣١٢
الصائنة	المائنة	٢	٣٦٢

محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٣٤٢

دار المطبوعات الدولية
٧ شارع الصبان — ميدان الجيش